٣٢

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

٢٥ شاقل

كانون الاول

• قبل تقييم شروع رمضان يجب رؤية الخلفية ال
قدم على أساسها

• ذهب الملوك والرؤساء العرب الى فاس ليس
للتضامن مع م.ت.ف بل للوقوف في صف العزا

• الدفاع من الطعن بفعالية الاسلحة والدور السوفيتي
تجربة العرب من سلاح البترول .. سلاح التعاون والصداقة
مع الاتحاد السوفيتي

• الاعتراف المتزامن لا يعني استعداد اسرائيل للانسحاب
ولا يعني قيام دولة فلسطينية مستقلة

• استكمال الوحدة الوطنية يتطلب الاعتراف بدور
الطبقة العاملة وبدور حزبها السياسي وأخذه
لقيادته المدبر به

• اعتراف أمريكا بـ م.ت.ف يجب أن لا يكون على
حساب الحق الفلسطيني الاساسي

حوار مع الزميل

بشير البرغوثي

Digitized by Birzeit University Library

كرامة الوطن
فوق الكرامة الشخصية.

الموقف الذى وقفه الزميل بشير البرغوثي رئيس تحرير صحيفة الطليعة، من حادث الاعتداء عليه في منزله يجب ان يكون مثلا يحتذى في العلاقة بين مختلف فئات شعبنا، فقد ضرب بشير البرغوثي وأصدقاؤه ،أروع الامثلة، في الحكمة العقلانية ،منطلقا،وكما جاء في كلمته يوم السبت ٨٢/١١/٢٠ ، للجاهه التي حضرت الى بيته "نحن قادرون على الرد ومن موقع الاقتدار ،لكننا ندرك أن المستفيد الوحيد من مثل هذه الافعال ورد الفعل عليها ،هم أعداء شعبنا "

كان هذا الموقف برنامجا للتعامل ،يجب أن يؤخذ به دائما ، وعلى كل منا مهما كان، وأينما كان موقعه ،أن يدرك أنه مثلما يعامِل يعامَل ،وليس هناك من هو فوق هذه الصيغة مطلقا ،ومن كان لا يزال يعيش بعقلية تخالف هذا المنطق ،فهو بالتأكيد يعيش في وهم كبير عليه أن يصحو منه ،وعليه أن يدرك أن لا شيء يعلو فوق الحوار الديمقراطي الوطني ،ونحن أحوج ما نكون الى اعتماده اسلوباً ومنهجاً نتشبث به ولا نحيد عنه مطلقاً .

اننا نستنكر حادث الاعتداء على الزميل بشير البرغوثي ،ونشد على يديه وأيدى أهله وأصدقائه الذين ضربوا أروع الامثلة في التسامح والقدرة على ضبط النفس. من أجل المصلحة الوطنية ،الامر الذى فوّت الفرصة فعلا على بعض الطفيليين الذين حاولوا التدخل ليلة الحادث وبعده لاشعال نار الفتنه وتصعيد الموقف لصالح مآربهم التي تصب في بالوعه واحده يعرفها الجميع بلا استثناء الى درجة أدت الى فشلهم مباشرة ومن أول خطوة خطوها في طريقهم الخطر ،والقذر والتي أحبطها وعي من اتصلوا بهم ، وشعورهم بافلاس هؤلاء وادراكهم لمخططاتهم الرامية الى تمزيق وحدة أبناء شعبنا ،لتمرير أهدافهم ،مستغلين الدم الطيب الذى سال من جبين بشير البرغوثي ،لكن الوعي والشعور العالي بالمسؤولية، والحرص على الوحدة الوطنية أفشل كل المخططات الرامية الى تأجيج الموقف ،واشعال نار الفتنه والفرقـــــة .

تحية للزميل بشير البرغوثي وأهله وأصدقائه ،وتحية لكل المخلصين لقضية الوحدة الوطنية ،ومزيدا من التلاحم ،لتفويت الفرصة على الهادفين الى فرقتنا ،لتمرير مشاريع معلّميهم وأسيادهم . والالتفاف على طموحات شعبنا في تقرير مصيره واقامة دولتـــــه المستقلة على ترابه الوطنـــــي ...

" الكاتـــــب "

Digitized by Birzeit University Library

كانون الاول ١٩٨٢

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

السنة الرابعة

صاحب الامتياز والمحرر المسؤول
أسعد الأسعد - القدس

المراسلات: رام الله - ص ب ٩٩٥
المواد الواردة لا ترد إذا لم تنشر

المحتويات

العدد الثاني والثلاثون

الذين يقرأون بالمقلوب	اسعد الاسعد	٣
حوار مع بشير البرغوثي	اسعد الاسعد ومحمود الشيخ	٨
قرار المجلس المركزي	صارم حكمت	٢٧
معركة لبنان ومفترق الطرق في الساحة العربية	ميشيل كامل	٣٠
الفئات الوسطى	د. اياد البرغوثي	٣٦
حسن البنا ـ مؤسس حركة الاخوان المسلمين ـ الجزء الثاني ـ الجماعة	عاطف سعد	٥٥
القضاء العشائري	جميل السلحوت	٦٥
المتهم ـ مسرحية في فصل واحد	جمال بنورة	٧٨
القاسم المشترك بين واقعية الصعاليك والواقعية الجديدة	ابراهيم جوهر	٩٥
الجزء الثاني	ماجد ابو غوش	١٠٧
الى الحب الدائم ـ شعر ـ	انصار حامد فرج	١٠٨
من الاعماق		
اعترافك او جنازتك ـ قصة قصيرة ـ	عمر حمش ـ غزة ـ	١١٢
وان عاد رفاقي من دوني لا تبكي ابدا يا حبيبتي	اسامة محيسن العيسة	١١٥

ثمن العدد: ٣٥ شاقل

ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية

Digitized by Birzeit University Library

حول كتاب ساعة واحدة والف		
معسكر للكاتب سلمان ناطور	شاكر فريد حسن	١١٧
التينة العجوز والزيتونة الصغيرة		
قصة للاطفال	فضل الريماوى	١٢١
كيف يؤرخ لشعبنا	موسى علوش	١٢٣
اصداء ثقافية		١٢٥

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

دعوة

تعلن هيئة تحرير الكاتب، ترحيبها بكل الاقلام الوطنية على اختلاف توجهها الفكرى مؤكدين هدفنا الواضح، والذى اعلنناه منذ صدور العدد الاول، بأن الكاتب هي مجلة الفكر والثقافة الوطنية الجادة والملتزمة بطموحات شعبنا.

ان هيئة التحرير، تتوجه الى اساتذة جامعاتنا المحلية وفي الخارج، من أجل الاسهام في خلق حركة فكرية وثقافية، من خلال الكتابة لمجلة الكاتب وخاصة في مجال الابحاث والدراسات الجادة على اختلاف انواعها.

كما تتوجه هيئة تحرير الكاتب، الى طلبة الجامعات، مؤكدة استعدادها لنشر دراساتهم وأبحاثهم الجادة، سواء العلمية منها او الفكرية او الادبية، مؤكدين حرصنا على جعل مجلة الكاتب، مجلة للفكر الوطني والتقدمي، يسهم في تحريرها كافة اصحاب الاقلام الوطنية والفكر الواعي الملتزم بقضايا شعبنا، وهموم عالمنا المعاصر.

Digitized by Birzeit University Library

الذين يقرأون بالمقلوب

أسعد الأسعد

بعض الناس يصر على سماع نصف ما يقال او على الاصح لا يريد ان يسمع الا الجزء الذى يحلم به ،فرغم تأكيدات ياسر عرفات، وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية على الموقف القائل بحق تقرير المصيروإقامةالدولةالمستقلة قبل الحديث او الخوض في متاهات تبتعد عن جوهر المسألة ، رغم ذلك تسارعت بعض الشخصيات الى تحويل القضية الى مشروع كونفدرالي مطروح مع الاردن وأن قيادة منظمة التحرير وياسر عرفات بالذات وافق عليه في زيارته الاولى للاردن . وقد لعب الاعلام الاسرائيلي دورا مهما في تصوير القضية وكأنها بمجرد موافقة أهل الضفة الغربية على ذلك سوف تحل المشكلة وتنسحب اسرائيل من المناطق المحتلة وتعيدها الى الاردن ،الى درجة أن بعض هذه الشخصيات قامت بكتابة العرائض وجمع التواقيع عليها مؤيدة ذلك وداعية اليه ،بل ويذهب آخرون الى أبعد من ذلك .حيث يطرحون تفويض الاردن بالتفاوض باسم الفلسطينيين ،وهناك من يدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل وحقها في الوجود ولو كان ذلك الاعتراف من جانب واحد

Digitized by Birzeit University Library

الضغط العربي على أمريكا

كل ذلك يجرى، ويشتد الصراخ، وتنشط الفئات ذات المصلحة بالترويج لمشاريعها، سوا أكان مشروع الاتحاد الكونفدرالي، او "ايجابيات مشروع ريغان"، ويخلقون ألف مبرر واه. لا يمكن ان ينطلي الا على المغفلين او على أصحاب المصالح الانانية والذاتية، ويسهم الاعلام الاسرائيلي في توجيه الانظار نحو هذه المعركة بغرض الالهاء، وابعاد الناس وتفكيرهم عن حقيقة ما يجرى في المنطقة، ويشترك بالطبع في ذلك، الانظمة العربية الرجعية بأجهزة اعلامها، ذلك أنه في الوقت الذى تؤكد فيه منظمة التحرير الفلسطينية على لسان قادتها أنه لا بديل عن دولة مستقلة، ومن ثم يصار بعدها الى الحديث عن اتحاد أو تنسيق أو لجان مشتركة او عن أى شكل من اشكال العمل المشترك بين هذه الدولة وبين الاردن يصر البعض على فهم الامور بالمقلوب ومن المؤكد أن العلاقة بين الدولة المنشودة وبين الاردن يجب ان تكون مميزة، بحكم الواقع الموضوعي فهناك أكثر من مليون ونصف من الفلسطينيين يعيشون في الاردن منذ عام ١٩٤٨، بالاضافة الى التداخل في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، ولا يمكن أن ننسى قضية الطموح القومي والنزعة الراسخة بأهمية الوحدة العربية، فان كنا نؤمن بذلك ونحن كذلك بالتأكيد، فالاجدر ان تكون هناك خصوصية في العلاقة ما بين الدولة الفلسطينية المنشودة، والاردن، وهذا لا ينفي مطلقا التخلي عن مبدأ لا يتزعزع ألا وهو الدولة المستقلة أولا ثم يأتي الحديث عن كافة الموضوعات الاخرى، فلا تنازل عن تحقيق الهوية الوطنية، مجسدة بالدولة المستقلةذات السيادة، هذه الصورة التي تطرحها منظمة التحرير الفلسطينية، ولا تنفيها أجهزة الاعلام الاردنية نفيا مطلقا، وان كانت تحاول الترويج وايهام المستمع بوضع آخر،

ولقد جاءت قرارات المجلس المركزى الذى انعقد في دمشق مؤخرا وتصريحات ياسر عرفات، لتضع حدا لكل من يحاول أو حاول التشكيك بموقف منظمة التحرير، وحتى مشروع

Digitized by Birzeit University Library

ريغان ،سقط ولم تعد له قيمة ،بمجرد رفض منظمة التحرير له ،ومن كان يعتقد ،أو يحاول ايهام البعض بايجابيات وردت في المشروع لم يعد ما يبررها الان ،ونحن نبني افتراضنا بسقوط مشروع ريغان انطلاقا من تأكيدنا على أن حلا لا يرضى به الفلسطينيون لا يمكن أن يكتب له النجاح ،وهذا ما أكدته الاحداث دائما .

واذا كانت الانظمة العربية لم تنجح في تمرير مخططاتها في مؤتمر فاس،بحيث جاءت هذه القرارات صفعة لهذه الانظمة ، وخرجت منظمة التحرير قويّة وعفيّة، فقد حاولت هذه الانظمة تفسير الامور على هواها ، كما حاولت جر منظمة التحرير الى هذه المخططات ،الا أن هذه المخططات فشلت وخرجت منظمة التحرير قوية وأثبتت من جديد انها صاحبة القرار ،وأنها قادرة على تجاوز مخاطر المرحلة ،وبقيت الانظمة العربية الرجعية تتخبط في مستنقع التخاذل والسقوط المخزي والمهين ،بحيث ظلت تقدم التنازل تلو الاخر،حتى فقدت بقايا كرامة قد تكون احتفظت بها ،فلو كانت هذه الانظمة تملك ذرة من الكرامة لما قبلت بالموقف الاميركي من اللجنة السباعية وكذلك الموقف البريطاني ؛ وهي رغم ذلك لا تزال وبكل وقاحه تروج لتغيير في الموقف الاميركي تجاه القضية الفلسطينية ،ومن يسمع ويقرأ الاعلام العربي ، يعتقد أن الحل آت غدا وعلى يد حكومة ريغان رجل السلام الذى أرسل قواته الى لبنان ليحمي الشعبين الفلسطيني واللبناني من الاحتلال الاسرائيلي ،بالتأكيد ليسوا أغبياء فهم شركاء في المخطط . بل أدوات تستخدمها الامبريالية لذبح الشعوب العربية،والابقاء عليها في دائرة السيطرة والنفوذ ،وكلهم مستفيد ، السكين واحد ولو تعدد القتلة .

قد تنجح الانظمة الرجعية
ولكن الى متى ؟

قدتستطيع الانظمة العربية الرجعية فرض ما تريده في هذه المرحلة،مستفيدة من التراجع الحاصل في حركة التحرر العربية، بكافة فصائلها ،الا أننا نؤكد ان هذه الانظمة لا تستطيع تمرير مخططاتها ،فقد بات شعبنا وكل الشعوب العربية تدرك كنه هذه الانظمة، وقد فقدت أية ثقة بها ،لكنها قد تنجح في فرض مخططاتها الى حين ،وهذا منوط بالجماهير وبحركة التحرر الوطنية العربية، فهي قادرة رغم صعوبة الوضع على احباط كل مشاريعهم بالوحدة والعمل الجاد ،وفهم طبيعة المرحلة ومتطلباتها ،وعدم الابتعاد عن العنصر الاساسي ،وهو التلاحم مع حركة التحرر العالمية ،وفرز الاصدقاء من الاعداء ،وتعزيز الصلة بجبهة الاصدقاء وفي مقدمتها دول المنظومة الاشتراكية ،كما يبرز عامل الصدق في التعامل مع جبهة الاصدقاء هذه ،وتحديد المواقف بصدق ووضوح دون مواربة أو تحايل .

بالمقابل فان المهمة الاساسية التي تقع على عاتق حركة التحرر العربية الان ،يجب أن تنصب باتجاه فضح الانظمة الرجعية،حتى يصار الى احباط مخططاتها ،ان الانظمة التي تمارس أبشع صنوف القهر ضد مواطنيها ،لا يمكن ان تتحول الى مدافعة عن حقوق هؤلا المواطنين ،وبالتالي فهي تقف في الصف المعادى للشعوب العربية ،وهي بالتالي تسعى الى اغراق هذه الشعوب في وحل مشاريعها ، من خلال تنازلاتها المتلاحقة ،والتي لا مبرر لها ،ولا تلق آذانا صاغية،ولا تقابل بغير التعنت المتصاعد ،والمزيد من طلب الركوع بلا ثمن ، فان كانت الولايات المتحدة لم

Digitized by Birzeit University Library

تسمح للفلسطينيين وهم في وضع أفضل مما هم عليه الان ،وان كانت لم تعر العرب ،كل العرب أدنى اهتمام ،في وقت كانوا فيه أقوى وفي وضع أحسن بكثير من وضعهم اليوم ، فما الذي يجبرها على سماعهم الان ؟ . ومتى كان القاتل يبني لقتيله قبرا حتى ؟! . ان الذي جرى في لبنان تتحمل مسؤوليته حكومة ريغان ،واذا كانت الحكومة الاسرائيلية نفذت غزو لبنان واحتلال جنوبه،فهي قامت بذلك لتحقيق مخطط تشترك في جني ثماره مع حكومة البيت الابيض،وتلتقي في ذلك مع الحكومات العربية الرجعية ،المرتبطة والمتذيلة للبيت الابيض،بل نواطير البيت الابيض في المنطقة العربية،وحراس النفط الامريكي في السعودية والخليج ،ثم تأتي الانظمة العربية فتدعو قوات التدخل السريع لتحمي لبنان ،ليتحقق مثلنا العربي ،حاميها حراميها ، والمضحك ان هذه الانظمة تريدنا أن نصدق هذه المسرحية،وهذا يذكرني بقيام النظام السعودي باستدعاء خبراء من الولايات المتحدة لتدريب القوات السعودية لحماية نفط الخليج والسعودية من القوات الامريكية التي هددت بالتدخل لاحتلال منابع النفط في المنطقة ابان حرب اكتوبر ١٩٧٣

اذن ،تمضي الانظمة العربية بتقديم التنازل تلو التنازل دون أن تتلقى مقابل ذلك شيئا . سوى المزيد من الاستيطان ،رفض ريغان استقبال اللجنة السباعية العربية اذا كان من ضمنها ممثل منظمة التحرير ،ومع ذلك تركع ويجرها حسون الثاني ملك المغرب مثل النعاج ، وكذلك الحال مع حكومة تاتشر،ويعود الاعلام العربي ليطلع علينا من جديد بتغيير في الموقف الامريكي ،ويطبل طبالوهم في المناطق المحتلة،ويدبجون البرقيات والعرائض ويساعدهم الاعلام الاسرائيلي ،في كيل المديح للااتحاد الكونفدرالي ،محاولين تبرير فعلتهم هذه ،بمحاولتهم حماية الارض،وانقاذ ما يمكن انقاذه وتبقى اللعبة على ما هي عليها حوار طرشان ،مزيد من الاستيطان ومصادرة الاراضي ،والتنكر لحقوق الشعب العربي الفلسطيني ،وتثبيت احتلالهم للجنوب اللبناني ،من خلال مد شبكات المياه والكهرباء ومحاولة خلق روابط قرى هناك ،والطبالون والزمارون ليس لهم غير الحديث عن ايجابيات مشروع ريغان ،والاتحاد الكونفدرالي والحوار الاكاديمي و. الخ.

وبالمقابل يصرح المسؤ ولون الاسرائيليون أن لم يكن هناك اردن ،وبالتالي فان الاردن الان هو الوطن البديل للفلسطينيين ،وقد يخرج علينا من يطالب بتعديل الحدود الى مشارف السلط، والطبالون والاكاديميون لا يزالوا في أيهم أفضل ،مشروع ريغان ،أم الاتحاد الكونفدرالي ،أم الفدرالي ،أم أم ؟ والله أعلم ، نحن ندرك ،ويجب أن يدرك الجميع أنه في ظل الموازين القائمة ،والمعادلات المطروحة ،لا يمكن أن يتحقق الحد الادنى حتى من طموحات الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ،ولا حتى مشروع ريغان ،على تعاسته فهو مشروع ليس للتنفيذ ،فان كانت حكومة الولايات المتحدة أو أي طرف يسعى لحل عادل ،يجب أن يتصف بالحياد على أقل تعديل ،فهل تقف حكومة البيت الابيض على الحياد ؟ وبالمقابل فان انظمة تقف مع الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية والاصدقاء الحقيقيون لقضايا العرب ،وخاصة قضية فلسطين ،موقفا عدائياوتتخذ من الولايات المتحدة صديقا حميما ، لا يمكن أن تكون مخلصة لشعوبها وقضاياها ، وستظل كذلك طالما بقيت تتمرغ في حضن الامبريالية وتمارس عهرها في مخدعها ،ولن تتلقى غير الاذلال والسقوط ،فعريضه كهذه ، لا تستحق غير ختم كهـــــذا ... .

Digitized by Birzeit University Library

حوار مع الزميل

بشير البرغوثي

رئيس تحرير جريدة الطليعة المقدسية

أجرى اللقاء
أسعد الأسعد ومحمود الشيخ

- قبل تقييم مشروع ريغان يجب رؤية الخلفية التي قدم على أساسها
- ذهب الملوك والرؤساء العرب الى فاس ليس للمضامين مع م.ت.ف بل للوقوف في صف الجزائر
- الغرض من الطعن بفعالية الاسلحة والدور السوفيتي تجريد العرب من سلاحهم.. سلاح التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفيتي
- الاعتراف المتزامن لا يعني استعداد اسرائيل للانسحاب ولا يعني قيام دولة فلسطينية مستقلة
- استكمال الوحدة الوطنية يتطلب الاعتراف بدور الطبقة العاملة وبدور حزبها السياسي وأخذه لمكانه الجدير به
- إعتراف أمريكا بـ م.ت.ف يجب أن لا يكون على حساب الحق الفلسطيني الاساسي

Digitized by Birzeit University Library

وبعد افتضاح تواطؤ الرجعية العربية مع الامبريالية الامريكية الضالعة في الغزو الاسرائيلي للبنان حاولت تفريغ الغضب الشعبي والسخط على الانظمة العربية المتخاذلة في تحييد الرأى العام العالمي الذى هزته حتى الاعماق مأساة الشعب الفلسطيني ، وتشبث هذا الشعب بحقه في تقرير مصيره مهما بلغت التضحيات. وايضا تبييض صفحتها واعادة بعض الاعتبار لها وتقديم ذرائع للرجعية العربية واليمين العربي لمواصلة الاعتماد على الامبريالية الامريكية في البحث عن حلول اقتسلامية للقضية الفلسطينية وللنزاع بشكل عام في الشرق الاوسط وكذلك قامت الادارة الامريكية عشية مؤتمر فاس بتقديم عرض كي يكون في متناول يد اليمين العربي اثناء اجتماعات مؤتمر فاس وكان اليمين العربي يعتقد ان هناك امكانية في ظل الظروف الناشئة بعد العدوان الاسرائيلي على لبنان وخروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت بامكانية تمرير المشروع الامريكي والحصول على موافقة عربية واسعة عليه، لكن في حقيقة الحال فشلت الرجعية العربية واليمين العربي في الحصول على الموافقة على مشروع ريغان وايضا اضطرت للقبول مرة اخرى بمطلب الدولة الفلسطينية المستقلة للقبول بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بقيادة م.ت.ف وهذا القبول لم يكن اليمين العربي يتوقع ان يتم في مؤتمر فاس بعد ان خيل للامبريالية الامريكية واعوانها في المنطقة بان ميزان القوى قد رجح نهائيا لصالح الامبريالية والرجعية العربية والصهيونية ، وعند النظر لمشروع ريغان يلاحظ وللوهلة الاولى ان المشروع كان يستهدف تحقيق الاهداف السياسية للغزو الاسرائيلي على لبنان اى ان المشروع كان يفترض التسليم بمبدأ الهزيمة العسكرية في لبنان والتسليم بمبدأ تصفية م.ت.ف وانتهاء دورها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ولذلك وضع المشروع على اساس الافتراضات السابقة وجاء خاليا تماما من اى حديث

س/ كثر الحديث عن مشروع ريغـــان ، وايجابياته" حسب تعبير البعض ،ماذا ترون في هذا المشروع ،وكيف تقيمونه ؟

ج/ في الحقيقة قبل تقييم مشروع ريغان لا بد من رؤية الخلفية التي على اساسها قدم هذا المشروع ،معروف انه كان هناك تواطؤ امريكي مكشوف ومفضوح مع الغزو الاسرائيلي للبنان ، ومع الاهداف التي توخاها الغزو وهي تحديدا تصفية حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وكذلك فرض الصلح على لبنان. والانتقاص من سيادته وايضا تهديد سوريا ، وبعد انتهاء المرحلة الاولى من الغزو الاسرائيلي للبنان

Digitized by Birzeit University Library

عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بالعكس وردت نصوص لم ترد اصلا في اتفاقات كامب ديفيد الاستسلامية وهي رفض الادارة الامريكية كليا لمبدأ قيام دولة فلسطينية مستقلة ، رفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وايضا ، رفض استمرار اقامة المستوطنات الاسرائيلية أو حتى المطالبة بازالة المستوطنات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة والتأكيد مرة اخرى على وجهة النظر الاسرائيلية التوسعية حول قضيةالحدود الامنة والاشارة بصراحة الى ضرورة اجراء تعديلات واسعة في اراضي الضفة الغربية بهدف ضمها الى اسرائيل بحجة عدم موافقة ريغان كما جاء في توضيحه لمشروعه بانه لا يقبل ان يكون وسط اسرائيل والمراكز السكانية فيها سرائيل بعيدة مجرد عشرة اميال عن المنطقة العربية ويعني ذلك بصراحة موافقة واشنطن على ضم اراضي واسعة من الضفة الغربية وبشكل خاص المناطق الغربية والمناطق الجنوبية حتى يكون العرب كما قال ريغان بعيدين عن المراكز السكانية لاسرائيل ومن الجهة الاخرى اعاد ريغان ترديد موضوعة الحدود الامنة لاسرائيل ويعني في ذلك بطبيعة الحال تأييد مشروع الون المطالب باحتفاظ اسرائيل بقواعد عسكرية واراضي على نهر الاردن وفي نفس الوقت ترك موضوع القدس معلقكما تركه كامب ديفيد وهذه ايضا اشارة الى ان الامبريالية الامريكية رغم اعلان اسرائيل لضم القدس لها لكن في مشروع ريغان لم يجرى اى شجب او ادانة او معارضة للقانون الاسرائيلي بضم مدينة القدس العربية الى اسرائيل ، وهذا يحمل في طياته رغم عدم الاشارة الى مستقبل القدس وترك مستقبلها معلق عدم الاعتراض على الاجراءات الاسرائيلية التي تمت حتى الان فيما يتعلق بالقدس، وواضح للجميع ان سكوت ريغان عن الاراضي المصادرة والمستوطنات القائمة في الضفة الغربية ودعوة العرب للتفاوض حول ما تبقى بعد المصادرات الحالية والسابقة بعد قيام اكثر من ١٠٠ مستوطنة في اراضي الضفة الغربية واضح انه يعني التفاوض على بعض اجزاء الضفة الغربية اى على نسبة قد لا تتجاوز ٤٠ بالمئة من اراضي الضفة الغربية وواضح ايضا ان مشروع ريغان حسب المعارضة الاسرائيلية هو مجرد رأى مجرد موقف يتوخى منه ريغان استدراج الدول العربية الى مائدة مفاوضات كامب ديفيد بعد اثارة الانقسامات في صفوفها واضعافها اكثر ، استدراجها للتخلي عن م.ت.ف واستبعادها وايضا محاولة زرع الشقاق داخل م.ت.ف وواضح ايضا ان هذا المشروع يستهدف عزل الدول العربية عن اصدقائها الدوليين ، وفي المقدمة الاتحاد السوفييتي وايضا شطب القضية الفلسطينية كليا من جدول اعمال الرأى العام العالمي وجدول اعمال الهيئات الدولية ، وبالتالي افقاد العرب قوة العامل الدولي ، افقادهم قوة الوحدة والتضامن ، وافقادهم ، وبالذات الشعب الفلسطيني دوره والقوة الممثلة الشرعية والوحيدة له وهي م.ت.ف ، اما بالنسبة لاسرائيل ، فكان امرا متوقعا تماما ان ترفض مشروع ريغان ، وهذا ايضا جزء من اللعبة الامريكية الاسرائيلية بحيث يتسنى للطرفين بعد استدراج العرب في ظروف الضعف وظروف فقدانهم لعوامل القوة المتبقية لديهم ، ظروف الانقسامات والانشقاقات الناتجة عن القبول او رفض مشروع ريغان ان تبدأ مفاوضات الادارة الذاتية ، حيث اكد ريغان ان هذا المشروع يقدم في اطار اتفاقات كامب ديفيد ، اى انه سيعرض في نطاق المفاوضات الدائرة حول الادارة الذاتية بين مصر واسرائيل ويهدف اشراك دول عربية اخرى وبالذات الاردن ، واضح في هذه الحالة ستتحول المفاوضات الى مفاوضات امريكية اسرائيلية باعتبار الطرف العربي الموافق على مشروع ريغان مختبئ خلف المندوب الامريكي وبالتالي من الممكن الوصول ، كأى مفاوضات الى حل وسط بين مشروع ريغان وبين مشروع بيغن اى الى شكل اقل بكثير من مشروع ريغان نفسه واقرب كثيرا الى اتفاقات كامب ديفيد والتفسير الاسرائيلي لها ، والطرف العربي في حالة

Digitized by Birzeit University Library

القبول بهذا النهج والقبول بمشروع ريغان يعني انه قبل عمليا تسليم قضية الشعب الفلسطيني لمفاوضات تجرى بين بيغن وريغان ويستطيع اى انسان ان يقدر ماذا ينتج عن مفاوضات بين طرفين احدهم يعارض وهو بيغن، والاخر يؤيد ،وهو ريغان فهي لعبة يراد فيها تصفية حقوق الشعب الفلسطيني، ومن هنا كان الرفض بل الاصرار على رفض مشروع ريغان من قبل م.ت.ف ومن قبل القوى الوطنية الثورية العربية ومن هنا ايضا كانت المعارضة في قمة فاس لمشروع ريغان وتراجع اليمين العربي واضطراره للتظاهر ايضا في عدم الموافقة والقبول قرارات فاس، والتي هي في حقيقة الحال مناسبة وافضل بكثير من مشروع ريغان لانها بالاساس تصر على حق الشعب الفلسطيني

ليس لدينا اية نية للضغط

في تقرير مصيره،في اقامة دولته المستقلة بقيادة م.ت.ف واشير هنا الى تصريح كينيث دام وهو مساعد وزير الخارجية الامريكية في الشهر الجارى حيث قال ان مشروع ريغان ليس خطة او مشروعا بل هو مجرد مواقف واقتراحات تطرح على مائدة المفاوضات للادارة الذاتية بعد اشتراك الاردن فيها وليس لدينا اى نية للضغط،وهذه الاراء والمقترحات قابلة للتعديل والتغيير في المفاوضات،وهذا يؤكد .اذا كانت بعض الدول العربية قبلت بهذا ،اذا معنى ذلك ايضا ستقبل في مبدأ التنازل عن مشروع ريغان الذى هو مشروع استسلامي ومن يقبله يقبل سلفا التضحية بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ويقبل سلفا باقتطاع حوالي نصف اراضي الضفة الغربية واعطائها لاسرائيل ويقبل سلفا بربط ما تبقى من المناطق الاهلة بالسكان بالاردن.

مطلوب كل شيء مقابل لا شيء

Digitized by Birzeit University Library

س/ المعروف ان الانظمة العربية الرجعيـــة ، حاولت الخروج من مؤتمر فاس، بقرارات تصب في مخططاتها لكنها فشلت الى حد كبير في تحقيق هذا، ما هو موقفكم من مؤتمر فاس ومقرراتـــه ؟

ج/ لقد اشرت الى ان مؤتمر قمة فاس عقد على خلفية النتائج العسكرية للغزو الاسرائيلي للبنان وقلت ايضا ان الامبريالية الامريكية ارادت بمشروع ريغان اعطاء اليمين العربي ورقة للعب بها على مائدة قمة فاس وكان اليمين العربي والرجعية العربية ترفض عقد مثل هذا المؤتمر في السابق رغم النداءات المتكررة من م.ت.ف ومن اوساط عربية اخرى لان المطلوب من مؤتمر يعقد في ظل المقاومة الباسلة للشعبين الفلسطيني واللبناني ضد الغزاة الاسرائيليين هو ان يمد يد العون لهذين الشعبين ولحركتيهما الوطنيتين في بيروت وهذا امر لا يتفق لا مع سياسة ولا توجهات اليمين العربي المتواطئ مع الامبريالية الامريكية ، واليمين العربي كان ينتظر لحظة خروج م.ت.ف من بيروت مثلما كان ينتظرها الامبرياليون الامريكيون والصهاينة ايضا وكان يأمل ان تزول بذلك العقبة الاساسية في وجه تعاون مفتوح بين الامبريالية الامريكية واليمين والرجعية العربية من اجل ما سموه في البداية بالتنسيق الاستراتيجي من اجل فتح العالم العربي للقواعد العسكرية ، للشركات الاحتكارية وتسهيل مهمة واشنطن في فرض هيمنتها على المنطقة وفي تصفية حركة التحرر العربية وفي التآمر على الحركات الثورية ، الثورات في ايران وافغانستان وفي اثيوبيا لاستخدام منطقة الشرق الاوسط قاعدة عدوانية موجهة ضد الاتحاد السوفييتي ، وبلدان المنظومة الاشتراكية، ولذلك فاليمين العربي ذهب الى فاس بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ليس للتضامن مع م.ت.ف وانما للوقوف في صف الغزاء بـ م.ت.ف لكن الرصيد المعنوي الكبير الذي احرزته منظمة التحرير الفلسطينية والتأييد الشعبي العربي ، حتى وان كان صامتا ، شحنه الغضب والسخط على تواطؤ وتخاذل وتقصير الانظمة العربية التي ارسلها الصمود البطولي في بيروت للضمير العربي بوجه عام ، على امتداد الارض العربية ، كانت بمثابة قوة ضخمة الجمت اليمين العربي ، ومنعته من ان يبصم على مشروع ريغان، ويقبل بالمخططات الاستسلامية التي رُتبت قبل الغزو الاسرائيلي واريد تنفيذها بعد الغزو الاسرائيلي واثناء الغزو، ولم يكن بامكان اليمين العربي الا ان يقدم دعما لـ م.ت.ف وهذا امر لم يكن اليمين العربي لديه الاستعداد لتقديمه، لذلك كان يتهرب من عقد مؤتمر قمة وبعد انتهاء الغزو او بعد انتهاء المرحلة الاولى للغزو بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان، وافق اليمين العربي على عقد مؤتمر قمة.

على اى حال اعلن الملك الحسن في يوم صدور قرارات فاس، الخاص بالقضية الفلسطينية عن نيته للخروج عليها. ووصفها بانها جسر للتفاهم مع امريكا. وفي زيارته على راس اللجنة السباعية لواشنطن طالب بدمج مشروع ريغان وقرارات فاس المتعلقة بالقضية الفلسطينية وقرار مجلس الامن ٢٤٢ واستخراج حل منهما. وفي الفترة ذاتها تحدث الملك حسين عن تأييده لمشروع ريغان وامكانية التوفيق بينه وبين قرارات قمة فاس.

وحتى اليوم يجرى الحديث عن "التوفيق" وايجاد "الانسجام بين قرارات فاس ومشروع ريغان ، اى بين رفض الدولة الفلسطينية المستقلة ، والتأكيد عليها، بين شرط الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وازالة المستوطنات القائمة عليها وبين الموافقة على استمرار اسرائيل في احتلال اجزاء من الاراضي المحتلة.

Digitized by Birzeit University Library

واضح ان "التوفيق" بين هذيه الموقفين يعني التفاوض حول مساحة الارض التي ستحتفظ بها اسرائيل. اما بالنسبة للدولة المستقلة فجرى "التوفيق" سلفا من خلال طرح مشروع الوحدة الكونفيدرالية التي يعرف اصحابها انهم سيوافقون في نهاية المطاف على سحبه لانه يتضمن قيام دولة مستقلة فلسطينية بحكم التعريف، ويعرفون ايضا انه مجرد خطوة لمواجهة الحساسية الفلسطينية على طريق ضم ما يمكن ان "تستغني" عنه اسرائيل من اراض الى الاردن

س/ حاول البعض ولا يزال ، التشكيك والطعن في الموقف السوفييتي وشجاعة الاسلحة السوفييتية اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان ،ما هو في اعتقادكم الهدف من ذلك ، ولماذا تتكرر هذه المعزوفات بعد كل هجمة جديدة ضد حركة التحرر العربية عامة ، والفلسطينية خاصة ؟

ج/ علينا ان نميز بين ظاهرتين تتعلقان بهذا الخصوص. الاول موقف الكثيرين من الناس البسطاء الذين يعتبرون الاتحاد السوفياتي صديقا لهم ،وكانوا يتساءلون لماذا لم يتدخل عسكريا الى جانبهم ، وهؤلاء كانوا يتحدثون بحسن نية ، وبسبب عدم اطلاعهم الكافي على الوقائع، ونتيجة تصورهم البسيط لطبيعة العلاقات الدولية. اما الظاهرة الثانية فكانت ظاهرة اندفاع الرجعية العربية ووسائل اعلامها للطعن في الصداقة العربية السوفياتية ، والزعم بعدم جدواها على مختلف المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية. وقد حاول ممثلو الرجعية العربية القاء مسؤولية الانتكاسات والاخفاقات والتواطؤ على النهج السياسي العربي المتمسك بهذه الصداقة.

وكان واضحا انهم يحاولون ابعاد المسؤولية عنهم وعن ارتباطهم المشين بالامبريالية الاميركية ، وانصياعهم لمشيئتها. ومزاعم الرجعية العربية ليست جديدة، ولكنها هذه المرة حاولت اكثر من اية مرة اخرى استغلال تساؤل الناس البسطاء ودفع هذا التساؤل الى موقف العداء للاتحاد السوفياتي. غير ان هؤلاء الناس، وبفضل الدور النشيط والمثابر والمبدئي للتقدميين العرب ، وبفضل غيرتهم الذاتية كانوا يعرفون ان الرجعية العربية والامبريالية واسرائيل ايضا التي كانت هي الاخرى تطعن في الصداقة العربية السوفياتية ، يهدفون الى اضعاف العرب، وتجريدهم من ركن اساسي من اركان بناء قدرتهم الذاتية ، وتعديل توازن القوى في المنطقة لصالحهم، وكان هؤلاء يعرفون ايضا ان تخريب علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفياتي سيمهد الطريق للسيطرة الاميركية ، وسيجرد حركة التحرر العربية من حليفها القوي والموثوق، ويجعلها غير قادرة على صد الهجمة الامبريالية الموجهة ضدها.

لقد احبطت هذه المساعي الخبيثة، وتحدث اكثر من مسؤول فلسطيني عن اهمية الصداقة السوفياتية العربية . وقال ابو اياد انه لم يكن مطلعا على كل الوقائع اثناء وجوده في بيروت. واضاف لصحيفة الاهالي المصرية ان الاتحاد السوفياتي توجه الى سركيس باستعداده لدعم لبنان ولكن سركيس رفض، وان الاتحاد السوفياتي كان يبحث عن دولة عربية تطلب منه مساعدتها فلم يجد. وقال ابو اياد اننا لا نستطيع ان نطلب من الاتحاد السوفياتي ان يكون دولة عربية اكثر من الدول العربية.

Digitized by Birzeit University Library

نقول باختصار ان عملية الطعن في الاتحاد السوفياتي والاسلحة السوفييتية ليست ظاهرة جديدة في السياسة العربية وهو اسلوب اتبع في السابق من قبل السادات وحتى قبل السادات رغم ان الاسلحة السوفييتية اثبتت جدارتها وكفاءتها في حرب اكتوبر لكن السادات لم يتورع عن الحديث عن رداءة هذه الاسلحة فيما بعد ورغم ذلك قبل اسبوعين او ثلاثة تحدث المشير عبد الحليم ابو غزالة، قال:- لن نتحدث عن هذه الاسلحة لاننا حاربنا بهذه الاسلحة وانتصرنا بها، وفي واقع الحال المقصود هو تجريد العرب من السلاح تجريدهم من سلاح الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي وتركهم بدون اية مساعدة في مواجهة الامبريالية والصهيونية وتهديد استقلال بلادهم و منجزات ثوراتهم، وهذا يظهر تماما في موقف القوى المعتمدة على امريكا، التي سلّحتها امريكا بطائرات الاواكس، مثل حكام السعودية، ومصر، رأينا ان هذه الاسلحة، رغم انها تحمل نفس الماركة التي تحملها الاسلحة والطائرات الاسرائيلية الا انها لم تتحرك قطعا للدفاع عن استقلال العرب وسيادتهم.

فهي موجهه بالاساس للدفاع عن مصالح امريكا وليس للدفاع عن حقوق العرب واستقلالهم وهي في خدمة قوات الانتشار السريع الامريكية ومن هنا يكون في غاية الوقاحة حديث اصحاب طائرات اف ١٦ والاواكس الجاثمة على الارض والمستخدمة للتجسس على حركات التحرر العربي، والمستخدمة لتهديد الثورة الايرانية والثورة الاثيوبية واليمن الديمقراطي وهم انفسهم يتحدثون عن فعالية الاسلحة وعن دور الاسلحة، ويتعرضون للاسلحة السوفييتية ومن هنا ايضا يكون في غاية الوقاحة الحديث عن عدم فعالية دور الاتحاد السوفييتي في المنطقة ويأتي من نفس الاوساط التي وضعت بلادها تحت السيطرة الامريكية وفتحتها للمناورات المشتركة للجيوش وللقواعد العسكرية الامريكية باسم خطر التهديد السوفييتي وهي الان تتحدث عن الاتحاد السوفييتي وعدم تدخله وهي التي كانت تزعم ولا تزال تزعم انها خائفة من تدخل الاتحاد السوفييتي في المنطقة، بهذا القدر من النفاق يحاولون التعبير عن اسفهم المزعوم، لان الاتحاد السوفييتي لم يتدخل، فالاتحاد السوفييتي كان وفيا للتزاماته، ففي سوريا لم يوجد اى مصدر سوري شكا بان الاتحاد السوفييتي، لم يفي بالتزاماته المنصوص عليها في اتفاقية التعاون بين سوريا والاتحاد السوفييتي بين البلدين حيث قدم كل ما طلبته سوريا منه ولا يستطيع الاتحاد السوفييتي ان يفرض نفسه على احد وهو يقدم ما يطلب منه اصدقاؤه في المستوى والحدود التي توجهت له سوريا، بطلب العون كان يسارع الى تقديمها والمسألة الجوهرية هي ارادة القتال، الاستعداد لاخذ مواقف حازمة في النضال ضد الامبريالية، استعداد لمواجهة الامبريالية بحزم وبدون اى تردد وحيثما وجدت ارادة القتال في اثناء معارك لبنان كانت فعالية الاسلحة السوفييتية موجودة ومعترف بها، وحيثما لم تتوفر ارادة القتال لم يكن هناك مجال لاثبات فعالية او عدم فعالية الاسلحة السوفييتية، ومثال على ذلك ان نفس الاسلحة الامريكية عندما لم تتوفر لديهم ارادة القتال عند حكام عرب متوفرة لديهم نوعيات عالية من الاسلحة الامريكية لم تتح لها الفرصة لاثبات فعاليتها او عدم فعاليتها في مواجهة اسلحة اخرى، المسألة الجوهرية هي ارادة القتال، وبقدر ما تتوفر ارادة القتال، يصبح هناك اثبات لفعالية هذه الاسلحة وواضح ومعروف للجميع بان جميع ما قيل عن اكتشافات جديدة واسلحة جديدة هو جزء من الحرب النفسية الموجهة ضد الشعوب العربية، وبغرض النيل من جدوى التعاون العربي السوفياتي، ومن فعالية الاسلحة السوفييتية.

اى ان الحديث عن الرداءة المزعومة للاسلحة السوفييتية كان جزءا من خطة الغزو للبنان وكان يهدف تمكين المعتدلين تحقيق اغراضهم الاساسية التي من اجلها دخلوا لبنان.

Digitized by Birzeit University Library

س/ بعد مؤتمر فاس مباشره، اخذت اجهزة الاعلام الاردنية، ورجالات الاردن في المناطق المحتلة، تردد مقولة الاتحاد الكونفدرالي بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ما هي برأيكم ابعاد هذا المشروع وكيف ترونه؟

ج/ لقد كان هناك محاولة مباشرة بعد اضطرار اليمين العربي والرجعية العربية بشكل خاص بالموافقة على قرارات قمة فاس للنقوص عن هذه القرارات ومحاولة تحريفها بحيث تتلاقى من جديد مع مشروع ريغان والملك الحسن نفسه في نفس اليوم الذي صدرت فيه القرارات، قال بأن هذه القرارات هي عبارة عن جسر بين الولايات المتحدة والعرب وهي من شأنها جَسْر الهوة القائمة بين مشروع ريغان والمشاريع العربية السابقة، واثناء رياسته للجنة السباعية التي زارت واشنطن قال في اعقاب لقائه مع ريغان: ان من الضروري دمج قرارات فاس ومشروع ريغان وقرار مجلس الامن ٢٤٢، واستخراج حل من خلال هذا الدمج، ونظرة لهذه المشاريع المختلفة نلاحظ ان هناك بين قرار مجلس الامن ٢٤٢ وبين قرارات فاس تشابه في عدد من النقاط لكنها تفترق في القضية الاساسية وهي مسألة الدولة الفلسطينية المستقلة الموجودة في قرارات فاس والغير موجودة في قرار مجلس الامن، الامر الذي يشير لاستعداد اليمين العربي للتنازل عن قرارات قمة فاس في محاولة للتلاقي مع المشروع الامريكي، وفي نفس الفترة اخذت تصدر تصريحات من الملك حسين وعدد من المسؤولين الاردنيين، عن ان القضية الفلسطينية هي قضية فلسطينية اردنية قبل ان تكون قضية عربية ومن الضروري ان هناك وحدة او شكل من اشكال الوحدة بين الاردن وبين الضفة الغربية والقطاع وكان واضحاً ان هذا الطرح في اعقاب قمة فاس وفي اعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان وفي اعقاب خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، وفي اعقاب الاعلان عن مشروع ريغان، يستهدف الوصول الى نقطة يمكن من خلالها التعامل مع مشروع ريغان الذي يعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة، ويصر على ربط الاراضي التي يمكن استعادتها من الضفة الغربية وقطاع غزة، بالاردن. ولذلك في تقديري كان موضوع الوحدة الكونفدرالية او اي شكل من اشكال الوحدة هو عبارة ثانية او ترجمة عربية لعبارة ريغان نفسها بانه يجب ان يكون هناك ارتباط ما بين الضفة الغربية وبين الاردن، رغبة في التلاقي مع مشروع ريغان والتعامل معه رغم ان قرارات فاس كانت صريحة تنص على قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، بالطبع الوحدة هنا، واي واحدمنا يؤيد الوحدة ويعتبرها مطمح الشعوب العربية جميعها الا انه من حقه ان يتساءل، لماذا هذه العواطف الوحدوية الاردنية دائما تتجه للغرب فقط ولا تتجه للشمال او الجنوب؟ مع ان هناك دول عربية مجاورة للاردن في الشمال والشرق والجنوب، اذاً عواطف الوحدة عُيّن لها طريق واحد تقطعه عبر جسر اللنبي ولا تتجه شمالا من الرمثا الى درعا مثلا، ومن جهة اخرى يبدو الامر غريب جداً، الحديث عن وحدة مع ارض وشعب لا زال رازح تحت الاحتلال قبل تحرير هذه الارض وهذا الشعب من الاحتلال الا ان هذا يوضحه اكثر، اصرار اجهزة الاعلام الاردنية بان هذه الوحدة هي الطريق الوحيد لتحرير الارض وبمعنى آخر حينما تتذكر بان هذه الاجهزة تؤيد مشروع ريغان يراد ان يقال لنا بان مشروع الوحدة الان هو تجاوب مع مشروع ريغان ومعنى ذلك تسهيل عملية تنفيذ مشروع ريغان وبمعنى آخر اعلان الوحدة الآن بدأ

Digitized by Birzeit University Library

تطبيق مشروع ريغان ، فيما يتعلق بالالتزامات العربية ، قبل ان يقبل الطرف الاسرائيلي والامريكي ، بخصوص قضية استعادة الارض مقابل اقراره بمبدأ عودة الارض للعرب ، والمسألة المهمة ايضا واضحة ، انه ليس له اى هدف عملي طالما ان الارض تحت الاحتلال الاسرائيلي لكن له هدف عملي في تسهيل عملية التفاوض ضمن اطار كامب ديفيد مع امريكا واسرائيل بمعنى تجاوز عقبة عدم الاعتراف ب م.ت.ف تجاوز عقبة الرفض الامريكي لاسرائيل لقيام دولة فلسطينية مستقلة وهذا التجاوز يتم من خلال الاعلان عن وحدة بين الاردن وفلسطين وبالتالي يذهب ممثل الاردن بصفته ممثل شيء جديد هو المملكة العربية المتحدة او الدولة الموحدة وهنا تستبعد م.ت.ف كطرف مستقل ، ويستبعد ايضا البحث في موضوع قيام دولة فلسطينية مستقلة باعتبار ان هذه الدولة نفسها او ممثلي هذه الدولة تخلو سلفا عن الحاجة لها بموافقتهم على دمج انفسهم في الكيان الاردني بصيغة من الصيغ الوحدوية هذا هو المقصود والذى لا زال قائما من خلال مشروع الوحدة الكونفدرالية او الفدرالية او اى اسم آخر واضح في هذا السياق ايضا بان اجهزة الاعلام الاردنية تضع مسألة الوحدة كشرط لاستعادة الارض وتحاول ان تثبت على انه اذا كان لا بد من استعادة الارض فالشرط لذلك هو القبول بمبدأ الوحدة ، يعني ان عودة الارض ستتم من خلال الاردن ، ويعني ايضا انها ستتم من خلال مشروع ريغان لانه لا توجد اوراق بيد الاردن لاعادة الارض سوى الاعتماد على مشروع ريغان والاعتماد على الحل الامريكي ، وتضع اجهزة الاعلام الاردنية مسألة عودة الارض في معارضة مع قيام دولة فلسطينية ، بمعنى ، اذا استمر الاصرار على قيام دولة فلسطينية لن تعود الارض ، والسبب طالما ان امريكا تعارض في قيام دولة فلسطينية ولذلك فانها لن تسعى لاعادة الارض للعرب ،

من هذا السياق ايضا يتبين ان حكام الاردن ليسوا متمسكين بمشروع الوحدة الكونفدرالية ، وانهم سيتخلون عنها اثناء المفاوضات ، لان الوحدة الكونفدرالية تعني علاقة ما بين دولتين مستقلتين . وطالما ان امريكا واسرائيل تعارضان في قيام دولة مستقلة ، وطالما ان البرنامج الاردني الرسمي لاستعادة الاراضي المحتلة هو الاعتماد على اميركا فمعنى ذلك ان النتيجة ستكون ما ترضى به اميركا واسرائيل ، وان علاقة ما يستعاد من ارض بالاردن في هذه الحالة ستحددها اميركا واسرائيل . هذا ما يؤدى اليه منطق الاستسلام والاعتماد على واشنطن بدلا من الاعتماد على الجماهير العربية ، والتضامن الكفاحي العربي ، والتعاون مع الاتحاد السوفياتي واصدقاء العرب الاوفياء .

منذ عام ٦٧ حتى عام ٧٥ ، كان الاردن هو المفوض الوحيد بالتفاوض على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، التفاوض على اساس مشروع روجرز ، التفاوض على اساس كيسنجر وخطواته وايضا جرت لقاءات عديدة بين الملك حسين وعدد من المسؤولين الاسرائيليين ، وجرّب الاردن الرسمي ، عدة محاولات من اجل استعادة الارض ، الا انه فشل في استعادة الارض ، وبالتالي لم يكن مطلب الدولة الفلسطينية أو م.ت.ف العائق في استعادة الارض بالعكس ، من هنا اخذت هذه الارض بعداً إنسانياً ، اخذت بعداً يلقى التعاطف الكبير من اوساط واسعة من الرأى العام العالمي ، حيث اصبح ينظر لها العالم باعتبارها وطن لشعب مضطهد ومشرد ، وطن لشعب العالم كله رأى مأساته الحقيقية في بيروت وصبرا وشاتيلا وغيرها من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، في حالة التردد الواسع في العالم العربي من يقبل الفلسطينيين اين يذهب الفلسطينيون لقد جسد هذا المأساة الفلسطينية واظهر بوضوح بان هناك شعب حي ، شعب متمسك باهدافه الوطنية ، شعب يكافح ولدية الاستعداد للتضحية

Digitized by Birzeit University Library

من اجل هذه الاهداف، الا انه في نفس الوقت ليس له وطن، ولذلك طرحُ الارض كوطن يضيف للنضال العربي، قوة العامل الدولي قوة التعاطف الدولي، قوة الرأى العام العالمي الذى اصبح يدرك الان مدى حيوية ومدى الحاح الحاجة لقيام وطن للشعب الفلسطيني ولكن التخلّي عن هذه الارض باعتبارها وطن من خلال القبول بوحدتها مع الاردن وبالتالي من خلال القبول بانه يوجد للشعب الفلسطيني وطن، وهو الاردن، يعني ذلك هو تحويل هذه الارض الى مجرد ارض عادية الى مجرد نزاع حدود بين دولتين متجاورتين ويتساءل الانسان، كم يوجد في العالم اناس قلقون على ضرورة، مجرد توسيع حدود المملكة الاردنية الهاشمية، تتحول كل القضية الى مجرد صراع، كل دولة من الدول المتجاورة تريد توسيع حدودها، والعالم ليس قلقاً ان تكون مساحة المملكة الاردنية الهاشمية ٩٥٠٠٠ كم او ٩٠٠٠٠ كم ولكن العالم قلق وهناك تعاطف هائل ولا زال حول ان هذا الشعب لا زال بدون وطن، ويجب ان يوجد له وطن ولا يجوز ان يبقى في الوضع الذى هو فيه، اذن مسألة الاصرار على دولة فلسطينية الاصرار على وطن مستقل للفلسطينيين يعطي للارض بعداً اخر، وليس مجرد نزاع حدود يعطيها بعداً انسانيا بانها ارض لشعب، وشعب مشرد بحاجة لارض، حتى يقيم ويبني حياته المستقلة عليها وهذا يشكل قوة دافعة واضافيه للنضال العربي، من اجل ارغام المعتدين الاسرائيليين على الانسحاب لكن الصورة تكون معكوسة تماما اذا صورنا المسألة، الدولة الفلسطينية وم.ت.ف، هما المسؤولتان عن عدم اعادة الارض ويكون في هذا دفاع عن الامبريالية الاميركية في محاولة تبييض لصفحة الصهيونية واخفاء وطمس نزعتها التوسعية العدوانية وتصوير الامر كانه مجرد خلاف سياسي حول ان تكون م.ت.ف، تكون دولة فلسطينية أو لا، الجميع يعرف ان السبب الاساسي لعدم استعادة الارض هو النزعة العدوانية التوسعية للصهيونية يضاف له التأييد غير المشروط وغير المحدود من قبل الامبريالية العالمية لهذه النزعة التوسعية العدوانية وليس م.ت.ف ولا مطلب قيام دولة فلسطينية مستقلة لذلك وضع الارض في مواجهة مطلب الدولة الفلسطينية واعتبار الدولة الفلسطينية هي العائق في عملية استعادة الارض هو نوع من المساعدة الدعائية وتبييض لصفحة الصهيونية والامبريالية واصرار على ربط الارض باعتبارها وطن وطرحها امام الرأى العالم العالمي باعتبارها وطن وليست مجرد ارض وهذا يعطي هذا المطلب حيوية اكثر يعطي هذا المطلب تأييداً اكثر، في اوساط الرأى العام العالمي وبالتالي يساعد العرب على استعادة هذه الارض وهذا فرق الف مرة، بين طرح قضية الارض كوطن لشعب بدون وطن وبين طرحها مجرد ارض مثل بقية الاراضي المتنازع عليها بين الدولة الافريقية مثلا، او بين الهند والباكستان في كشمير التي لها من سنة ١٩٤٧ موجودة، هذه قضايا حدود، العالم غير معني فيها لكن شعب بلا وطن وله حق في وطن يجعل الارض لها اهمية واعتبار اكثر ويجنّد ويعبيء قوة عالمية من اجل مساندة الشعب الفلسطيني، من هنا نتمسك نحن في مبدأ الاستمرار في الاصرار على الاستقلال الوطني مبدأ قيام دولة فلسطينية مستقلة وهذا يعطي لهذه الارض مضمون افضل، مضمون انها وطن، ويساعدنا اكثر، وبالتالي الذين يدّعون انهم حريصون على الارض هم ليسوا كذلك في الواقع، والحريصين الحقيقيين على عودة الارض هم المطالبين بوطن للشعب الفلسطيني، وليس المطالبين بدمج الشعب الفلسطيني في اوطان اخرى، هذه هي المسالة الجوهرية والعلاقة بين الارض والدولة التي تحاول الاوساط الاردنية ان تفصل فيما بينها ونحن نسأل اذا كان السبب في استمرار اسرائيل في الاحتفاظ بالاراضي المحتلة من عام ٦٧ حتى الان هي م.ت.ف والدولة الفلسطينية، فلم يكن في عام ١٩٦٧ لا م.ت.ف ولا دولة فلسطينية، اسرائيل لم تغزو الضفة الغربية وقطاع غزة لوجود دولة فل[illegible] لم

Digitized by Birzeit University Library

تكن تغزو الضفة الغربية واحتلت اراضيها لانه يوجد فيها م.ت.ف، وايضا لم تضم هضبة الجولان لـ دولة فلسطينية وهي ليست السبب وعلى هذا الاساس، التوجه من اجل تسهيل مهمة التفاوض على اساس مشروع ريغان، هذا هو الهـــدف من طرح مشروع الوحدة، بطبيعة الحال الحكومة الاردنية ووسائل الاعلام الاردنية كانت تعتقد انها تطرح مشروع حسّاس مشروع قابل للتأثير و لاستقطاب العناصر المرتبطة بالارض وخاصة الفلاحين المهددين دائما بالمصادرة واقامة المستوطنات في اراضيهم، وحول قراهم واتبعت هذا الطرح كما شاهدنا، غير الصحيح والمخادع، بمجموعة الاجراءات الادارية والاجراءات المالية، بهدف استقطاب اوساط جديدة لصالح هذه الوحدة وايضا حاولت

استغلال العواطف الوحدوية الحقيقيه الموجودة، حقيقة في ضمير ابناء الشعب الفلسطيني التي تُميز على الدوام، حركة التحرر الفلسطينية منذ القدم، من اجل استقطاب مجموعة كبيرة جدا من القوى والاوساط لصالح الوحدة في ظاهر المسألة، بطبيعة الحال كانت الوحدة وباطنها كانت الدعوة للموافقة على مشروع ريغان الدعوة لانتزاع تفويض من الشعب الفلسطيني كبديـــل لـ م.ت.ف. في مفاوضات الادارة الذاتية مع مصر واسرائيل ولا شك ان هناك اوساط في داخل الارض المحتلة لها مصالح طبقية محددة وهي تنظر للوحدة من منطلق طبقي صرف منطلق وحدة السوق منطلق وحدة المصالح الاستثمارية منطلق الرغبة في الاستفادة للعيش في ظل نظام سياسي يعزز قدراتها الدفاع عن المصالح الطبقية الانانية في وجه القوى التقدمية الوطنية في المناطق المحتلة، وفي اوساط الشعب العربي الفلسطيني بشكل عام وبعبارة اخرى فهي تبحث عن مزيد من الضمانات لمصالحها من خلال الارتباط بنظام سياسي يتميز بالقمع والارتباط بالامبريالية بمعارضة اي توجه نحو التقدم والديمقراطية. هذه القوة حاولت وكأنها جوقة واحدة مع اجهزة الاعلام الاردنية، حاولت افتعال خلافات وانقسامات داخل المناطق المحتلة، ووضعت ما اسمته وثيقة السلام واخذت تحاول الحصول على تواقيع على عريضة، وهي بطبيعة الحال مشاركة في الضغط الاميركي الاردني على م.ت.ف وهي تضمن الشروط الاميركية وفي نفس الوقت في مطلع هذه العريضة اشارة الى أن الموقعين يعتبرون انفسهم جسم سياسي وطرف في أي مفاوضات وفي أي حل يجري او يتم الحديث عنه بخصوص القضية الفلسطينية فوجدت هذه العريضة معارضة كبيرة جدا فرضت على اصحابها والاخرين ادخال تعديلات عليها، الا ان هذه التعديلات ايضا فشلت، هذا من جهة ومن الجهة الاخرى حاولت امريكا استخدام الورقة الاسرائيلية للضغط على الاردن، من هنا نجد ان مشروع الحل الاميركي حاول استخدام الورقة الاردنية للضغط على الاردن وعلى م.ت.ف بشكل خاص ويتم ذلك من خلال روابط القرى ومن خلال تهديدات شارون ومن خلال الضغط الاميركي المباشر على حكام الاردن بضرورة اشراكهم في مفاوضات الادارة الذاتية جنبا الى جنب مع مصر وهذا الضغط عبّر عنه اكثر من مسؤول امريكي اخرهم شولتز في تصريح له بان الجهود الان تبذل من اجل ادخال الاردن الى جانب مصر في مفاوضات الادارة الذاتية ونحن نعلم ماهية الجهود الامريكية وماذا تعني لاقناع (الاردن) بالمشاركة في مفاوضات الادارة الذاتية.

ويوجد الان دعوة لمصطفى دودين للذهاب الى امريكا وهذا ايضا شكل من اشكال الضغط وشكل من اشكال الاشارة وتعني اذا لم تتوفر قيادة بديلة افضل من دودين فليكن ممثل، بطبيعة الحال ومن المؤسف انه في بعض الحالات يجرى نوع من التنافس بين بعض قوى مختلفة تماما في منطلقاتها، مختلفة تماما في توجهاتها السياسية، مختلفة تماما في موقفها من حل القضية الوطنية، على ارضاء امريكا، ومؤخرا صدرت بعض الاشارات وكان هناك حل امريكي او ان هناك امكانية

Digitized by Birzeit University Library

لاستعادة الاراضي المحتلة بواسطة امريكا وفي تقديري لا يوجد حل امريكي ولا يوجد شيء اكثر من كامب ديفيد او من بعض التزويقات البسيطة، ونحن نعرف ان اي حل يجب ان يكون انعكاسا لميزان القوى في المنطقة واذا كان ميزان القوى مختل لهذا القدر من الاختلال الذي تشهدة المنطقة في الوقت الحاضر والذي هو اسوأ من الخلل الذي كان موجودا عند توقيع اتفاقية كامب ديفيد، فليس من المتوقع الحصول على نتائج افضل من اتفاقات كامب ديفيد، وليس من اجل حل افضل قامت الامبريالية الامريكية بدعم اسرائيل وتحريضها لغزو لبنان وليس من اجل حل افضل جرى ذبح الاف اللبنانيين والفلسطينيين في لبنان وجرى تعريض السلام العالمي للخطر خلال غزو لبنان وليس من اجل حل افضل جرى اخراج الفلسطينيين من بيروت وتوزيعهم في الاراضي العربية وليس من اجل حل افضل يجرى الان فرض شروط مسبقة لصالح اسرائيل وامريكا على العرب ويطالبوا بقبولها سلفا قبل الجلوس على مائدة المفاوضات، وشيء اخر من الصعب جدا تصور العدوانية المتزايدة للامبريالية الامريكية يفرز عنها حل فيه مكاسب لحركة تحرر وطني، فالامبريالية الامريكية ترسل قواتها ومستشاريها العسكريين لاجهاض حركات التحرر الوطني في امريكا الوسطى، وتنظم المؤامرات المتعاقبة على بلدان عديدة في اسيا وافريقيا، بهدف تصفية مكاسب هذه الشعوب، وتصفية حركاتها التحررية وليس من المعقول ابدا ان تكون حركة التحرر الوطني الفلسطيني مستثناه من المعاملة الامريكية من النهج العدواني الاميركي المعادي لحركات التحرر المعادي لقوى الثورة في العالم، ولا يوجد اي مبرر ان تغير الامبريالية الامريكية طبيعتها، في حالة واحدة استثنائية، في ظروف الانفراج الدولي فقط ممكن ايضا ان تلعب العوامل الدولية دورها الهام في ارغام الاسرائيليين على الانسحاب، فكلما ازدادت عدوانية الامبريالية الامريكية، ازداد اعتمادها على اسرائيل كحليف استراتيجي يقل اهتمامها في الضغط عليها او باغضابها، ونحن نلاحظ الان الغطرسة الاسرائيلية ونلاحظ الان الرفض الشرس من قبل اسرائيل لاى اقتراح يوجه حتى من ريغان لان اسرائيل تعرف تماما انها هي لازمة وضرورية جدا، طالما ان هذه السياسة العدوانية الاميركية تتأكد اكثر فاكثر وطالما ان امريكا تتخلى عن سياسة الانفراج الدولي لذلك اسرائيل تدرك تماما ان سياسة عدوانية امبريالية تتبع في انحاء العالم تجعل دور اسرائيل كبير جدا في المنطقة، ولذلك كل الكلام الذى تتحدث عنه امريكا هو مجرد بيع كلام للدول العربية لا اكثر ولا اقل، فقد قيل ان الكونغرس الاميركي بعد بيروت وبعد صبرا وشاتيلا اصبحت عواطفه ضد اسرائيل الا انه في الايام الاخيرة، لجنة الاعتمادات الخارجية التابعة للكونغرس قررت زيادة المساعدات لاسرائيل عن المساعدات التي طلبتها الادارة الاميركية وهذا يؤكد ان القوى الاكثر عدوانية هي التي تُسيّر سياسة امريكا ولذلك تحالفها الاستراتيجي مع اسرائيل يزداد ويتوثق اكثر فاكثر، وهذه السياسة ادركتها الاوساط الحاكمة في اسرائيل، وبالتالي تتصرف بعنجهية وشراسة وتدرك ان امريكا لا يمكنها ابدا ان تتخلى عنها او تتناقض معها، ومن هنا، حلّ امريكي كما تتوقع بعض الاوساط العربية ينتج عن مشروع ريغان ويكون فيه شيء لصالح العرب او ان يكون متقدم عن التفسير الاسرائيلي لاتفاقات كامب ديفيد، هذا وهم كبير جدا وهو محاولة، غير انه وهم، محاولة لالهاء الشعوب العربية عن حالات قصور وتخاذل واستسلام اليمين العربي وهو محاولة لصرف انظار الشعوب العربية عن مسؤولية الانظمة العربية في الخلل القائم الان في توازن القوى في المنطقة وهو محاولة لصرف انظار الشعوب العربية عن اتجاه السير الصحيح من اجل استرداد الارض المحتلة وهذا الاتجاه الذى في يد العرب امكانيات هائلة جدا لفرضه في المنطقة بالقوى المتواجدة لديهم الامكانيات الاقتصادية الهائلة

Digitized by Birzeit University Library

بالقدرة بالضغط على الامبريالية الاميركية بالبترول ، بالاسواق ، بالاموال الضخمة والاستثمارات الهائلة الموجودة في البنوك الاميركية وبالاسواق المفتوحة ، ليس فقط للبضائع كالشركات الاحتكارية الاميركية التي تنفذ ببلايين الدولارات، وعلى سبيل المثال شركة شولتز وايمبركر لديها مشروعين في السعودية رأسمالها عشرون بليون دولار وهذين المشروعين لشركة بكتل وهذه الامكانيات الهائلة للضغط في ظل وجود حوالي ١١ر٥ مليون امريكي عاطل عن العمل فتوقف هذه المشاريع ومقاطعة امريكا تجاريا واقتصاديا من شأنها ان تضخم الازمة في حدود هائلة جدا في امريكا وتجعل واحداً مثل ريغان يفكر الف مرةقبل ان يبقى في حالة استهتار بالعرب وقدراتهم وامكانياتهم هذا الشيء الاساسي فيما يتعلق في مشروع ريغان ونشاطات رجالات الاردن وبطبيعة الحال الملك الاردني سيغادر الى امريكا في ٢١ كانون ثاني لمقابلة ريغان ونستطيع سلفا ان نقول بان هذه الزيارة لن تختلف عن سابقتها الا في الشكل وفي وسائل اخراج الكلمات والتعابير لكن قضية الارض وقضية انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي المحتلة لن يكون من خلال امريكا لكن اليمين العربي يحاول التقاط انفاسه لانه مصر على تجنب الطريق الصحيح لاسترداد الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ او حتى من عام ١٩٤٨ واليمين العربي والرجعية العربية تنتهج خط الاعتماد على الامبريالية الاميركية وبسبب هذا النهج ، ضاعت حقوق الشعب الفلسطيني ، وضاع مزيد من اراضي الدول العربية ، بسبب الاعتماد على هذا الخط، والان ايضا ، يراد الاعتماد على هذا الخط، وبالتالي تجربة ٣٤ عاما من الاعتماد على هذا الخط، نستطيع ان نؤكد بان الاعتماد على الامبريالية الاميركية مصيرة ضياع المزيد من الارض وليس استرداد اراضي ضائعة من الشعوب العربية، وفي واقع الحال، ان هذه الاوهام عند البعض والنوايا السيئة عند البعض الاخر في محاولة صرف انظار الشعوب العربية عن اعدائها الحقيقيين وعن خط السير الصحيح الكفاحي من اجل استرداد الاراضي المحتلة وهي تحديدا الاعتماد على الجماهير العربية والاعتماد على تضامن كفاحي عربي وعلى الطاقات والثروات العربية والامكانات الهائلة المتوفرة لدى العالم العربي مع حشدها وتعبئتها لصالح استرداد الاراضي العربية ولصالح استرداد حقوق الشعب الفلسطيني والتعاون الوثيق مع الاتحاد السوفييتي بل التحالف الاستراتيجي مع القوى الثورية العالمية مع كل المناصرين للشعوب العربية وللشعب الفلسطيني ، فمحاولات اليمين العربي والرجعية العربية قصيرة الامد ومصيرها ان تتكشف سريعا ولا يبقى امام الشعوب العربية الا النضال من اجل خلق اوضاع في العالم العربي تأمن وتضمن القدرة على السير في هذه السياسة في خط السير الصحيح

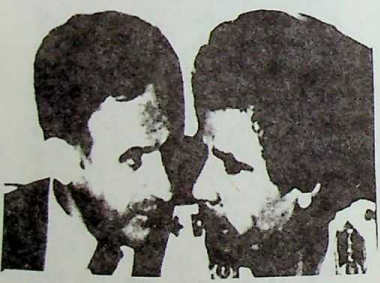

اشكال التصدى

وقفت

عاجزة !

Digitized by Birzeit University Library

جاءوا للوقوف في صف المعزين

س/ بموضوعية لا تعيب منظمة التحرير مطلقا، نقول ان المنظمة منيت بخساره عسكرية جراء العدوان على لبنان، لكننا ندرك انها حققت مكاسب سياسية كبيرة، وفي الوقت الذى كان المقاتلون الفلسطينيون ومعهم القوات الوطنية اللبنانية يواجهون العدوان ويتصدون له في معارك غير متكافئه على الاطلاق كانت الانظمة العربية تقف متفرجه، وتمارس عهرها يوما اثر يوم على ضو ما حدث ولا يزال، كيف تتصور المسلك الصحيح للمرحلة المقبلة؟

ج/ بلا شك بعد خروج م.ت.ف من لبنان اصبح هناك مجال وضرورة لتقييمات جدية لوضع المنطقة، لمتطلبات مواصلة النضال من اجل استرداد الاراضي العربية المحتلة وقيام دولة فلسطينية مستقلة، بلا شك، كان واضحا، ان هناك تفهم اوسع من قبل الرأى العام العالمي لقضية الشعب الفلسطيني وايضا طالب هذا الرأى العالمي المتعاطف بضرورة طرح مطالب محددة وواضحة من قبل الشعب الفلسطيني، يمكن من خلال تحقيقها ايجاد تسوية عادلة وكان هناك ايضا طرح من قبل اوساط غير متعاطفة، من قبل اوساط معادية تحاول استغلال الوضع غير الملائم والناشئ بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت لفرض مواقف معينة على الشعب الفلسطيني وعلى م.ت.ف وهنا لا بد ان نفرّق بين الذين يطالبون م.ت.ف بالتخلي عن حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني وبالتخلي عن مطلب الدولة المستقلة وبالقوى المتعاطفة والمؤيدة للشعب الفلسطيني والتي هي ايضا تطالب باتخاذ موقف محدد واقعي يتناسب مع قرارات الامم المتحدة ويتناسب ايضا مع مواقف قوى مؤيدة للشعب الفلسطيني والمؤيدة للسلام في بلاد كثيرة في العالم ولكن هناك قضية اساسية وهي انه من خلال موقف اليمين العربي المتواطئ ومن خلال موقف الامبريالية الاميركية المساندة والمؤيدة بنشاط للغزو الاسرائيلي من خلال الموقف المتذبذب لبعض دول اوروبا الغربية الاقرب الى موقف الامبريالية الاميركية والمحاول ان يكون سمسار للامبريالية الاميركية تحت اقنعة مختلفة وتحت ادعاء تأييد الشعب الفلسطيني مثل موقف بريطانيا، من خلال هذا كله تتبين الحاجة الاساسية امام م.ت.ف لتعميق علاقاتها مع القوى الثورية العربية بعد ان تبين ان الانظمة العربية خالفة ومتواطئة في احسن حالاتها حليف متضامن وغير مضمون ولا يعتمد عليه، وايضا تعميق علاقات التحالف مع الاتحاد السوفييتي مع الدول الاشتراكية مع القوى الثورية العالمية بعد ان تبين ان الدور الاوروبي الغربي

Digitized by Birzeit University Library

وامريكا ، هي ايضا لا يوجد لها شيء او هي مديق منافق وعلى الاقل لا يريد ان يقدم شيئا مؤثراوفعليا في نضال الشعب الفلسطيني ان لم يكن عائقا ،ومحاولةً ادخال الشعب الفلسطيني في متاهات لا تفيد قضيّة،من ناحية ثالثة كان واضحا بعد الخروج من بيروت ان الحاجة تزداد اكثر من السابق وان كانت في رأيي موجودة في السابق ايضا لكن الجديد، توثيق علاقة المنظمة بالجماهير الفلسطينية بضرورة التفاعل مع الجماهير بضرورة تفعيل وتنشيط نضال هذه الجماهير،ومثلما سمعنا اقر المجلس المركزي الفلسطيني بان ساحة المناطق المحتلةهي الساحة الرئيسية في الصراع في الوقت الحاضر وبطبيعة الحال كان هذا الشيء معروف من قبل وخاصة اثناء النضال ضد اتفاقات كامب ديفيد وهناك قوى عديدة كانت تدرك هذا وان كانت لا تعترف بهذا الواقع من خلال عمليات الدعم من خلال النقابات ومن خلال المؤسسات الجماهيرية مما يتطلب التفكير في اطارات جديدة والتفكير ايضا بتوثيق الصلات مع القوى ذات الامتداد الجماهيري الحقيقي داخل الاراضي المحتلة ذات الفعالية الحقيقية

داخل الاراضي المحتلة ويتطلب ايضا ان ينعكس هذا على مؤسسات م.ت.ف وعلى التمثيل فيها ويتطلب ان ينعكس على العلاقات بين القوى المختلفة باحترام لتوازن القوى في الاراضي المحتلة من اجل توفير فرص حقيقية لقيام تحالف حقيقي بين هذه القوى على اساس الاحترام المتبادل وعلى اسس التكافؤ وعلى اساس قيام علاقات تفاعل حي وتأثير متبادل بين الداخل والخارج لمصلحة تفعيل النضال الوطني ولمصلحة النضال من اجل استرداد الاراضي المحتلة و اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ويتطلب مواقف واضحة ومحددة تساعد على تعبئة الجماهير ولا تخدم اثارة البلبلة في اوساط الجماهير وفي رأينا بالطبع لا بد من الاصرار على المطالبة بقيام دولة فلسطينية مستقلة في حدود ١٩٦٧ وعلى تنفيذ قرارات الامم المتحدة بخصوص اللاجئين الفلسطينيين على اساس قيام ضمانات دولية للامن بين اسرائيل والدولة الفلسطينية ومن شأن هذا ان يجد تفهم واسع على الصعيد الدولي وبالتالي يعزز التضامن العالمي مع حركة الشعب الفلسطيني ومن شأنه ان يطرح امام الجماهير هدف واقاق مرئية لحركتها ونضالها وتضحياتها .

س/ لا شك ان حركة التحرر العربية تمر في ازمة ،فالامبرياليةاستطاعت تحقيق بعض الانتصارات في المنطقة العربية،على مدار السنوات الخمس الاخيرة،وبالتحديد منذ اتفاقات كامب ديفيد وانتهاء بدخول لبنان على شكل قوات حفظ السلام. رغم دعمها المستمر للعدوان على الشعبين الفلسطيني واللبناني ،ومسؤوليتها المباشره عما جرى حتىالان ،بالمقابل كانت اشكال الرد على ضربات الامبريالية ومخططاتها هذه لصدها ليست بالمستوى المقبول،فلا جبهة الصمود والتصدى ولا مؤتمر الشعب العربي العامل ولا غير ذلك من اشكال الرد العملي ،استطاعت التصدى أو وقف هجمات الامبريالية والعدوان الاسرائيلي فقد اثبتت التجربة ان تلك الصيغ وقفت عاجزة ،وتميزت مواقفها بالميوعه وعدم الثبات... الا ترون انه يجب البحث عن بديل ، فما هو هذا البديل برأيكم ؟

ج. بلا شك هناك ازمة ولا يجدى ابدا عدم الاعتراف بوجود هذه الازمة ولكن في رأيي ان هناك حاجة لتصحيح بعض العبارات حول هذه المسألة وهي ازمة ليست لمجموع حركة التحرر العربية بل هي ازمة للفئات الطبقية القائدة في حركة التحرر العربية للفئات الاجتماعية التي جاءت على رأس هذه الحركة في فترة الخمسينات والستينات فئات برجوازية صغيرة،التي وصلت للسلطة وتحولت تدريجيا الى برجوازية بيروقراطية وبرجوازية طفيلية والتي هي عمليا جمدت بسبب العدوان

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ وبذريعة العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ عملية اكمال مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية في بلدانها وفي حقيقة الحال كان هذا التجميد اشارة ايضا الى ان هذه القوى بلغت مداها الثوري واستنفذت الجزء الاعظم من طاقتها الثورية اوكلها .

وهذه في حقيقة الحال خلقت حالة من الفراغ في اوساط المجتمع العربي حيث ان اوساط من البرجوازية الصغير تحولت الى برجوازية بيرقراطية طفيلية ولكن القسم الاعظم من البرجوازية الصغيرة بقي في مواقعة وبقي لدية طاقاته الثورية وبقي عندة طموحه في التقدم الا ان القوى الحاكمة استطاعت امتصاص الكثير من هذا في صرف انظاره ولعب العدوان الاسرائيلي دورا في تجميد حركة هذه الفئات، الفئة الواسعة الاجتماعية التي تشكل غالبية عظمى داخل المجتمع العربي والحالة الموجودة الان هي ان حركة التحرر العربية تقف على مفترق طرق والقوى المهيمنة والقوى المسؤولة على رأسها كما اشرنا فقدت قدرتها على مواصلة السير في طريق المواجهة الحازمة للامبريالية وطريق استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية على الصعيد السياسي والاقتصادى والاجتماعي وهي تتراوح مكانها او تتراجع كما حدث في مصر الا ان جماهير البرجوازية الصغيرة في حالة تردد، تتميز بعدم القناعة بقيادة هذه الاوساط من جهة، ولكن في نفس الوقت، عدم رؤيتها وادراكها للبديل لهذه الاوساط فهي موجودة في حالة مراوحة بين الطبقة العاملة وقيادتها السياسية وبين القوى التي تزعمت حركة التحرر العربية في الخمسينات والستينات، بطبيعة الحال عملية قيام تحالف بين هذه الفئات الاجتماعية وبين الطبقة العاملة عملية تحتاج لتوفر عدد من الشروط بعضها موضوعي وبعضها ذاتي لكن يبقى الشيء الاساسي وهو ان احزاب الطبقة العاملة تلعب دورا نشط، في اثبات جدارتها على القيادة واقناع هذه الجماهير بقدرتها، وفي نفس الوقت تعمق التناقضات، وبروز عدم كفاءة الفئات الوطنية الحاكمة للاضطلاع بمسؤوليات المرحلة الراهنة الذى يلعب دورا في اقناع هذه الفئات أن تلتفت للطبقة العاملة والتحالف معها وهناك بطبيعة الحال كوابح عديدة، كوابح اولا موضوعية ، تتعلق بعقلية المالك الصغير (البرجوازى الصغير) وخوفه التقليدى من الطبقة العاملة من قيادتها السياسية من شعاراتها والى جانب ذلك هناك كوابح ايديولوجية موجودة في الايديولوجيات السائدة والتربية السائدة وامكانية التغلب على هذه الكوابح يتم بالتفاعل وبالجهود المشتركة من جهة تعمق الهوة بين جماهير البرجوازية الصغيرة وبين زعامتها التقليدية التي كانت على رأس حركة التحرر خلال الخمسينات والستينات وايضا قدرة احزاب الطبقة العاملة على لعب دور المرشد لهذه القوى ان مكانها بهذا

التحالف مع هذه القوى عبر عملية ربما تكون بطيئه، لكن تجاوزمختلف الكوابح والعراقيل الايديولوجية الموجودة في ذهنيـــة

المالك الصغير والمخاوف التي تكون لديهن الطبقة العاملة والتحالف معها، ولكن في تقديرى المسيرة الموضوعية هي من اجل هذا التحالف كمخرج من الازمة الحالية وبقدر ما نرى المسيرة الموضوعية ذاتيا تحاول تسريعها بقدر ما نخرج من الازمة الحالية وفي تقديرى يستحق التفكير بشكل جدى وان تأخذ احزاب الطبقة العاملة على عاتقها القيام بمبادرات لاقامة تحالفات مع اكثر الفئات واكثر القوى ثورية مع اكثر عناصر البرجوازية الصغير تنورا في العالم العربي من اجل توسيع هذا التحالف الكبير ، التحالف الجديد ، التحالف التاريخي الجديد وان تبدأ عملية توفير الاسس الذاتية لتسلم الطبقة العاملة قيادة هذا التحالف وهو قادر على انجاز المهمات الثورة الوطنية والانتقال الى الثورة الاشتراكية وانهاء حالة الجمود الحالية وخلال هذا ايضا تتوفر سبل لامكانيات تحسين توازن القوى في المنطقة والتوصل لحل عادل وتسوية وسلام

Digitized by Birzeit University Library

س/ يتردد الان الحديث عن "فائدة" الاعتراف المتبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير،هناك دوائر وجهات عربية،تنشط في هذا الاتجاه.. ما رأيكم في ذلك ؟

ج. المسألة ليست قضية اعتراف متبادل وليست القضية الإساسية،مثلا هناك اعتراف متبادل بين حركة سوابو وبين جنوب افريقيا بدليل انهم قاموا بعقد اجتماع مشترك في جنيف للتفاوض حول مستقبل ناميبيا لكن لن ينجح شيء ولم يتحقق استقلال ناميبيا وكان واضح ان جنوب افريقيا وامريكا الذين كانوا وسطاء في هذا الموضوع يحاولون استبعاد حركة سوابو من قيادة الدولة المستقلة الناميبية في المستقبل ويحاولون الالتفاف على مطلب شعب ناميبيا للاستقلال الوطني بقيادة حركته المسماه سوابو،ومثال اخر امريكا تعترف بسوريا ويوجد بينهم علاقات ديبلوماسية،وتفاوضوا وتحدثوا كثيرا ومع ذلك لم ينقذ الجولان،والقضية ليست قضية اعتراف متبادل بين حركة وبين دولة قائمة فهنا الحديث عن اعتراف بان للشعب الفلسطيني حق في تقرير مصيرة ام لا،هذه هي النقطة الجوهرية،فاسرائيل دولة قائمة،مطلوب منها الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيرة،وانا افضل ان يكون الاعتراف ضمن صفقة شاملة وليس تجزئة الموقف العربي بحيث لم يبقى شيء،بدأت اولا بالوحدة مع الاردن وهذا بالتالي شطب م.ت.ف كممثل شرعي للشعب الفلسطيني واستقلالية المنظمة وشطب الدولة المستقلة،واخر شيء يطرحونه عليه هو موضوع الارض وبالتالي نخرج بدون شيء اطلاقا ولكن ضمن مؤتمر دولي تطرح فيه كل القضية بدون استثناءات،انسحاب اسرائيل وقيام دولة فلسطينية مستقلة،واعتراف متبادل، هنا يكون ذلك صحيحا،ولكن النقاش في قضية واحدة،ياخذون من العرب،وبعدها لا شيء،فهنا لا يوجد جدوى من هذه المسالة، واذا كان لا بد من استخدام صيغة الاعتراف المتبادل فلتكن اعتراف متبادل بحق تقرير المصير ،وليس اعتراف بين اسرائيل و و م.ت.ف بل اعتراف بحق تقرير المصير ، بحق اسرائيل في الوجود وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيرة وقيام دولة فلسطينية مستقلة في حدود ١٩٦٧ واذا كان هناك من احد يرغب في ذلك فليكن اما ،مجرد ان تعترف اسرائيل ب م.ت.ف لا يعني استعداد اسرائيل للانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ولا يعني قيام دولة فلسطينية مستقلة ولدينا مثل ساطع مصر قامت بالاعتراف باسرائيل وجرى هناك، تبادل في العلاقات الديبلوماسية ولكن ذلك لم يمنع اسرائيل ان تستمر في طابا المصرية لم يمنع اسرائيل من ان ترفض اعادة قطاع غزة لمصر ولو كان السادات قادرا على استعادة القطاع،فلن يغضب احد،لان وجود القطاع في مصر اضمن من وجودة تحت الاحتلال الاسرائيلي ولكنهم رفضوا اصلا مبدأ الحديث حول قطاع غزة،وحتى رفضوا مبدأ البحث في مسالة الادارة الذاتية لقطاع غزة وحدها ، فكل الشروط التي طلبوها من السادات وا فق عليها،الا ان ذلك لم يعد له قطاع غزة ، وسوريا وافقت على قرار مجلس الامن وكل الشروط،لكن ذلك لم يمنع اسرائيل ليس فقط من عدم اعادة الجولان بل من ضمه لها واعتباره جزءا من اسرائيل ولا نستطيع أن نسمي الاعتراف المتزامن المطروح حاليا سوى محاججات لفظية وليست هي جوهر المشكلة بل جوهر المشكلة،هل هناك استعداد للاعتراف بحق تقرير المصير للشعب

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني ام لا؟وهناك يصبح مجال للحديث عن اعتراف بحق ا سرائيل بالوجود مقابل الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني مع ان ذلك مضمون اصلا اى عندما تطالب بدولة مستقلة في حدود عام ١٩٦٧ فأنت ايضا جاهز ان تعترف باسرائيل وان يكون هناك ضمانات متبادلة بين الطرفين ، فليست اسرائيل خائفة على نفسها بل الدولة الفلسطينية ، حيث شاهدنا تجربة لبنان فماذا تعني الضمانات الامنية عند اسرائيل ، فهناك اتفاقات بينها وبين لبنان وهي اتفاقات الهدنة ، وكان ايضا بينها وبين م ـ ت ـ ف اتفاق وقف اطلاق نار ومع ذلك فان هذا لم يمنع اسرائيل من ان تحتل اراضي لبنان وفي الوقت نفسه تقوم بمطالبة لبنان بغير المطالب التي من أجلها احتلت اراضيه ، حيث قالت في البداية انها تريد ابعاد الفدائيين من ٤٠ ـ ٤٥ كم فتجاوزت هذه المسافة ، فيما بعد طالبت بابعادهم من بيروت وجرى ذلك ، والان تريد ابعاد السوريين والفلسطينيين من لبنان ، وهؤلاء اعلنوا انهم بمنطقة امنية في حدود ٤٠ ـ ٤٥ كم ، يكون لها حق الاشراف عليها والمشاركة في الاشراف عليها ، وتصر على ان تكون المفاوضات في القدس وبيروت وتصر على ان يكون غير ذلك معاهدة صلح وهذا يؤكد على ان هناك سلسلة مطالب اسرائيلية موجهة للانتقاص من سيادة لبنان والسيطرة وجعله دولة تابعة لاسرائيل فالقضية ليست الاعتراف المتبادل فلبنان معترف اعترافاً متبادلاً باسرائيل وهناك مطالبة بخروج اسرائيل من لبنان ولكن اسرائيل ترفض ذلك ، وهذا يدل على ان المسألة اى مسألة الاعتراف المتبادل بكليتها مجرد مماحكة كلامية لا اكثر ولا اقل وليست هي المشكلة واضيف بان عدم اعتراف م ـ ت ـ ف باسرائيل لا يخلق لها مشكلة فموضوع الاعتراف المتزامن لا يعني سوى كل ما تقدمت مطالب ، وتمت الاستجابة لها ، يعني المزيد من التنازل فالاعتراض هنا على النهج ، نهج الاستعداد لتقديم تنازلات امام المطالب الجديدة .

س/ لا شك ان الوحدة الوطنية ، تشكل العمود الفقرى لاى مكاسب تسعى الجماهير العربية ، والشعب الفلسطيني بالذات الى تحقيقها ، ولعلكم تدركون ان عدم تحقق ذلك بشكل مقتلا للعمل الفلسطيني ، ولقد شهد العالم في مرحلة التحرر الوطني نماذج واشكالا مختلفة للوحدة الوطنية ، مع الاخذ بعين الاعتبار الظرف الفلسطيني الموضوعي ، وتواجد الشعب الواحد في ظروف مختلفة ، على ضوء ذلك ما هو تصوركم للوحدة الوطنية؟

الوحدة الوطنية في الاساس هي وحدة طبقات اجتماعية لها مصلحة مشتركة في تحقيق قضية واحدة مشتركة أو هدف مشترك واحد واساس الوحدة الوطنية الفلسطينية هو وجود قضية مشتركة لمجموع الطبقات والفئات الوطنية الفلسطينية الا وهي الخلاص من الاحتلال الاسرائيلي وحق تقرير المصير باقامة دولة فلسطينية مستقلة ، هذا هو الاساس وهذا لايلغي ابداً وجود تناقضات اجتماعية بين طبقات وفئات اجتماعية مختلفة ولكن هذه التناقضات ثانوية ويجب ان تبقى باستمرار ثانوية ، يجب ان تخضع باستمرار وبمثابرة واصرار للتناقض الرئيسي ، وفي هذا المجال ، لاتزال هناك امور تتطلب استكمالاً حتى تتعزز الوحدة الوطنية ، منها اعتراف بدور الطبقة العاملة وبدور حزبها السياسي ، وايضا اخذة لمكانة الجدير فيه في نطاق هذه الوحدة ، هذا مطلوب حتى تتكامل الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وشيء اخر مطلوب ايضا ، ان تتحدد القوى الاساسية في هذه الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ممثلو الطبقات الاكثر ثباتاً وقدرة على مواصلة النضال من أجل تحقيق الهدف الوطني الفلسطيني صحيح ان كل الطبقات والفئات الاجتماعية الفلسطينية باستثناء افراد ومجموعات صغيرة غير [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

الساحقة من الفئات والطبقات الاجتماعية منيه بالخلاص من الاحتلال الاسرائيلي ولكن ليس جميع هذه القوى بمقدار متساوى وبنفس واحد تعمل من اجل الخلاص من الاحتلال فهناك قوى اجتماعية تقدم تضحيات اكثر من غيرها وتتميز بمزايا كفاحية اكثر من غيرها وعندها طول نفس على النضال والتضحية اكثر من غيرها ولديها مثابرة اكثر من غيرها وتتحمل اعباء ومشاق ومعاناة الاحتلال اكثر من غيرها.وبالتالي هذه في الاساس العمود الفقرى في الوحدة الوطنية لانها هي الاكبر ثبات والاكثر استعداد للتضحية والاكثر قيادة وهي التي اثبتت على مدى السنين الطويلة هذه الحقيقة وبالتالي لا يجوز اذا اردنا فعلا ان لا نقع في تيه، ونعطي للبعض دورا اكثر مما يستحق، من الواجب تحديد القوى الرئيسية في الوحدة الوطنية، وبدون هذا من الممكن ان تعطي قيمة ودور لقوى غير ثابته وغير مثابره في النضال وبالتالي تقع مجموع الحركة في خطر الدخول في تنازلات او مساومات بحكم واقعها الطبقي او ان تلحق الضرر بكل القوى الوطنية، ولذلك انا لا اتفق مع موضوعة كل فلسطيني هو موجود بنفس الوزن في العمل الوطني و ليس كل طبقة وفئة اجتماعية لها نفس الثقل في العمل الوطني، وعلى اساس الدور في العمل الوطني، من هي القوى الرئيسية؟ ومن هي القوى غير الرئيسية وعلى اساس هذا الثقل تصبح المشاركة في اتخاذ القرارات والمشاركة في تحديد نوعية الاطارات اللازمة وفي إشغال المواقع اللازمة ضمن هذه الاطارات ومن هذا تتعزز الضمانات اكثر للوحدة الوطنية ويصبح لها عمود فقرى ترتكز عليه وتستطيع من خلاله صد كل محاولات تمزيقها خاصة وانها ظاهره موجودة في كل حركات التحرر في المنعطفات الخطرة في الظروف الصعبة تبدأ قوى تُظهر ترددا وقوى تظهر رغبة في المساومة، وقوى تظهر خمولا وانعدام همة لمواصلة السير، وقوى تستمر، ويكون لديها الطاقة الكفاحية الهائلة والمخزون الثورى الكبير، وهي التي تستمر في العطاء ونحن نشهد الان في المناطق المحتلة امثلة على هذا الكلام نشهده في العريضة التي تحدثنا عنها في السابق ونشهده في توجهات امريكا نشهده في خروج ، بعض رؤساء البلديات، على قرارات وطنية فيما يتعلق بالعلاقه مع الادارة المدنية ونشهده ايضا في التحول عند بعض هؤلاء من تأييد م.ت.ف لمطالبة والضغط والمشاركة في الضغط على م.ت.ف ونشهده في مسارعة بعض هؤلاء لتأييد مشروع ريغان في الوقت الذى عارضته م.ت.ف والمجلس المركزى الفلسطيني. فهذه قوى ليست مفاجئة لنا ان تأخذ هذا الموقف فمن خلال انتمائها الطبقي قابلة للتذبذب قابلة للمهادنه مع الطرف الاخر، ولديها استعداد للتنازلات والمساومات، وبالتالي لا يمكن وضعها في نفس المستوى مع القوى المشهود لها بالثبات والمثابرة والكفاحية فهذه امور عامة لكن يجب اخذها بعين الاعتبار حتى لا تتأثر الوحدة الوطنية الفلسطينية بتصدعات، ومسألة ثانية هي ضرورة الالتزام بالحوار الديمقراطي والعلاقات الديمقراطية بين مختلف القوى، وضرورة التمسك بالبحث عن القاسم المشترك في مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة واحترام هذا القاسم المشترك، بعيداً عن محاولة طبقة او فئة اجتماعية من خلال مممثليها السياسيين فرض مواقفها على اطراف اخرى، بل يجب باستمرار البحث عن القاسم المشترك .البحث عن محصلة المصالح المشتركة لمختلف الفئات والطبقات الوطنية في المجتمع فهذه شروط من شروط تعزيز الوحدة الوطنية ونجاحها ،ومن الامور المهمة ايضا

Digitized by Birzeit University Library

مراعاة هذه الناحية كليا في التعامل سواء كان مع مؤسسات او مع فئات سياسية بغض النظر عن الطبيعة الايديولوجية ,او عن الانتماءات الطبقية للقوى القائمة في هذه الهيئات والمؤسسات, طالما هي جزء من الوحدة الوطنية وما يحدد نوع ومستوى ومقدار التعامل معها هو مقدار وفعالية عطائها الوطني ,هو خدمتها للقضية الوطنية وخدمتها للهدف الوطني المشترك فهذا هو المعيار اللازم الذي تُعيّر فيه اساليب التعامل مع المؤسسات والقوى المختلفة .

س/ كشفت وسائل الاعلام مؤخراعن اتصالات بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير، هل تعتقد ان هذا يشكل عودة لمقولة أن اوراق الحل بيد امريكا ،وانه لا حل الا عبر البيت الابيض ؟

ج/ في الحقيقة انا لا أرى أي حساسية تجاة أي اتصال بين م.ت.ف وبين امريكا ،لنكن واقعيين، فامريكا هي عنصر وعامل من عوامل الصراع في المنطقة ، وعندما نقول الدعوة لمؤتمر دولي، فهذا يتضمن امريكا ،واعتقد انه امر ايجابي،اذا اعترفت امريكا ب/م.ت.ف ولكن بطبيعة الحال ليس بالشروط الامريكية نفسها،وأعتقد ان كل ما تطلبه امريكا وكل ما تقوله هومجرد ذرائع وامريكا في نهاية المطاف لا تريد م.ت.ف اصلا بأي شكل من الاشكال لانها لا تريد قيام دولة فلسطينية مستقلة اصلا، وبالتالي من باب تحصيل الحاصل ،رفض الاعتراف بالمنظمة هو رفض الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة،ورفض الدولة الفلسطينية هو رفض ، الاعتراف بالمنظمة ولكن امريكا تقوم بمناورات من جهة،لعدم احراج الانظمة الموالية لها،ومن جهة ثانية،لخلق انشقاقات داخل م.ت.ف ومن جهة ثالثة لتخفيف حدة المعارضة لسياستها . عندما طرحت واشنطن مشروع ريغان شطبت م.ت.ف منه ، وهذا المشروع لم يشترط موافقته ،على قيام دولة فلسطينية اذا م.ت.ف اعترفت باسرائيل بل اشترط ان لا تكون دولة فلسطينية بغض النظر عن موقف م.ت.ف وبالتالي أي نشاط وأي جهود من قبل م.ت.ف ليس بالضرورة أن يؤدي الى الاعتراف فيها ،ممكن الاعتراف بها ولكن لا يؤدي الى الاعتراف بدولة وان لم تحصل م.ت.ف على دولة مستقلة يعني ذلك انها فقدت مبررات وجودها فليس هدف م.ت.ف ان تبقى بهذا الاسم بل هدفها تحقيق دولة فلسطينة مستقلة واذا كان الهدف مرفوضاً من قبل امريكا فكل الاعتراف حتى لو تحقق سيكون شكلياً الى حد كبير ولكنه يعطي اهمية سياسية ويعزز المركز السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ولكنني اشك في ان امريكا تعترف ب/ م.ت.ف مهما قدمت م.ت.ف من تسهيلات في هذا المجال وعلى أية حال من الضروري في هذه الاتصالات والمحاولات الحذر الشديد من امريكا الحذر الشديدمن الدخول في منزلقات قد تؤدي الى مزيد من عرقلة الطريق امام قيام دولة فلسطينية ،قد تؤدي الى احداث انشقاقات داخل م.ت.ف ، واحداث عزلة بين م.ت.ف وبين قوى عربية متحررة،واحداث عزلة بين م.ت.ف وبين الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكيه وهذه مسالة في غاية الحساسية وانا لا أرى أنه يجب ان نكون ضد اعتراف امريكا بالمنظمة ،بالعكس هذا شيء ايجابي ولكن المهم هو ان لا يتم هذا الاعتراف على حساب الحق الفلسطيني الاساسي وان لا يتم على حساب المصالح الاساسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وعلاقاتها الدولية والعربية او على حساب الحقوق الفلسطينية..

Digitized by Birzeit University Library

قرار المجلس المركزي - تأكيد على التمسك بهدف الاستقلال الوطني .وهزيمة لدعاة الاستسلام

صادم حكمت

جاءت قرارات الدورة الاخيرة للمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية ،لتمثل تأكيدا جديدا على استمرارية التمسك بأهداف النضال الوطني الفلسطينيوعلى رأسها اقامة الدولة المستقلة .

كما مثلت برفضها الصريح لمشروع ريغان التآمري انتصارا جليا للحركة الوطنية الفلسطينية التي كافحت ضد أوهام اليمين العربي ،ومحاولاته المحمومه لبعث البلبلة والفرقة في صفوف الشعب الفلسطيني ..

ولم يكن غريبا ،أن تسهم التحركات الجماهيرية في المناطق المحتلة،وعلى رأسها تطويق ودثر محاولات زلم الاردن جمع الولاء لمولاهم في عمان،وتأكيد تمسك الجماهير بأهداف النضال الوطني ،في صنع هذا القرار الكفاحـــي ..

Digitized by Birzeit University Library

كما لم يكن مفاجئا ان تبرز العديد من وكالات الانباء والصحف ،الدور المرموق الذى لعبة موقف جماهير المناطق المحتلة ،في سد كل الطرق امام ما يسمى بمشروع الوحدة الذى طرحة النظام الاردني .

لقد كانت قرارات المجلس المركزى، انتصارا للحركة الوطنية ،كما مثلت هزيمة حقيقية لانصار اليمين والرجعية الاردنية. بل ان هذه القرارات قد ذهبت بعيدا في وضوحها حين أكدت (الاعتزاز بتمسك جماهير المناطق المحتلة بحقوق الشعب الوطنية الثابتة ورفضه لكل المحاولات التي تحاول التلاعب بهذه الحقوق وبوحدة تمثيل الشعب الفلسطيني من خلال منظمة التحرير)) وبالاضافة الى ذلك ،فان هذه القرارات قد أغلقت الباب رسميا امام المناورات الساعية لاستقلال التخاذل العام لمعظم الانظمة العربية من أجل تبرير سياسة النظام المصرى واستمرار ارتباطه بكامب ديفيد، وذلك حين أكدت ان أطر التعاون مع مصر مشروطه بتخلي النظام المصرى عن كامب ديفيد . .

وباختصار فان ايجابية قرارات المجلس المركزى ،تنبع من كونها قد وضعت بوضوح حدا فاصلا بين المناورة السياسية المشروعة وبين نهج المساومة الذى تقترحه اوساط اليمن والنظام الاردني على قيادة منظمة التحرير.

ولان هذه القرارات قد شكلت في المحصلة لطمة سديدة للاوساط اليمينية والرجعية في المناطق المحتلة ،فقد استثارت من جانب الاخيرة والتي ما زالت ترزح تحت عبء العزلة الجماهيرية ،موجة من التشكيك ومحاولات الالتفاف على هذه القرارات . .

ولهذا بالذات ،فقد حاولت صحيفة القدس أن توحي ،بأن قرارات المجلس المركزى ذات طابع استشارى وهي خاضعة لموافقة اللجنة التنفيذية .والمجلس الوطني . .

وبذلك فان هذه الصحيفة قد تناست اولا ان اعضاء اللجنة التنفيذية هم اعضاء في المجلس المركزى ولم يعترضوا على قراراته، وثانيا ان قرارات المجلس المركزى ملزمة للجنة التنفيذية . ان هذه الحجة الجديدة، لا يمكن ان تكون سوى استمرار لمحاولة شق صفوف الوحدة الوطنية الفلسطينية الراسخة على اساس التمسك بهدف الاستقلال الوطني.

ان ابواق اليمين تدرك انها أعجز من ان تقف بصراحة ضد الحركة الوطنية ومنظمة التحرير كأطار لها ،ولذلك فانها تفتح صفحاتها لهذا النوع من التضليل المقصود. ولهذا بالذات حاول الاكاديمي صائب عريقات في مقاله المنشور في ٨٢/١١/٢٨ ،الاستمرار في الترويج لفكرة التخلي عن أهداف النضال الوطني واستبدالها بالموافقة على مشروع الملك حسين ،عبر السعي لشق صفوف الحركة الوطنية بالتلويح بأن رفض مشروع حسين هو في مصلحة فئات حزبية معينة. فقد قال بالحرف الواحد (ان المسألة ليست مسألة عواطف او شعارات قد تطرح هنا وهناك من أجل مصالح حزبية او انتماءات . .الخ)) .

ومن الممكن ان تعذر الاكاديمي المحترم على سذاجة طرحه ،وعلى استصغاره لوعي القرار ،بسبب قلة خبرته على ما يبدو سواء بالعمل السياسي او بتاريخ النضال الوطني الفلسطيني . .

فلو انه راجع قليلا هذا التاريخ لاكتشف أن كل القوى المعادية للشعب الفلسطيني كانت دوما تلوح بهذه الخرقة البالية (التخويف من الحزبية والمصالح الحزبية) لاضعاف جماهيرية الحركة الوطنية وتمسك

Digitized by Birzeit University Library

الجماهير بأهداف كفاحهـــا ..

وهي لم تنجح يوما في ذلك ،فهل يأمل هو بعد كل هذه الخبرات الطويلة لدى الشعب الفلسطيني ان تثمر حجتـــه ..؟

غير أن أى وطني لا يمكن أن يغفر للاكاديمى صائب عريقات ،مقاصده حين يطرح تصوره الصريح لمغزى الوحدة المقترحة من قبل الملك حسين ..

فالاستاذ يقول في مقاله (لا يجب المقارنه بين الاردن واسرائيل) ومع ذلك فهو يعقد نفس المقارنه حين يحاول ان يفرض على الشعب الفلسطيني القبول بهذا المشروع للخلاص من اسرائيل وفي نفس الوقت يكشف تصوره لحالة الفلسطينيين في ظل مثل هذه الوحدة حين يقول (ان التقارب الفلسطيني الاردني سيكون (بالنسبة للفلسطينيين) صراع مع السلطة ذات السيادة)) أى انه يفترض مسبقا ،وهو محق ،أن مثل هذا المشروع يعني ببساطة خضوع الفلسطينيين لسلطة النظام الاردني ..

ولكن مقابل ماذا ؟ لا مجال هنا لاعادة الخوض،في ما تؤكده معطيات الواقع من أن القبول بهذا المشروع لن يقدم ليوم واحد الخلاص من الاحتلال ،بل سيفتت كل تلك المنجزات ومصادر القوة التي استطاع الشعب الفلسطيني ان يراكمها عبر نضاله. وبعد كل هذا الوضوح ،وبشكل خاص وضوح الموقف الاسرائيلي ،فان الاستمرار في دعوة م.ت.ف للقبول بالمشروع الاردني ،لا يعني ،الا محاولة سحب البساط من تحت أقدامهاوتسهيل تصفيتهـــا ..

ومن الجلي ان من الواجب التعامل بنفس المنطق مع ما روجت له بعض الابواق ،من أن رفض المجلس المركزى لمشروع ريغان هو رفض غير نهائي.

لقد راهنت هذه الابواق والاوساط التي تمثلها على تأخر أو عدم وضوح الموقف الرسمي لمنظمة التحرير ،فلماجاء هذا الموقف واضحا، عادت تحاول التلاعب بالالفاظ بقصد الانفلات من حقيقة ان موقفها لم يعد فقط متناقضا مع موقف الجماهير الفلسطينية بل وكذلك مع الموقف الرسمي للمنظمة ،ان استمرار الاحتلال بكل مآسية ،هو حافز كبير للحركة والنشاط، ولكن باتجاه خلق ميزان قوى يتيح تغير هذا الواقع المؤلم .وليس باتجاه التفريط بالمكتسبات والاهداف الوطنية كما يريد المشروع الاردني..

وقد جانب الاستاذ صائب الصواب ،حين اعتقد ان العقلانية والواقعية تعني الاستسلام للواقع القائم ،والممكنات البائسة المطروحة من قبل الرجعية ،بل أن الواقعية هي في ادراك الواقع بهدف تحسينه والانطلاق منه لتغيره نحو الافضل نحو خلق ظروف تسمح بتلبية أهداف النضال الطويل والمرير الذى خاضه شعبنـــا ..

قد نتهم ،بأن واقعيتنا ثورية ،وهذا صحيح،غير ان ثوريتها مثل ثورية كل جماهير الشعب الفلسطيني تكمن في تناقضها مع الاستسلام ودعاته وفي تناقضها العميق مع كل تلك القوى التي حاولت وستحاول اعاقة الشعب الفلسطيني عن الوصول لاهدافه.

وذلك ما لم يفهمه للاسف بعض الاكاديميين.

لقد هزم دعاة الاستسلام من انصار المشروع الاردني مرتين ،مرة حين عزلتهم جماهير المناطق المحتلة ،وقضت على محاولتهم بالفشل الماحق ، ومرة حين تكرست تلك العزلة بالقرارات الرسمية لمنظمة التحرير ومن الممكن بالطبع ان يواصل هؤلاء الدعاة نشاطهم ويعيدوا تلوين مواقفهم ، غير انهم على الصعيد الاستراتيجي في هذه المرحلةقد هزموا ،ولم يكن من الممكن ان يلاقوا غير هذا المصيـــر ..

Digitized by Birzeit University Library

"معركة لبنان" ..
ومفترق الطرق في الساحة العربية

ميشيل كامل

من العبث تبديد الوقت والجهد في المناقشات الهادئة او الانفعالية للمبادرات والمشروعات التي طُرحت « للتسوية » لحصاد ثمار العدوان الصهيوني الامريكي او احتواء مخاطر المضاعفات وردود الفعل على النطاق الشعبي ، او محاصرة نيرانه « المحرقة » ، ودره المزيد من الخسائر - لدى « اصحاب النيات الطيبة » - فقد تكفلت الصحافة العربية بشغل الرأي العام في متاهات ايجابيات وسلبيات هذا المشروع او ذاك .

جميع هذه « الوريقات » لن تحسم الموقف ، لن تنتزع حقا مُهدر ، ولا تُزهق باطلا مهما استشرى . فمن القواعد التي ترسّخت على إمتداد التاريخ البشري كله ، ذلك القانون الموضوعي ، ومؤداه ان اي « تسوية » بين القوى المتصارعة تمثل « محصلة » توازن القوى ، في المرحلة المعينة . فمهما كانت الصياغات المنمقة والتعبيرات البراقة التي تتضمنها هذه المشروعات ، فسرعان ما تتبخر وتختفي ، ليبرز من بين الركام ، الواقع بكل مرارته ، ولتجسّد حقيقة التوازن القائم ، والذي بلغ ذروة التردي و « الاحتلال » لمصلحة العدو على كافة المستويات والشواهد عديدة يكفينا منها « المفارقات » التالية :

- ضعف فاعلية « المجتمع الدولي » والامم المتحدة ، نتيجة استشراء النزعات العدوانية المغامرة وشبه الفاشية لادارة ريجان ومن ثم تزايدت فاعلية المعسكر الامبريالي على حساب « المجتمع الدولي » ويجرى ازدراء وتجاهل صريح ووقح لقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ، وتحتل القوات متعددة الجنسيات (بقيادة البنتاجون والقوات سريعة الانتشار) مكان قوات الامم المتحدة (مصر - لبنان) ..

- التواطؤ المفضوح بين الرجعية العربية والولايات المتحدة الامريكية يصل الى مداه . فرغم كل الادلة الدامغة على انها كانت « شريكا كاملا » في المخطط الاسرائيلي ، اعدادا وتنفيذا وفي مجال حمايته من ردود الفعل العالمية . ورغم ان الدوائر الرجعية وصحافتها « اضطرت » لاستنكار الموقف الامريكي - ذرا للرماد في عيون شعوبها - لم يثنيها ذلك عن المزيد من التهالك على واشنطن والتسليم بأن الحل في يدها وحدها . وقد رفع مبارك قيمة اسهمها في سوق اوراق الحل الى ١٠٠٪ ، متجاوزا تقديرات سلفه السادات الذي سبق له ان رفعها من ٩٠ ٪ بعد حرب ١٩٧٣ الى ٩٩ ٪ بعد فك الاشتباك وزيارة القدس . وتتصرف القوى الرجعية الاخرى بنفس المنطق ، وان لم تعلنه ، بنفس « فجاجة » الرئيس المصري .

- جاهم يحظى

Digitized by Birzeit University Library

بتأييد الرسمي لا من جانب مصر وحدها ، بل ايضا من جانب معظم المشاركين في مؤتمر القمة العربي الموافقين على المشروع العربي كالسودان والاردن ودول الخليج ، اذ تنوه بالجوانب الايجابية والاهمية السياسية والنفسية (المغرب) والعناصر الطيبة والجديدة التي يتضمنها مشروع ريجان (الاردن) وترتفع رأس افعى « مشروع المملكة المتحدة » من جديد ، ويعلن الملك حسين بمجرد مغادرته فاس ان المشروع الاميركي هو « اشجع موقف تتخذه اي ادارة امريكية منذ عام ١٩٥٦ واعتقد انها حركة بناءة وايجابية جدا ... والاتحاد بين الاردن والضفة يقرره الشعبان (واضعا في خلفية تفكيره بلا شك بمذابح صبرا وايلول الاسود) و .. ان خطة اتحاد فيدرالي بين الضفة الغربية والاردن « تبرز ... » .. الخ .

ورغم كل ذلك ، تظل الولايات المتحدة هي فرس رهان الاوحد - وليس مجرد الاساسي - الذي تعتمده الرجعية العربية .. هو الملجأ والملاذ .. صاحب كل الاوراق والاعتاق ومقدرات هذه النظم المتهالكة ، التي اصبحت بدورها تملك القرار والهيمنة الواقعية على مجمل السياسة العربية ، فيما عدا شظايا وجزر ضئيلة الحجم والفاعلية ، بحكم عُزلتها عن الجماهير الكادحة ، نتيجة تجرافها وراء شعارات وفكريات البرجوازية والسياسات التوفيقية التي انتهجتها .

- ولعل ابلغ المفارقات المأساوية التي تشهد على مدى الانحدار والتردي للاوضاع عامة ، هو انتخاب امين الجميل رئيسا للجمهورية اللبنانية ، ولم تمض ايام معدودة على مجزرة صبرا وشاتيلا ، وبعد ان تأكدت مشاركة الكتائب تحت اشراف القوات الاسرائيلية دون ان يلقى انتخابه معارضة تذكر ، بل يحظى بالدعم او القبول الصامت من جانب معظم القوى . ولا يجب ان نفوتنا دلالة هذه الواقعة ، رغم المامنا بدقة الظروف وخصوصيتها .. عندما يصل الامر الى حد اقدام الذبيحة على تسليم الزمام لضمانات « شرعية » الجزارين والسفاحين .. كمخرج من المأزق (الاستجارة من الرمضاء بالنار) .. والقول « العاجز » بان امين الجميل يتميز عن شقيقه بشير ، متناسين حقيقة الانتماء العضوي لمؤسسات الكتائب بطابعها الفاشي الطائفي ، المستقرة على ايديولوجيتها وممارساتها ، بغض النظر عن المبادرات الشكلية التاكتيكية التي قد تقدم عليها ، وفي اضيق الحدود بحكم طبيعتها هذه . وهناك فارق اساسي بين « القبول » بواقع حتمي مفروض قسرا ، وبين التبرير لهذا الواقع . وهي مرض مزمن تعاني منه بعض القوى الوطنية والثورية يكاد يصل الى حد الانتشار الوبائي . في ظروف النكسات وبسيادة عقلية المصالحة والتوفيقية . ونحن لا نثير هذه القضايا من قبيل البكاء على الاطلال ، بل من اجل تجاوز ازمة الفكر والممارسة لدى القوى الثورية ، لان هذه الشظايا ، والجذر الثورية الصامدة ، هي امل شعوبنا ، وطوق النجاة لأمتنا في المستقبل .

لقد استشرت قوى « التواطؤ بالسلب » او العجز والتخاذل ، والتفكك والتشرذم ، وتسارعت « دورة الحياة » بالنكوص الى الوراء ، والاستقطاب الى اليمين ، والاحتواء من جانب الرجعية العربية العميلة .. النزعات التوفيقية المتهالكة . ويجدر بنا في هذه الظروف بالذات ان نعمل بكل السبل على تصليب عود القوى المترددة وتحييد مواقف المتهاونين ولجم نزعات الاستسلام لتركيز نضالنا ضد اكثر القوى شراسة وعدوانية . الا ان ذلك لن يتأتى الا بزيادة : فاعلية وبأس القوى الثورية والراديكالية والتنظيمات التي تمثلها (وبخاصة الطبقة العاملة وجماهير الكادحين واحزابها)

رؤية واقعية للاوضاع المستجدة

اذا نحينا جانبا اوهام الاعداد لمعركة التحرير - دون ان ننفي صدق النوايا لعدد من النظم والقوى - يبقى علينا ان نواجه واقع ان الاختيار الكاسح في الساحة العربية هو التسوية عبر المباحثات ... والادهى من ذلك انه التفاوض تحت الوصاية الامريكية الكاملة (خاصة بعد احداث لبنان) ...

مقابل هذا المنطق المتخاذل على الجانب العربي و « الاختيار الواحد » ، نجد ان اسرائيل رغم كل ما حققته من انتصارات عسكرية ، ترد على مسلسل التسويات المقترحة - التي تزدهر عقب كل هزيمة عربية - باعلان الحكومة « لسنا مهتمين بالمبادرات .. بل بتعزيز قدرتنا العسكرية والاقتصادية » (صحف ١٢ــ٩) .. لانها تدرك انه من خلال القوة ستحقق « التسويات » .. بمعنى الاستسلامات ، والتوسع الذي تريد ..

القوة والعنف هو المنطق الوحيد الذي تتعامل به النظم الامبريالية العدوانية والعنصرية ، هي اللغة الوحيدة التي تفهمها .. ومن هنا فان القوى الشعبية الكادحة والعنف الثوري ، والقدرات العسكرية (لنظم وتنظيمات شعبية) هي وحدها الكفيلة بردع العدوان خاصة وقد فضح درس لبنان اسطورة الجيش

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلي ، الذي لا يقهر اذ انه بمقاييس حجم ونوعية العتاد العسكري والقوات المشاركة من الجانبين ، تعتبر الحصيلة نصرا عسكريا لابطال فلسطين ولبنان ، وان كانت المعركة انتهت لغير مصلحة الشعبين . ولا نرى تناقضا في هذا الاستنتاج اذ وضع داخل ذلك الاطار ، الواقعي ، وبمعنى انه لو صدقت ارادة القتال ووفرت « بعض » النظم والقوى مقوماتها العسكرية والسياسية ، وفي المقدمة منها اطلاق مبادرات الجماهير الشعبية وحقها في التنظيم والتعبير .. اي طبيعة النظام الاجتماعي - لامكن هزيمة « الجيش الاسطوري » .

رغم ذلك ، فلسنا من انصار بيع « الاوهام » للجماهير ، فهي اشد واقعية ووعيا مما يتصور بعض افراد النخبة القيادية .. وهي تجارة راجت في السنوات الاخيرة وسببت افدح الكوارث .. وعلى سبيل المثال نقرأ لاحد العناصر القيادية الفلسطينية (دون ان نشك ابدا في حسن نواياه ودوافعه) القول « بأننا لسنا اضعف مما كنا اطلاقا ، ووجود قواتنا في ستة او سبعة اماكن ، هو تقوية لمواقعنا السياسية في هذه الاماكن .. الخ » (مجلة كل العرب عدد ٨ سبتمبر) .. وكان الاولى به ان يُقر بواقع ان المنظمة اضعف مما كانت (ولا يعيبها ذلك على الاطلاق) لفقدانها ابرز موقع لتجميعها وقوتها العسكرية ومؤسساتها ، كما لا يخفى على احد حقيقة ان المقاتلين الابطال في معظم بلدان الشتات الثمانية ، سيكون بمثابة رهائن تحصطرهم السلطات بعزلة قاتلة .. وهذا الذي توخته اسرائيل وواشنطن ، وتطلعت اليه العديد من النظم العربية .. تحويل المنظمة الى جهاز سياسي دبلوماسي منزوع السلاح مبعثر ، بعيدا عن ارض الوطن .. والاصوب من ذلك هو ان ننطلق من الحقائق الملموسة ، الى اعادة ترتيب الاوضاع لمصلحة الثورة الفلسطينية .

فهد

مظاهر الازمة وتحديات المستقبل

لا توجد قوة على الارض في استطاعتها القضاء على حركة التحرر الفلسطينية او العربية .. حتى بحروب الابادة البربرية . كل ما هناك ان علينا ان نقر بالهزائم عندما تقع ، ونستوعب الدروس ، والحقائق التي طرأت على خريطة القوى ، ومتطلبات الطور الجديد من حياتها ، للتكيف مع الواقع ، من اجل تغييره (لا التأقلم في اطاره) والسبيل الى بناء عناصر القوة السياسية والعسكرية والمادية ، لتحقيق انبعاث حركة جديدة قادرة على تحقيق امال شعوبنا .

وسوف نواجه مرحلة قاسية في المدى المنظور ، تصب فيها معظم الاحداث والتحركات لمصلحة اميركا ، بما فيها تلك التي كان مفترضا ان تشكل رصيدا لقوى الثورة (وهو ابلغ تعبير عن عمق الازمة ودرك التردي) .

ولو تناولنا كمثال « مجزرة صبرا وشاتيلا » بكل بشاعتها . فقد ادت - من جانب - الى استفادة الرأي العام واستفزاز المشاعر العربية والعالمية ، وفضح نسبي لحقيقة الصهيونية ، حتى داخل اسرائيل نفسها .. الخ ، وهو رصيد يمكن ويجب الاستفادة منه .. لكن ما المقابل ، ومن هي القوى التي تستفيد بشكل مباشر من تلك المذبحة ؟!

١ - ظل هناك تطابق كامل في تخطيط وتنفيذ « عملية لبنان » بين اميركا واسرائيل ، حتى تمت بنجاح ، لتظهر بعض اوجه الخلاف الهامشي فيما يتعلق بحصاد ثمارها ، مع العلم بأن الخلاف ينحصر مع جزأ من المؤسسة الصهيونية وليس مع مجملها ، بل وجوهرها وقواها الابعد نظرا ، هكذا جاء مشروع ريجان (في صيغة اسوأ من مشروع الون) ليرفضه تحالف الليكود . ومن هنا تستخدم « المذبحة » لدفع الامور في اتجاه اجراء التغيير الشكلي داخل المؤسسة ، ليتولى بيريز (او تحالف حزب العمل) تنفيذ الخطوات التالية في المخطط الاميركي - الصهيوني .

٢ - تعود القوات (الثلاثية) متعددة الجنسية .. وعودتها هذه المرة ، غير مرتبطة لا بمهمة محددة ولا

Digitized by Birzeit University Library

بفترة متفق عليها .. تعود بشرعية واسعة (تنتهك دور الامم المتحدة) وبقوات مسلحة بعتاد ثقيل (اقتصر تسليحها في المرة الاولى بالعتاد الخفيف) وعلى رأسها المسؤول والمجرم الاول (واشنطن) لتفرض عمليا الجانب اللبناني من « الحل الاميركي » .

٣ - وسوف تفرض هذه التحولات تحت مظلة « شرعية كتائبية » للدولة اللبنانية ، اكتسبها هذا التنظيم الفاشي الطائفي (الاداة الاساسية في المذبحة) .. والمأساة ان يأتي ذلك عبر اجماع (بجانبيه الايجابي والسلبي) للاصوات ، حيث حصل امين الجميل على ٧٧ صوتا بالمقارنة مع ٥٧ لشقيقه وسلفه الرئيس المنتخب السابق .. الامر الذي يطلق يده في تقرير مصير لبنان ، ويضعف من آفاق نشاط وفاعلية ومصداقية المعارضة ، ويمهد كل مقومات اقامة اسرائيل عربية ، كامتداد لاسرائيل العبرية .

ونود ان ننفي ما قد يتوارد على الاذهان ، من اننا ننصب انفسنا قضاة ، او نصدر احكاما ، على المواقف التاكتيكية والتراجعات الموقوتة والمشروطة التي فرضت على بعض القوى اللبنانية والفلسطينية اتخاذها في مناخ استثنائي ، اتقاءا لكارثة « الابادة » الجسدية . بل ، لعل هذه القوى بالذات هي الاقل مسؤولية في مجمل الحركة الوطنية العربية . ولانها انتهجت الاساليب الاكثر ثورية ، تعرضت للهجمة الاكثر ضراوة وبربرية .

انما نتوخى هنا ، تسجيل الواقع .. كما هو .. بكل مراراته .. و « عريه » .. بمنظور تاريخي ، كمؤشر على بلوغ « الازمة » مداها .

٤ - يتيح للرجعية العربية - استنادا الى هذا « التحول » المزيف في الموقف الاميركي ، المزيد (ان كان هناك مزيد) من الارتماء في احضان واشنطن ومخططات البنتاجون ومشروعاته العدوانية . وهي الخطط التي لم تتوقف في ذروة الاجتياح الاجرامي بمساندة سافرة من اميركا .

٥ - خروج قوات الردع العربية (السورية) من لبنان بكل ما يترتب على ذلك من نتائج على الوجود الفلسطيني وامن القوى الوطنية اللبنانية في البقاع وشمال لبنان .. وهي احدى المهام ، الموكولة للقوات المتعددة الجنسية .

٦ - لجوء النظام المصري الى مناورة الاستدعاء - المؤقت - لسفيره في اسرائيل ، بهدف احتواء السخط الشعبي ، حماية لكامب ديفيد والمعاهدة المصرية - الاسرائيلية .. هذا الاجراء الذي تهلل له وتهرج به بعض القوى العربية والمحلية ، حتى تخفت موجة الغضب ، لتعود الامور الى مجراها الطبيعي ، وتمهد لعودة « مصر كامب ديفيد » لاشقائها العرب .

نحن اذن مقدمون على مرحلة تصعيد من جانب قوى الحرب والعدوان والقمع والارهاب . فالمخطط الاميركي - الصهيوني - المتحالف مع الرجعية العربية لن يتوقف عند الحدود الراهنة في هجمته الشرسة ، بل سيتابع العمل على توسيع نطاق كامب ديفيد عبر لبنان فالاردن (والتحضيرات تجري في كليهما على قدم وساق) وللتخلص من كافة جيوب المقاومة ، خاصة سوريا واليمن الديمقراطية ولبيبا ، ثم لاستعادة هيمنتها على ايران ، استنادا الى تخبط واخطاء قيادته اليمينية ، ومعاودة العراق لعدوانها ، الذي صعّدته - في اوج معركة بيروت - بقصف المنشآت النفطية في جزيرة « خرج » الايرانية واضافة الى العون العسكري والمادي الذي تلقاه من السعودية ومصر ودول الخليج .. التي يقلقها هذا « الخطر » ، فتعمل على تقويمه « باللسان والسيف » .. في الوقت الذي تكتفي فيه باستنكار المجازر والتوسع الاسرائيلي - الاميركي ومناشدة واشنطن « تخفيف وطئها » ، لتشيد صحافة النفط بدور القاهرة والرياض « الذي كان اكثر تقدما والتزاما من الاطراف العربية الرافضة لكامب ديفيد » !!

العقلية والاساليب البالية

وقد تبدو « الحالة » التي نشخصها هنا ، قاتمة مظلمة « مبنسة » .. وعلى اية حال فهي الخريطة الجديدة التي رسمتها الدوائر الامبريالية الصهيونية للعالم العربي . ونشطت بكل ضراوة لتطبيقها ، وانجزت منها الكثير ومهّدت للمزيد ، لتواجه بسلبية وتخاذل من الغالبية العظمى للنظم والقوى العربية ، بصورة اثارت دهشة صحافة ومعلقي العدو نفسه .

ففي مواجهة هذه الهجمة الشرسة البربرية عادت نفس « النغمة » .. والسياسات والاساليب . وبدلا من المقاطعة او الحظر تزدهر العلاقات الاقتصادية والمصالح الامريكية في المنطقة ويستمر تدفق النفط والارصدة بنفس غزارة تدفق القنابل العنقودية والارتجاجية والفسفورية على السكان العُزّل .. وتضل النيران طريقها ، لتوجه ضد خطر الشيوعية المزعوم ، وتجري عمليات الاحتيال على الرأي العام ، بتقديم القواعد العسكرية للعدو تحت اسم « التسهيلات » واقامة

Digitized by Birzeit University Library

التحالفات معه بالصيغة المضللة « لاتفاقيات سلام » و « مجلس للتعاون » ، او تعاقدان للتسليح و « بعثات » التدريب !! وتستشري نزعات التهاون في المعسكر « الوطني » وتمارس علاقات « التحالف » بنفس نهج الذيلية والتبعية للفكر والمؤسسات البرجوازية ، فتفقد هذه القوى مصداقيتها ويتزعزع تمثيلها ومن ثم نفوذها بين الجماهير الشعبية ، وتنحصر نشاطاتها في اطر فوقية نخبوية ، بعيدة عن الكادحين - ومشاكلهم ومعاناتهم ، وتروج بطلاقة مستهجنة « التخريبات » التبريرية للسلبيات ، ويوأد احد شقى التحالف بصيغته المبدئية .. الصراع ، اكتفاءا بشقه الاخر الوحدة ، او يقصر النقد على المسائل الثانوية والشكليات ، وتسود العقلية التوفيقية و « الحلول الوسط » تحت ستار الواقعية والحصانة ضد « الطفولة اليسارية » .. في نفس الوقت الذي عرت فيه « معركة لبنان » حقيقة عقم التنظيمات القومية الشوفينية عن التصدي للمسؤولية ، بل وكشفت عن مدى عمق نزعتها الاقليمية الضيقة ، مما يفسح المجال امام التيارات السلفية الرجعية ، ويجعلها بدائل محتملة في المرحلة القادمة ، عندما يقتضي الامر تغيير واجهات بعض النظم والقوى التي استنفذت رصيدها وقدرتها على الاستمرار .

مفترق الطرق .. وحسم « الاختيار »

إن « معركة لبنان » هي مفترق للطرق ، لا يمكن الجمع بعدها بين التناقضات العدائية ، او التوفيق بين قطبي الصراع . كما يستحيل ترك الامور بين ايدي الرجعية العربية ، سواء منها المتواطئة العميلة ، او المتخاذلة المستكينة ، ولا الركون الى قيادات من ممثلي قوى اجتماعية ، رغم كونها حليف اساسي ، الا انها عقيمة كل العقم عن حل المشاكل المصيرية التي تواجه شعوبنا . بل تزيدها تفاقما وتردي . ويزداد انفصام واستقطاب هذه القيادات عندما « تتزاوج » مع السلطة .

ولا شك ان الصراع الاجتماعي والسياسي سيتصاعد ويحتدم في كل بلد عربي ، كرد فعل على العجز العربي - السلطوي - « الجماعي » ، وافتضاح الشعارات القومية الجوفاء .. لتفسح الطريق امام حركة قومية ديمقراطية ، تشكل من مجموع حركات التحرر الوطني والاجتماعي في البلدان العربية . ومن هنا يصبح التوجه للداخل ، وتصعيد النشاطات المحلية ، وتحرير ارادة الشعوب العربية (خاصة مصر بحكم

بيجن

وزنها في المنطقة) من النظم العميلة والمتهاونة ، وتطهيرها من تسلط هذه الفئات والقوى الاجتماعية التي تشكل الركائز المباشرة او غير المباشرة لمعسكر الثورة المضادة .. هي المهمة التي تأتي في المقدمة ، والمدخل الوحيد لتحقيق الاطار الثوري الديمقراطي للحركة القومية المناهضة للامبريالية ، الكفيلة بدحر قوى العدوان الامريكي - الصهيوني .

ونحن لا ندّعي اننا نملك « الحلول » السحرية ، لتجاوز هذه الازمة المزمنة ، ولا نزعم ان الخروج من هذا المأزق التاريخي سهل ، خاصة بسبب ما تراكم من مضاعفات وتعقيدات سواء نتيجة الاخطاء الذاتية من جانب القوى الثورية او التغييرات الموضوعية في الواقع الاقتصادي الاجتماعي ، الامر الذي يتطلب جهودا جماعية من جانب كافة القوى الثورية والراديكالية وقادتها ومفكريها والمنتمين اليها ، في مناخ ديمقراطي وبعقلية نقدية بناءة وشجاعة ادبية في الاقرار بما اقترف من اخطاء ، والتزام باصول وقوانين النظرية العلمية الثورية ، مصحوب بالقدرة على مواكبة التطورات واستيعاب ابعادها ، اي التطبيق الحي الخلاق لقوانين الثورة في واقعنا المعاصر .

Digitized by Birzeit University Library

ريجان

الا ان اي مخرج ثوري اليوم ، يُفترض فيه ان يصب في قنوات - مباديء - ثلاث رئيسية :

- الدور القيادي للطبقة العاملة باعتبارها القوى الاجتماعية القادرة والمؤهلة تاريخيا وعمليا .

- الفكر ، بمعنى الايديولوجيات السائدة ، التي تؤثر في تشكيل « الوعي الجماهيري » ، والذي يتجسد في مواقف وتوجهات الشعوب واتجاه حركتها .

- الاستخدام الامثل لسلاح التنظيم ، ولا نقول « الديمقراطية والحريات » ، فرغم انها تظل هدفا دائما ثابتا لنضالنا ، ولاتنتزاع اكبر قدر من حقوق التعبير والحركة ، الا انه من الخطورة بمكان التعويل على « الديمقراطية الشرعية » وحدها ، والتعلق باوهام حولها ، ينسفها الواقع ، وآفاق حركة الاحداث التي تُبنى بالمزيد من العنف والقمع السلطوي .

---

* بلغت الاستثمارات العربية في الاوراق المالية للحكومة الامريكية وحدها اكثر من ٣٢,٥ بليون دولار ، والاستثمار في سندات الشركات ارتفعت في فترة الستة اشهر الاولى من عام ١٩٨١ من ٦,٧ الى ٨,٣ بليون دولار ، هذا بالاضافة الى الاستثمارات المباشرة في مختلف المشروعات الاقتصادية (جريدة الوطن ٣١ /٥) ورفع الحكومة السعودية « الكوتا » الخاص بها في صندوق النقد الدولي اكثر من ٢,٥ بليون دولار وقرض مقداره ٩,٤٥ بليون دولار ، وقرض مماثل في الحجم هذا العام ... الخ ، (الهيرالد تريبيون ٢٥ــ٦ــ١٩٨١) .

أن تنير شمعة
خير من أن تلعن الظلام

في وقت بات فيه وضع التعليم أسوأ حالة من الممكن ان يصل اليها ،يحتفل المعلمون الفلسطينيون بيوم المعلم ،في الرابع عشر من الشهر الجارى ،فمنذ خمسة عشر عاما أخذ التعليم بالهبوط،سواء من حيث المستوى الاكاديمي ،او من حيث المنهاج، وفي كل عام تقوم السلطات العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ،بفصل العديد من أصحاب الكفاءات العلمية، والمخلصين لمهنتهم ولطلابهم ،وان عجزت عن الفصل ، تضع العراقيل بوجه العشرات بل المئات منهم حيث تتذرع بالنقل الادارى او الامني ،فهي باختصار تقوم بمصادرة العلم والتعليم بنفس الحجج التي تتذرع بها حين تصادر الاراضي لتقيم عليها مزيدا من المستوطنات ،فالمدارس اليوم ،تخلو من المكتبات المدرسية الحقيقية وذلك راجع لالاف الكتب التي يحظر الحكم العسكرى اقتناءها أو طبعها أو توزيعها ، كذلك فان المختبرات المدرسية لا تصلح الا لالعاب الاطفال ،بل وعند بعض الاطفال من الاجهزة المخبرية ما هو أفضل منها ، هذا بالاضافة الى اكتظاظ الصفوف المدرسية. بل وتجد في بعض الاحيان عدة صفوف في غرفة واحدة، في وضع مدرسي وصحي غاية في السوء ، والجدير بالذكر ان المعلمين في المناطق المحتلة يتقاضون رواتب تكفيهم في أحسن الاحوال لعشرة ايام فقط.

في هذا الوضع ،يحتفل معلمونا بعيد المعلم ،رغم ذلك ،فهم يعملون على تحقيق شعار"أن تنير شمعة ،خير من ان تعلن الظلام.

Digitized by Birzeit University Library

الفئات الوسطى

د. اياد البرغوثي - جامعة النجاح

مكانتها في التركيبة الاجتماعية وفي النظم السياسية في البلدان العربية

ان فترة الانحدار المتسارع الذى تعيشة الدول العربية حدت بي لان ابحث في تركيبتها الطبقية علني اجد تفسيرا او بعض تفسير للذى يجرى وكنت قد بدأت ببحث عن البرجوازية العربية نشر في "البيادر الادبي ،عدد ١٩٨٢،١٢" وها انا انتقل الى الخطوة الثانية عن الفئات الوسطى ،واستبسح القارئ عذرا لانني استعملت الاردن كمثل حي عندما تطلب الوضع ذلك ، انني اؤكد سلفا ان ذلك كان بعفوية "كونفدرالية" بحتـــة ..!!

تشكل كل من البروليتاريا والبرجوازية اقلية بين سكان البلدان العربية حيث التخلف الاقتصادى الفظيع وبذلك توجد شرائح اجتماعية كثيرة تحتل وضعا وسطا بين الطبقتين الرئيسيتين في المجتمع الرأسمالي ـ البرجوازية والبروليتاريا ـ . هتان الطبقتان اللتان تحملان صفة التغير والتشكل المستمرين، فحيث تتعدد انماط الانتاج فان عملية التشكل الطبقي لم تأخذ بعد بعدها الكامل ـ اى انها لم تتحقق بعد بصورة كاملة والحدود بين الطبقات ما زالت متميعة وعملية الانتقال من طبقة الى اخرى تجري باستمرار .

ان تحديد ماهية الفئات الوسطى وتعيين حدودها الاجتماعية والاقتصادية يحمل معنى هاما ويعتبر مشكلة علمية جدية وعلى هذا الاساس يجب في البداية تحديد الطبقات الرئيسية وغير الرئيسية في المجتمع حتى يتسنى لنا تحديد الفئات الوسطى هناك .

لقد حاول كثيرون تحديد هذا المفهوم . ماركس وانجلز قالوا بان الفئات الوسطى في

Digitized by Birzeit University Library

المجتمع الرأسمالي هي : الصناعي الصغير والتاجر الصغير والحرفي والفلاح (١) وبالنسبة للعلماء المعاصرين فهناك مفاهيم مختلفة للفئات الوسطى المتأرجحة ،فيكتب سلافيوف ن.أ مثلا . تحت الفئات المتأرجحة نفهم اشباه البروليتاريا والعناصر نصف البروليتارية والحرفيين والتجار الصغار والملاكين الصغار أي البرجوازية الصغيرة في المدن والرعاع في المدينة ايضا ،كذلك ينسب للفئات الوسطى الموظفين واصحاب المهن الحرة والطلاب والجزء الاساسي من الضباط (٢) اماموتاغيروف ج.ز . فيكتب : "الفلاحون ايضا ينتمون للفئات الوسطى ولكن يجب الأخذ بعين الاعتبار قضية هامة جدا ،يجب النظر الى الفلاحين من مختلف الجوانب فهناك "فلاحون وفلاحون" ،ففي الدول الرأسمالية الضعيفة التطور يشكل الفلاحون طبقة مستقلة تكون واحدة من طبقات المجتمع الاساسية وهنا تكون البروليتاريا الحديثة (البروليتاريا الجنين) والبرجوازية في عداد الفئات الوسطى (٣) .

ولاننا هنا بصدد الحديث عن المجتمع العربي (النامي) ،فان كلامنا عن الفلاحين سوف يكون في مكان آخر .وفي وقت آخر. فسيكون حديثنا هنا عن تلك الفئات التي لا تملك علاقة مباشرة بوسائل الانتاج: عن المثقفين ،الموظفين ،الجيش ،هذه الفئات التي تقوم بدور سياسي هام في معظم البلدان العربيـــــة .

ولا بد من ملاحظة ان الكثيرين يستعملون تعبير الطبقة الوسطى بدل الفئات الوسطى دون ان يعرفوا المعنى الحقيقي والخطأ والخطر من استعمال هذا التعبير واذا كان هذا الخطأ مسموحاً لبعض السياسيين والغير متخصصين فان ذلك لا يمكن ان يغفرلعلماء اجتماع او لباحثين علميين في قضايا الطبقات الاجتماعية والعلاقات بين تلك الطبقات فهذا التعبير الخاطئ سيقودنا الى الكثير من الاستنتاجات البعيدة عن الحقيقة اولها واهمها انكار وجود طبقتين رئيسيتين في المجتمـــــع .

ان علاقة الطبقة العاملة وممثليها مع الفئات الوسطى هي علاقة تحالف وطيد في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ،او هكذا يفترض ان تكون العلاقة ولكن اذا اخطأنا في تحديد حدود الفئات الوسطى ومواقفها الدقيقة وادخلنا ضمن هذا الحلف اجزاء من البرجوازية الكبيرة والبرجوازية البيوقراطية وكبار ملاك الاراضي فان الطبقة العاملة سوف تجد نفسها في "تحالف" مع اعدائها ومنفصلة بل ومعزولة تماما عن حلفائها الحقيقيين .

ورغم الصعوبة ،فان مفهوم "الفئات الوسطى" واضح ومحدد ولكن السوسيولوجيين البرجوازيين يتمسكون بوجهة نظر أخر أي أن هذا المفهوم فضفاض ومرن وهذا يقود الى تحديد يفتقر الى العلمية ايضا لكل من الطبقة العاملة والفلاحين مما يؤدي بنا الى الوقوع في قضايا "غياب وانطفاء" جذوة الصراع الطبقي "وتغطية" واخفاء الفوارق الطبقية والطبيعة الطبقية للسلطة وحماتها .

وبالرغم من ان البرجوازية الصغيرة تعتبر جزءا أصيلا من الفئات الوسطى حيث انها تملك وسائل انتاج وتعمل بها في نفس الوقت الا اننا نميل لدراستها بصورة مستقلة عن تلك الفئات التي لا تملك بتاتا كالمثقفين كذلك فان الفئات الوسطى ممكن ان توجد في مجتمعات ما قبل الرأسمالية بينما البرجوازية الصغيرة تختفي في مثل هذه المجتمعات أي توجد في مرحلة الرأسمالية فقـــط .

ويختلف دور الفئات الوسطى من مجتمع

Digitized by Birzeit University Library

الى آخر،ففي اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد في موسكو ١٩٦٩ ،قيل بأن الفئات الوسطى في ظروف المجتمعات الرأسمالية المتطورة غير مؤهلة لنضال مستقل من اجل تحريرها لانها لا تملك خطوطا مستقلة اقتصاديا وسياسيا (٤) .

ويجدر التنوية ان هذه الفئات تلعب دورا نشطا في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية للبلدان العربية،خاصة في السنوات الاخيرة في ظروف ازدياد حدة الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية ....

بعض الباحثين يؤكدون ان وضع الفئات الوسطى كفئات وسطى ينتهي عندما يستولي ممثلوها على السلطة .فميشيل كامل ،الباحث المصرى المعروف يكتب "ان التصور عن السلطة كممثلة للبرجوازية الوسطى هو تحريف خطير لجوهرها الحقيقي ويقود الى بلبلة في الوعي الاجتماعي والى تغيير في طابع الصراع الطبقي وتقوى تيارات الاصلاح والحلول الوسط (٥) ولكن هذا ينطبق بالطبع على الفئات العليا القابعة في السلطة ،ولكن الجمهور الرئيسي من موظفي الدولة وموظفي المؤسسات الخاصة الذين ينتمون الى الفئات الوسطى كذلك اصحاب الحرف والمدرسين الذين يتقاضون رواتب ضئيلة لا تسد الحد الادنى من احتياجاتهم حتى ولو كانوا ينتمون الى الحزب الحاكم في الدولة، مثل الاعضاء الصغار في الحزب الوطني الديمقراطي في مصر او اعضاء الاحزاب القومية الموجودة في الحكم في بعض البلدان العربية الاخرى ،فلا يمكننا القول ان مثل هؤلاء الاعضاء الصغار جزء من السلطة فهم يشكلون قوة ضاغطة ،قوة كامنة ولكن ليسوا بأية حال من الاحوال قوة قائدة ولا يشاركون بتاتا في توجيه الدوله. وكونهم يشكلون نسبة كبيرة في الاجهزة السياسية والاقتصادية للحزب الحاكم فهذا لا يعني انهم يملكون الكلمة المقررة او انهم يقومون بدور مؤثر في شؤون السلطة واتخاذ القرارات.

ان القوى الطبقية التي تمسك بزمام السلطة وتتخذ القرارات في البلدان العربية عادة ما تكون اتحاد التكنوقراط والبرجوازية البيروقراطية والبرجوازية التجارية والصناعية والزراعية الكبيرة ،وهذا يعني انه يجب ان نفرق بين المجموعة التي تدير جهاز السلطة وتوجهه عن الفئات الاخرى التي تتقاضى الرواتب ،على انه يجب الملاحظة ان المجموعة الموجهة للسلطة ليست فقط تلك التي تحتل المناصب العليا في جهاز الدولة ودوائرها وفي مؤسساتها السياسية والاقتصادية وقطاع الخدمات ولكن ايضا بعض الموظفين المتوسطين الذين يحتلون مواقع تسمح لهم باتخاذ قرارات تؤثر ولو بشكل غير مباشر في الحياة السياسية والاجتماعية مثل الضباط الكبار المسؤولين المحليين (في الاحياء) وفي الزراعة (متصرف ،مختار..) الذين يشكل كل واحد منهم ملكا في مملكته الخاصة اى في مؤسسته وينتمون في واقع الامر الى الجهاز البيروقراطي للدولة.

كما اسلفنا القول لا يمكن للسلطة ان تستمر بين يدى الفئات المتوسطة او بين يدى البرجوازية الصغيرة وحتى المتوسطة في أى مجتمع من المجتمعات حتى عندما تستطيع بعض الفئات منها الاستيلاء على السلطة لان الظروف ستقود بالاستقطاب ثانية ليكون بين القطبين الرئيسيين البرجوازية والطبقة العاملة ولذلك نعود للتأكيد مرة اخرى ان القول باستمرارية السلطة بأيدى البرجوازية المتوسطة تعني ضرورة تحطيم قطبي الصراع وبالتالي تعني تجاوز نظرية الصراع الطبقي وتتناقض معها بل وتتحدى النظرية العلمية حول تطور المجتمع ،ففي تركيبه اى مجتمع رأسمالي فان

Digitized by Birzeit University Library

البروليتاريا والبرجوازية تشكل الطبقتين الاساسيتين ،واثناء عملية التفاعل والصراع بين هاتين الطبقتين تحدث عملية الانتاج الرأسمالي .وهذا لا يعني اننا ننكر ان البرجوازيةالصغيرةاو مجموعةمن البرجوازية الصغيرة او المتوسطة يمكنها الوصول الى السلطة ،ولكننا لا نعتقد ان هذه الفئات لا يمكنها التمسك بالسلطة في ايديها لفترة طويلة ولا يمكنها عندما تصل الى السلطة ان تنهي الصراع القائم بين القطبين الاساسيين في الصراع لان هذه الفئات بهذا الشكل او ذاك سوف تتحول وبالتدريج الى واحدة من طبقات المجتمع الاساسية ....

ويستمر الصراع الطبقي بين مختلف الشرائح في الفئات الوسطى نفسها حتى بعد وصولها الى السلطة ،وبنتيجة هذا الصراع سوف يقرر اية طبقات او فئات سوف يمثل هؤلاء الموجودين في السلطة- وهم الاعضاء السبقيين في الفئات الوسطى .

وكما سبق وذكرنا فان الكثيرين من سوسيولوجي البرجوازية يستعملون مفهوم "الطبقة الوسطى" بدل الفئات الوسطى ،ليس للتدليل على الموقع الوسط لهؤلاء بل لخلق البلبلة في الاسس النظرية لعملية الصراع الطبقي ،حيث انهم بذلك ينكرون وجود طبقتين اساسيتين متناقضتين في المجتمع الرأسمالي ،اىوجود قطبين اساسيين هما البرجوازية والبروليتاريا ، فالفئات الوسطى لا تحتل مكانا ثابتا في التركيبة الاقتصادية الحديثة ،انها مفهوم مرن ،حيث يدخل ضمنها البرجوازية الصغيرة والعناصر شبة البروليتارية ، وحثالة المدن ،والفلاحين الصغار وهذا يمحو عن هذه الفئات المعنى العلمي للطبقة الاجتماعيـــــة.

ولكل شريحة من الفئات الوسطى مصالحها الاقتصادية والسياسية الخاصة ،فهي ليست متجانسة ،ومن حيث المنبع فهي ليست من اصل واحد .ومن الملاحظايضا ان الكثيرين من ابناء البرجوازية الصغيرة في الريف والمدينة هم من اصل اقطاعي ،أى من ابناء اولئك الذين يتكيفون ويتطورون مع العلاقات الرأسماليةالناشئة في العالم العربي .

ومع ان الفئات الوسطى تحتل مكانا هاما في التركيبة الاجتماعية للبلدان العربية وغيرها من بلدان "العالم الثالث" الا ان الاختلاف في وجهات النظر يتجلى عند بحث الدور الذى تلعبه هذه الفئات .لقد تكلم ماركسوانجلز عن دورهم قائلين بان "الفئات الوسطى" الصناعي الصغير، التاجر الصغير، الحرفي والفلاح - كلهم يتصارعون مع البرجوازية من أجل انقاذ وجودهم من التهلكة كفئات وسطى. انهم بالنتيجة ليسوا ثوريين ولكن محافظين ،بل اكثر من ذلك ،انهم رجعيين. فهم يطمحون الى الرجوع بعجلة التاريخ الى الوراء .واذا حدث وان كانوا ثوريين فبمقدار ما يكون مكتوبا لهم ان ينتقلوا الى صفوف البروليتاريا ،بمقدار ما يدافعون ليس عن مصالحهم الآنية بل عن مصالحـــــهم المستقبلية ،بمقدار ما يهجرون نظرتهم الخاصة ويتجهون الى وجهةالنظرالبروليتارية (٦) ، ومع ان هذه الكلمات كتبت عن الفئات الوسطى في المجتمع الرأسمالي الا انها لا تفقد صحتها وقيمتها عندمايجرى الكلام عن البلدان العربية .

لقد كتب انجلز يقول بان الحرفي "هو بروليتاريا مؤقتا هدفه - ان يملك رأسمالا خاصا وبمساعدة هذا الرأسمال يستغل العمال بنفسة .. ويحقق هدفه هذا عندما لا تكون المنافسة شديدة وحيث لا توجد الفبارك والصناعات الكبيرة ،ولكن عندما تبدأ المنظم الصناعية الكبيرة ،ويبدأ التنافس الشديد. فان هذه الامكانية- اى تطورهم ليستغلوا - ينتهي

Digitized by Birzeit University Library

وينحدر الحرفيون اكثر فاكثر ليصبحوا بروليتاريا (٧) .

تلعب الفئات الوسطى دورا اجتماعيا وسياسيا مرموقا في الدول العربية وفي الدول الاخرى التي تتعدد فيها انماط الانتاج ، حيث البروليتاريا والبرجوازية ضعيفة ، فممثلي الفئات الوسطى استطاعوا الوصول الى السلطة في الكثير من البلدان العربية بعد الحرب العالمية الثانية الا في الاردن ، والمغرب وبلدان الخليج حيث استطاعت الاوساط المحافظة الاحتفاظ بالسلطة هناك ، ولقد اعطت الاوساط والاحزاب السياسية اهتماما واضحا لهذة الفئات ونلاحظ اكثر ذلك في بيانات ووثائق الاحزاب الشيوعية العربية التي منحت فرصة الاطلاع عليها اثناء الدراسة ، فخالد بكداش مثلا سكرتير الحزب الشيوعي السوري يقول : "ان المهمة الصعبة والاكثر مسؤولية التي تقف الان امام الدولة ـ هي انتهاج سياسة صحيحة بالنسبة للمنتجين الصغار والتجار الصغار وبصورة عامة للفئات الوسطى ، هذه الفئات تمثل قوة سياسية واقتصادية كبيرة.. ان احتداد الصراع الطبقي يضع امام سوريا سؤال من يستطيع جذب هذه الفئات الى جانبه ، هل ستكون حليفة للطبقة العاملة والقوى التقدمية الاخرى او ستكون الى جانب البرجوازية الكبيرة وحلفائها (٨) .

عند دراسة مشاكل وآفاق تطور الفئات الوسطى في البلدان العربية من الضرورى الاهتمام الى أنه في آخر المطاف فان مصالحها تتناقض مع مصالح البرجوازية الكبيرة وبقية الطبقات الرجعية الاخرى وفي خضم الصراع الطبقي الذى تخوضه من اجل الحفاظ على مصالحها فانها تكون مدعوه للتحالف مع جماهير الشغيلة وتبدأ بالميل اكثر فاكثر نحو الطبقة العاملة .

ان تحالف الفئات الوسطى مع البروليتاريا يعتمد على قوة الاخيرة ، على مدى تنظيمها وعلى تأثير الايديولوجيا البرجوازية على الجماهير . وفقط بعد تحقيق هذا التحالف يصبح دورها تقدميا ، وعلى هذا التحالف ايضا يعتمد مصير الثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان العربية حيث بالامكان تحقيق هذه الثورة لان الفئات الوسطى في هذه الدول بوصفها الاجتماعي والاقتصادي تقف اكثر قربا لجماهير الشغيلة منها الى البرجوازية .

يشكل الموظفون في اجهزة الدولة او في القطاع الخاص الجزء الاكبر من الفئات الوسطى في البلدان العربية بغض النظر عن الطريق الذى تسلكه هذه البلدان في تطورها الاقتصادى والاجتماعي ـ رأسمالي ام غير رأسمالي ، كما ان اعداد هؤلاء الموظفين تزداد بسرعة كبيرة في بلداننا ، من في دولة كالاردن مثلا ، وعندما يجرى الكلام عن الموظفين فاننا نستثني منهم "المجموعة المختارة" التي تشارك في قيادة الدولة او ان لها علاقة مباشرة بالقيادة فسبق وان اعتبرنا هذه الفئة جزءا من البرجوازية البيروقراطية (٩) .

ومعظم الموظفين ، هم فئة من المتعلمين ، من المثقفين ، مع انه في كثير من الدول العربية فان كلمة "موظف" كانت مساوية او مرادفة لكلمة بيروقراط ، خاصة بعد سني الستينات من هذا القرن وانتهاج سياسة الاستعمار الجديد التي جذبت الكثيرين للعمل في جهاز الدولة .

وما زال الكثير من الموظفين يلعبون دورا سلبيا في الحياة السياسية للبلدان العربية التي تنتهج طريقا رأسماليا لتطورها ، حيث ان مصالحهم الاجتماعية مرتبطة بهذا الشكل او ذاك بالسلطة ، ومعظمهم غير مثقف سياسيا

Digitized by Birzeit University Library

او ان ثقافتهم السياسية ضحله للغاية. وفي واقع الحال فان اعداد اكبر واكبر من الموظفين بدأت تنخرط في النضال من اجل تحسين حياتهم الاقتصادية في الفترة الاخيرة، خاصة بعد الارتفاع الحاد في الاسعار والتضخم المالي اللاتي يؤثرن على الوضع في الكثير من الدول العربية المرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية. على ان وضع الموظفين في بلداننا افضل (نسبيا) من وضعهم في البلدان الراسمالية المتطورة فنتيجة لعملية الصراع الطبقي الجارية في المجتمع الرأسمالي فانهم يقتربون باستمرار من البروليتاريا .

ومع انهم انفسهم لا يعترفون بمصيرهم السيء المحتوم ويقرون بالتطور ما دام هذا التطور لا يمسهم ، ويحاولون العيش افضل من الطبقة العاملة كما كانوا يفعلوا سابقا ، على ان الكثير منهم ـ الذين استوعبوا مصالحهم المستقبلية بدوءا لا "يخجلون" من التحالف مع الطبقة العاملة واخذوا يمارسون ذلك فعلا

وفي معظم البلدان العربية ـ ولا اريد القول كلها ـ فان الموظفين ، مثلهم مثل سائر الفئات الوسطى الاخرى يعانون من ضغط كبير من جانب السلطة ففي الاردن مثلا ـ ومرة اخرى اختيار الاردن نجم عن حسن نية كونفدرالية ـ تمانع السلطة حتى الان في انشاء اتحاد للمعلمين مع انهم يشكلون كمية كبيرة من القوى العاملة مثلهم مثل باقي القوى التقدمية هنـــاك .

تنمو اعداد الموظفين العرب الذين يبدون اهتماما في تحرير بلدانهم وفي تقدمها الاجتماعي والاقتصادي بسرعة ، خاصة تحت تأثير التقدم التكنولوجي الذى بدأ ينتشر في البلدان العربية مؤخرا. هذه العملية التي وضعت الموظفين والعمال في البلدان الرأسمالية المتطورة على نفس درجة التطور الاجتماعي تقريبا اعني انها نزلت بالموظفين الى مستوى العمال وليس العكس .

وفي البلدان العربية فان اكثر فئة من الفئات الوسطى ديناميكية هي الانتلجنتسيا التي تنمو بسرعة كبيرة. وعندما نقول كلمة انتلجنتسيا فاننا نعني بالتحديد أل $ White Workers $ كما يقول الانجليز بخلاف ممثلي العمل الفعلي وسرعة زيادة عدد المثقفين في العالم العربي تفسر بزيادة المستوى في مجالات الاقتصاد والسياسة والتعليم ، وكذلك لان البرجوازية المحلية تشعر انه لا يمكنها تحقيق الاستقلال الوطني اذا لم تملك مثقفيها ، وفي الكثير من الحالات تفسر بان الفئات الفقيرة من الفلاحين والعمال يعتقدون ان التعليم يساعدها على تحسين مستوى حياتها حيثما تواجدوا ، خاصة في دولة كالاردن حيث نسبة كبيرة من السكان من الفلسطينيين الذين فقدوا ارضهم بعد تأسيس دولة اسرائيل والذين لا يملكون شيئا سوى مرتباتهم الذين يتقاضونها بعد انهاء تعليمهم وهذا يفسر كيف ان اكبر نسبة من المتعلمين في البلدان العربية توجد في الاردن بالرغم من ان هذه الدولة ما زالت متخلفة نسبيا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ..

كذلك يجب ملاحظة انه في بعض البلدان العربية فان عملية تطور الانتلجنتسيا الوطنية بدأت منذ وقت قريب للغاية (كما في ليبيا وبلدان الخليج) ، ولذلك فان المثقفين في البلدان العربية الاخرى تطمع الى الذهاب هناك بل وتتهال الى تلك الدول حيث تعتبر العمود الفقرى لجهاز التعليم وهذه الظاهرة ملحوظة بصورة ملموسة عند الفلسطينيين والمصريين .

لقد كان للثورة العلمية التكنيكية التي حدثت بالاساس في اوروبا وامريكا اثرا كبيرا

Digitized by Birzeit University Library

على الدول العربية وبقية البلدان النامية ولذلك تزايدت الانتلجنتسيا الوطنية التكنيكية (الفنية) اسرع نسبيا من الانتلجنتسيا ذات التخصص في العلوم الاجتماعية، والاولى — كما هو معروف — تتميز بانعزالها الكبير عن الجماهير وخاصة عن الحياة السياسية بالتحديد، وهذا راجع لطابع العمل الذي يمارسة هذا النوع من المثقفين ولمستواها الاجتماعي العالي نسبيا .

وحتى زمن ليس ببعيد احتلت الانتلجنتسيا العربية مكانة اجتماعية مرموقة ونظر اليها من قبل بقية الشرائح الاجتماعية بحسد. الباحث الامريكي شيلز قال عن ذلك : "ان أيا من الثقافات التقليدية العظمية لا تعطي الحداد مكانة مرموقة .. وفي عيون الانتلجنتسيا فان حياة العامل تفتقر الى البطولة والهدف المقدس .. والمثقفون نادرا ما يبحثون عن "السمعة" في مجال العمل (business) وعندما تجبرهم الضرورة على ذلك فانهم يشعرون بأنهم ليسوا في "وعائهم" ان المثقف الموظف في مجال معين ممكن ان يكون موضوعا للنقد في ان خان لقبه..(١٠) .

على ان هذا الوضع للمثقفين بدأ في الزوال الان خاصة في المجتمعات الاستهلاكية سواء تلك التي تتطور بالطريق الرأسمالية او اللارأسمالية .وهذا الوضع ناتج لان الرواتب التي يتقاضاها المثقفون لا تكفي لكي تحفظ لهم مستوى معيشة لائق بهم كمثقفين .ففي الكثير من البلدان العربية اخذ المثقفون يشتغلون في الاعمال الحرة بالاضافة للاعمال الاساسية التي يشتغلونها .فالكثير من معلمي المدارس مثلا بعد انهاء عملهم في المدرسة يشتغلون كسواق او تجار، وبالرغم من هذا العمل المضني فالقليل القليل منهم من ينتقل الى صفوف البرجوازية ،فالمعظم يسير في الطريق الاسهل والطبيعي والحتمي وهو طريق التحول الى صفوف الطبقة العاملة ..

يعاني المثقفون العرب من الكثير من المشاكل وآلامهم كبيرة لانهم (نسبيا) يعون هذه المشاكل اكثر من غيرهم . وبالاضافة الى المشاكل التي يعانون منها مثلهم مثل غيرهم من الطبقات والفئات الاجتماعية المضطهدة، فالانتلجنتسيا تعاني اكثر من غيرها من البطالة (بطالة ذوى الياقات البيضاء) ،خاصة لان الدراسة الاكاديمية في بلداننا تفتقر الى التخطيط، ،وفي الكثير من الحالات فان عدد الكوادر المتخرجة تفوق احتياجات الدولة ،كذلك فان الميل نحو العلوم الانسانية اكثر من العلوم التكنيكية في بلادنا .كذلك فالمثقفين (خارج اطار السلطة لا يستطيعون التعبير عن ارائهم بحرية ،ومن الصعب ايجاد الكتب المطلوبه والجرائد الغير موالية للسلطة وقراءة جريدة ممنوعة(في البلد الشقيق المنتظر) يعني ١٥ عاما في السجن حسب القانون .. .

ان هذه المشاكل مجتمعة والتي يعاني منها المثقفون والتي نتجت عن عوامل ذاتية وموضوعية تو دى الى مشكلة كبيرة وصعبة وخطيرة وهي المشكلة التي تسمى "هجرة العقول" او "نزيف العقول" (١١) . لقد كتب الباحث السوفياتي سكوروف عن الاسباب العامة للطابع السوسيو اقتصادى لهذه الظاهرة وقال بان اهم سبب لذلك هو الافاق اللاديمقراطية للدول النامية (١٢) .. .

ان أحد لا يستطيع عدم الاعتراف بدور الانتلجنتسيا في العالم العربي ،خاصة في مجال السياسة والتعليم والايديولوجيا ، وبالنتيجة دورها الهام في عملية الصراع الطبقي لصالح هذه الطبقة او تلك .

Digitized by Birzeit University Library

ومن صفات التركيبة الاجتماعية لسوريا مثلا ـ المعذره للبعد الكونفدرالي عن مثالنا التقليدي ـ انه بعد تحقيق الاستقلال السياسي توسعت وتوطدت الفئات الوسطى العصرية الطابع ـ الضباط والمستخدمين والموظفين والانتلجنتسيا بصورةعامة. فقبل الاستقلال لم تلعب الانتلجنتسيا دورا يذكر في حياة البلاد السياسية مع ان معظم الاحزاب السياسية السورية (والعربية الاخرى) كانت مؤسسة من قبل ممثليها. ممثلي الانتلجنتسيا اصبحوا أحد القوى الفعالة في نضال الشعب السوري من أجل التقدم الاجتماعي (١٣). ولكن الدور الذي تلعبه الانتلجنيسيا يبقى محدودا تاريخيا، ومرتبطا الى حد كبير بنمو وتطور الطبقة العاملة وبمستوى نضالها الكيفي والكمـــي .

وكما اسلفنا فان مفهوم "الانتلجنتسيا في العالم الثالث اوسع مما هو عليه في حقيقة الامر وذلك لانها تضم تحت هذا المفهوم الموظفين وكافة المتعلمين الاخرين. وتقسم الى قسمين الانتلجنتسيا المدنية التي تضم بالاساس رجال ـ ونساء ـ العلم والتكنيك ـ المهندسين، الاطبا ، المدرسين، الصحفيين. والانتلجنتسيا العسكرية وهم الضباط ذوى الرتب الصغيرة والمتوسطة وحيث ان المثقفين قد خرجوا من صفوف مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية فهم وكما بين لينين "بشكل واضح وبشكل حاسم وبشكل دقيق يعكسون ويعبرون عن تطور المصالح الطبقية والفئات السياسية في كل المجتمع" (١٤) ..

لقد أثرت الاتجاهات الايديولوجية الغربية على الانتلجنتسيا العربية منذ وقت الاحتلال الكولونيالي. فهي تختط لنفسها بالاساس اتجاها ليبراليا حيث انهم "معجبون بافكار الثورة البرجوازية الفرنسية "حرية مساواة، عدالة، وكذلك بافكار الاشتراكية الطوباوية في القرن التاسع عشر. ولذلك فليس بالضرورة ان تعكس مصالح الطبقة او الفئة التي انحدرت منها بصورة كاملة ومجردة فالايديولوجيا السائدة تو ثر عليها ايضا ويمكننا القول ان الانتلجنتسيا تعتبر المرآة التي تنعكس فيها التناقضات بين سائر الطبقات والفئات الاجتماعية وكذلك الصفات الرئيسية لكل منها. وكونها منحدره من صفوف طبقات اجتماعية معينه فهذا لا يعني الاستقلال النسبي لهذه الشريحة الاجتماعية التي تملك مصالحا ذاتية مستقلة واذا كانت مصالح العمال والفلاحين والبرجوازية ووصفهم السياسي تقرره بالاساس اوضاع اقتصادية ومصالح مادية معينة ، الا ان هذا المو شر لا ينطبق تماما ولا يصلح لان يكون المقياس الوحيد للانتلجنتسيا ولذلك فمن أجل تحليل التوجه السياسي لها فمن المهم بمكان دراسة عوامل اخرى بالاضافة للعوامل السوسيو ـ اقتصادية (الانحدار من صفوف هذه الطبقة او تلك الدور الاجتماعي والمهني ..الخ) . ومن هذه العوامل الاخرى: الجو الثقافي المحيط المناخ الفكرى والسيكولوجي للوسط الجامعي او المدرسي الذى تخرج منه المثقف امكانية الحرية الفكرية والتعبيرعنهاودرجة تشجيع الابداع . وهكذا .كذلك فيجب علينا ان لا نهمل حقيقة هامة وهي انه في المجتمع الرأسمالي المتطور فان المواقف والمواقع السياسية للانتلجنتسيا ثابته وواضحة وامكانية المبادره الذاتية امامها محدودة اكثر منها في المجتمعات النامية(١٥) .أى أنه يجب الاهتمام الى الفهم البرجوازى لانتلما الانتلجنتسيا ،حيث يعزون ذلك عادة الى عوامل ذاتية بحته او اسباب سيكولوجية .ولكن الواقع العملي يثبت ان هذا يعتمد على عوامل

Digitized by Birzeit University Library

سوسيو ـ اقتصادية، سيكولوجية وسياسية متشابكة ..

ان نمو النشاط السوسيو ـ سياسي للانتلجنتسيا المدنية والعسكرية في البلدان العربية سمح للعناصر اليسارية المتطرفة الوقوع في غلطة جديدة بالاضافة لاخطائها الكثيرة. فاتباع ماركوزي من المثقفين العرب يتكلمون عادة عن الرسالة "الخاصة" التاريخية للانتلجنتسيا وللطلبة خاصة او للشباب عموما في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم المعاصر (١٦). وهذه الكلمات عادة ما تكون مصحوبة بالصراخ عن الصراع الطبقي وعن المبادئ الماركسية وعن الثورة "المستمرة" مع أنهم بذلك انما يتجاهلون القوانين الموضوعية والمبدئية في عملية الصراع الطبقي

لقد وصف لينين الانتلجنتسيا البرجوازية بانها "ليست طبقة مستقلة اقتصاديا ولذلك فهي لا تمثل قوة سياسية مستقلة ومثال واضح على ذلك الموقف الذي اتخذه الكثير من المثقفين المعربين فكتاب مصريون كبار من امثال توفيق الحكيم ونجيب محفوظ كتبوا في مؤلفاتهم كثيرا عن معاناة الفقراء وعن طموح الشعب المصري للتقدم الاجتماعي وعن الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية في وقت الرئيس عبد الناصر ولكنهم بعد ذلك اصبحوا يدافعون عن نظام السادات وصفقة كامب ديفيد ولعزل مصر عن بقية العرب، واخذوا يتجهون بمصريتهم وانهم ينحدرون من اصل فرعوني وهم بذلك ومع اصدقائهم الجدد ـ الاسرائيليين ـ اكثر حضارة من العرب.

ويمكن ـ برأينا ـ تقسيم الانتلجنتسيا العربية الى تيارين رئيسيين عريضيين الماركسي والبرجوازي (القومي ـ الديني) واحيانا تكون الكفة الدينية اكثر رجحانا ضمن هذا التيار فيسمى بالتيار الديني، او يسمى بالتيار القومي عندما يكون الفكر القومي اكثر رجحانا. فالفكر القومي والديني هما في وحدة داخلية كبيرة مهما كثر الحديث السطحي عن العداء بينهما او عن الجوار بينهما.. فالذي يجري في واقع الامر هو حوار بين طرفين لنفس الاتجاه حول الغلاف الخارجي لـه .

وكما هو معروف ،فان الاتجاه الاول ـ الماركسي ـ يتميز بدقة اكثر من الثاني ويوضح النظرية وبالوحدة بينما الاتجاه الثاني يتميز بالتمايز الكبير بين اجنحته المختلفة نظرا لتعدد المصادر وعدم وضوح الهدف ـ ان وجد هدف ـ غير معاداة الاتجاه الاول

ولقد استثنينا من الاتجاه الاول اولئك الذين خرجوا ـ وبتقدير معظم الباحثين ـ من صفوف التيار الماركسي مثل التروتسكيين والماويين رغم قلة عددهم ،فبعد ان اصبحت مواقف القيادة الصينية واضحة بالنسبة لعلاقتها مع حركة التحرر الوطني العربية، وموقفها بالنسبة للاتحاد السوفياتي وبقية الدول الاشتراكية الاخرى والتي تمثلت في عقد حلف مع الامبريالية وخاصة الامريكية. فاغلبية هؤلاء "الماركسيين" اما ان اتخذوا مواقع يمينية وهي تلك المواقع التي اتخذتها قيادتهم في بكين ،او حلوا منظماتهم وانتموا من جديد الى الاحزاب الماركسية مثلما حدث في لبنان. وبالطبع فعندما نتكلم عن الانتلجنتسيا العربية فاننا نكثر الحديث عن لبنان لان هذا البلد كان حتى وقت قريب مكان تجمع لممثلي هذه الشريحة الاجتماعية العربية وحيث الحرية التي سمحت بوضوح في هذه الشريحة ..

وبالطبع لا يمكن القول بان اليسار الجديد قد انتهى كليا ـ والحديث هنا عن الوطن العربي ـ وكذلك لا يمكن القول ايضا

Digitized by Birzeit University Library

بان اليسار الجديد قد اصبح يمينيا، وان كان الطرفان يصبان في نفس المستنقع ..

ان البعض ـ مع قلتهم ـ في البلدان العربية ما زال يؤمن بالمادية مثلا ويعتقد بأن القيادة الصينية قد انحرفت عن الطريق السليم الذى رسمة ماوتسي تونغ وانه يجب اعادة الحياة للماوية من جديد .

والتيار الثاني من الانتلجنتسيا العربية يقسم الى عدة اتجاهات، وهي الاتجاه القومي اليميني (الشوفيني) وغالبا ما يضع الكتاب الجناح العراقي لحزب البعث ضمن هذا الاتجاه وكذلك الاتجاه المصرى (الفرعوني) . والاتجاه القومي ـ الديني (المسلم والمسيحي) الذى يقسم بدوره الى قسمين . محافظ وليبرالي الذى يؤمن بالديمقراطية البرجوازية الاوروبية، وكما قلنا سابقا فان مثلهم الاعلى هو امريكا واوروبا الغربية. كذلك فان "الديمقراطيين الثوريين" يتأرجحون في اغلب الاحيان بين القومية والماركسية .

والذى ساعد على انتشار الافكار الليبرالية الغربية في اوساط المثقفين العرب هو تأثير الانظمة المعادية للديمقراطية في البلدان العربية. الشاعر العراقي الهارب من وطنه ـ سعدى يوسف ـ كتب في احد المجلات البيروتية ان أمنيته ان يضع ورقة ولو بيضاء في صندوق اقتراع في وطنه. وهذا يدل على الضغط الذى تتعرض له الشعوب العربية من قبل انظمتهـــا .

وبالاضافة للاتجاهات المذكورة المنتشرة في اوساط الانتلجنتسيا العربية، هناك اعداد قليلة جدا من الوجوديين ـ ربما دون ادراك منهم احيانا ـ ومع قلة عددهم فهم يمتازون ايضا بأنهم يعيشون على هامش الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في بلادهم . ويمكننا كذلك اضافة القوميين التكنوقراط ـ الوضعيين من الناحية الفلسفية ،والذين "لا يتدخلون" بالسياسة ويعتبرون عمليا جزءا من الطبقة البرجوازية، وكثيرا ما يشكل هؤلاء الحكومة في لبنان مثلا (حكومة الحص سابقا والوزان حاليا) .

وبين التيارات الانفة الذكر وداخلها يجرى صراع ايديولوجي عنيف ، وقاد هذا الصراع الكثيرين من القوميين الى الماركسية مثلما حدث مع المنظمات الفلسطينية التي تبنت الماركسية كسياسة رسمية ،والمثال الاكثر وضوحا على ذلك هو تحول الجبهة القومية في اليمن الجنوبي الى الماركسية ـ اللينينية بعد صراع سياسي وايديولوجي حاد وحيث تحولت جبهتهم الى الحزب الاشتراكي اليمني قبل وقت ليس بطويل .

ان القومية التي مثلها المثقفون غير الماركسيين في فترة الكفاح ضد الاستعمار والتي مثلت الشعور الوطني لهؤلاء ،اصبحت ايديولوجية للكثير من القادة العرب مثل البعثيين في العراق وسوريا وحزب الدستور في تونس .

ان الصراع داخل صفوف الانتلجنتسيا يحدث اكثر حدة منه في اية فئة اجتماعية اخرى، وذلك لان المثقفين يقعون اكثر تحت تأثير الصراع الايديولوجي على الساحة العالمية، وكذلك فالانتلجنتسيا لا تملك مصالحها التاريخية الواضحة مثل البروليتاريا والبرجوازية، ومواقفها السياسية تعتمد اكثر ما تعتمد على قناعاتهم الفكرية اكثر من مصالحها الاقتصادية المباشرة .

والانتلجنتسيا لا تملك علاقة مباشرة بالانتاج مثل البروليتاريا والبرجوازية فهي لا تملك وسائل انتاج ولا تنتج خيرات مادية فهي لا تحتل مكانا مستقلا في نظام الانتاج وعلى هذا الاساس تحسب كفئة اجتماعية وليس

Digitized by Birzeit University Library

كطبقة "بين الممثلين المنفصلين للفئات الوسطى لا توجد مصالح مباشرة مشتركة، وروابط وثيقة ،ولا يجمعهم منظمة طبقية واحدة (٨)٠ ولذلك اكد ماركس بانهم (ليسوا مؤهلين للدفاع عن مصالحهم الطبقية باسمهم الخاص ٠٠٠٠(١٩) ٠٠٠

يزداد وزن واهمية الانتلجنتسيا بازدياد الدورالاقتصادي للدولة خاصة في تلك الدول التي تسير بطريق التطور اللارأسمالي وتخطط لعملية التوظيف وتوزيع الخريجين الجدد وفي الدول التي تشارك في توجيه المجتمع اكثر فاكثر وتلعب دورا اساسيا في تحديد علاقات الانتاج وتكف عن كونها فقط بناء فوقيا وهذا بالطبع لا ينفي جوهر الدولة وانها تنظيم سياسي طبقي يعبر عن مصالح الطبقة الحاكمة بتزايد دور الانتلجنتسيا ٠وعلى اية حال فان مستوى الحياة والوضع الاجتماعي للانتلجنتسيا ينقص مع تزايد عددها حيث انها تخضع لقانون العرض والطلب في الوطن العربي ايضا٠

لقد اخذ الديمقراطيون الثوريون ـ الذين يخرجون غالبا من صفوف الانتلجنتسيا (مدنية وعسكرية) ـ السلطة بأيديهم في كثير من البلدان العربية (الجزائر وسوريا٠٠) وبعد استيلائهم على السلطة اشتد الصراع بين جناحيها اليساري واليميني ،وحسب تناسب القوى السياسية والطبقية في تلك الدولة يتقرر النصر لهذا الجناح او ذاك ويحدد طريق تطوره كذلك٠ ففي جمهورية اليمن الديمقراطي ونتيجة لانتصار الجناح اليساري للثوريين الديمقراطيين ظهر طريق التوجه الاشتراكي في النمو ،وفي السودان ـ كمثل معاكس ـ بعد انقلاب الجناح اليميني برئاسة الرئيس نميري خرجت هذه الفئة من صفوف الثوريين

الديمقراطيين واصبحت ممثلة للبرجوازية البيروقراطية وذهبت لحد التعاون مع الامبريالية ٠٠

البروفسور السوفياتي اوليانوفسكي كتب يقول :بأن "الديمقراطية الوطنية ،اذا طمحت في الاحتفاظ وتوطيد محتواها الثوري،فلا يوجد طريق آخر غير الابتعاد عن الشك عدم الثقة وملاحقة التقدميين ،غير الاعتراف بقانونية وجودهم وتطورهم بحرية واستقلال ايديولوجيا وتنظيميا وبالنظر اليهم كقوة سياسية حليفة وصديقة (٢٠) ٠

وتعتبر الفئات الوسطى وخاصة الانتلجنتسيا حليفا تاريخيا للبروليتاريا ان تقارب مصالح الفلاحين ،الفئات الوسطى في المدن والانتلجنتسيا مع مصالح الطبقة العاملة وتعاونها المتنامي تقود الى تضييق القاعدة الاجتماعية لسلطة الاحتكارات تزيد من حدة تناقضاتها الداخلية وتساعد على تجنيد الجماهير العريضة في النضال ضد الامبريالية على ان هذا التحالف يواجه بصعوبات عديدة خاصة بعد الانتقال الى السلطة وبمساعدة الدعاية الامبريالية المشوهه ٠لقد حذر لينين من هذا الموضوع عندما قال بأنه من السهل جدا "تحول المثقف الراد يكالي ـ المثقف الاشتراكي الى ذنب للحكومة الامبريالية(٢١)

وامام الانتلجنتسيا العربية فرصة اكبر من الفئات والطبقات الاخرى للوصول الى الحكم حيث انها القوة الوحيدة المنظمة في المجتمع تقريبا ،كذلك فان جزءا منها ـ أي الانتلجنتسيا العسكرية ـ تملك السلاح وتستطيع استعماله عند الحاجة ٠وفي كثير من البلدان المتخلفة لا يجد المثقفون عملا بتخصصاتهم وبالتالي تزيد من فرصة اهتمامهم بالسياسة وانجذابهم اليها٠ ان تسييس الانتلجنتسيا في البلدان النامية مستمر حتى ايامنا هذه وما زالت السياسة تغري الحرفة

Digitized by Birzeit University Library

الثانية)للمثقف في الشرق (٢٢) .

وعندما ينتقل المثقف الى السلطة فهو لا يعتبر نفسه فقط ممثلا اداريا (منظما) لطبقة او فئة معينة ولكن صاحب امتيازات ايضا وهو مستعد للدفاع عن مصالحة بأية طريقة " " ان من اهم العوامل المهمة والمتطوره في التركيبة الاجتماعية ـ الطبقية في البلدان المتحررة ـ يقول العالم السوفياتي ف.لي ـ هي الفئات البيروقراطية التي تتشكل ليس فقط على حساب موءسساتها ، ولكن ايضا من الخارجين من صفوف الفئات الاجتماعية الوسطى وفي المقدمة من الانتلجنتسيا الوطنية الموظفين ،السياسيين والحزبيين وشخصيات الجهاز الاداري للحكم السابق .الخ) (٢٧) .

وكثيرا ما تأتي البيروقراطية ليس من بين اوساط الانتلجنتسيا التي تشتغل مباشرة بالعمل الفكري ،ولكن من بين اوساط الانتلجنتسيا الراديكالية التي تشغل الدنيا بالحديث عن اخطاء السلطة ،وتتكلم ضد نقائص الاخرين ولكن ليس من اجل حل المشاكل من جذورها ومن اجل تحطيم "الامتيازات" بصورة عامة ،ولكن فقط من اجل الحصول على تلك الامتيازات لنفسها او من اجل ان تخرج "بحصة" من هذه الامتيازات . وهوءلاء المثقفين الراديكاليين (الاشتراكيين) وبغض النظر عن مشاركتها في الحركات الوطنية في البلدان العربيةفانهم يخرجون من الصراع في اول عرض لها للحصول على امتيا زات او ظهور خطورة على مصالحها وهوءلاء المثقفين عادة ما يكونون غير واعين سياسيا ويحاولون انتقاد الجميع ،حتى اولئك الذين يدعون انهم يعرفون من نفس مصادرهم الفكرية . ان اول خطوةتحوبرقرطةالانتلجنتسيا هي استعمالها في جهاز الدولة او في المجالاتالمتعلقة بهذا الجهاز، وهذه الظاهرة ملازمة للدول النامية. والحركات الوطنية وبعض البلدان العربية تعير اهتماما كبيرا لقضية البيروقراطية حيث انها تشكل خطر عليها. لقد قال الرئيس الجزائري الراحل هوارى بو مدين في عام ١٩٧٤ "تتحول الانتلجنتسيا في المدينة الى بيروقراطيين وبرجوازيين او تتراجع عن الثورة واحيانا تصل الى حد الخيانة. واذا كانوا بالامس(أى المثقفين) اعداء الداءللاستعمار فانهم وبعد الحصول على الاستقلال اخذوا ـ وببساطة ـ مكانة . ففي الجامعة يفلي الشباب الثورى عند الطالب ،ولكن وحالما تنتهي دراسته فانه ينخرط في المجتمع الاستهلاكي في المدنية (٢٤) .

وجزء الانتلجنتسيا الذى يشارك في توجيه السلطة، اى الفئة العليا في جهاز الدولة. تكف عنتأدية وظيفتها كانتلجنتسيا وتصبح ممثلة لهذه الطبقة المسيطرة او تلك .

وفي كثير من البلدان الغربية فان وضع ووجهات نظر الانتلجنتسيا والجماهير متباعده ولذلك فقلما يفهم المثقفون مطالب جماهير الكادحين وقلما يشاركون بحزم في النضال من أجل تحر رها الاجتماعي ..

ومهما كان الخلاف حول اهمية الانتلجنتسيا في البلدان العربية والوظائف التي تؤديها ،فان احدا لا يستطيع ان ينكر انها نشرت الفكر العالمي في هذه البلدان .

وتقع الانتلجنتسيا دائمافي حركة مستمرة، فهي ليست معزولة عن عملية الصراع الطبقي التي تزداد حدة في البلدان العربية والبلدان النامية كلها.انها اكثر الفئات الاجتماعية حركة ولذلك فان اى بحث لها خارج اطر التطور الاجتماعي خارج الصراع ،بدون الاخذ بالحسبان انتقال بعض مجموعاتهـــا الى البرجوازية البيروقراطية لا يمكن ان يكون

Digitized by Birzeit University Library

علميـــــا ..

والقسم الثاني من الانتلجنتسيا ،او التي يطلق عليها احيانا "الانتلجنتسيا من نوع خاص" هي الانتلجنتسيا العسكرية التي تتكون من الضباط المتوسطين والصغار وهم ممثلون للبرجوازية الصغيرة وللفئات الوسطى في المدينة والريف في البلدان العربية يستثنى منها البلدان "المحافظة" (الاردن ،السعودية المغرب ،الخليج..) حيث ما زالت منتشرة العلاقات ما قبل الرأسمالية حتى الان وحيث يمثل كبار الضباط الاقطاعيين وزعماء القبائل وكبار الرأسماليين وحيث تكون هذه المواقع ـ كبار الضباط ـ امتيازات مقصـــودة علـــى الارستقراطيين ..

ومن المهم الملاحظة ان الانتلجنتسيا العسكرية دورا استثنائيا في الحياة الاجتماعية السياسية للبلدان العربية. فأية حركة ثورية بغض النظر عن قوتها وتركيبتها الطبقية لا تنتصر الا اذا دعمها الجيش. يقول البعض ان الثورة في ايران اثبتت ان الجيش لا يمكن ان يقف امام الثورة الشعبية. وباعتقادنا ان الثورة في ايران هي الشاذ الذى يثبت صحة القاعدة كما يقولون ،ويجب الاشارة كذلك ان الكثيرين من الضباط والجنود بعد المرحلة الاولى من الثورة وقفت الى جانب الجماهير ـ ـ هذا من جانب ـ ومن الجانب الاخر فان جماعات "الفدائيين" كانت مسلحة ومع الثورة فالثورة تنتصر في حالة وجود قوة مسلحة معها

ان كل الانظمة "التقدمية" او "التي كانت تقدمية" في الوطن العربي جاءت الى السلطة بمساعدة الجيش (مصر ،سوريا ،السودان ، الجزائر..الخ) وبعد ذلك منعت هذه الانظمة الجيش من "التدخل" في السياسة او انهم سمحوا بذلك من خلال الحزب الحاكم فقط مثلما يحصل في سوريا والعراق ،وكل من يخالف ذلك يحكم عليه بالاعدام في العراق.

داحضا شعار عدم تدخل الجيش في السياسة اكد لينين ان "عدم جذب الجيش الى السياسة هذا شعار خدم البرجوازية والقيصر الذين هم في الواقع يجذبون الجيش الى السياسة الرجعية" (٢٥) .

ان مشكلة الجماعات العسكرية التي تقود في العالم العربي تكمن في انهم يعتقدون وكأنهم يفهمون في كل شيء (في السياسة، الاقتصاد ، الايديولوجيا وكافة مجالات العلم) وهم يتميزون بعدائهم للانتلجنتسيا المدنية ولذلك فهم غالبا ما يأخذون بايديهم كل مؤسسات الدولة .

ويدور جدل كبير بين العلماء والقادة السياسيين حول الاسباب التي تجعل الجيش يلعب هذا الدور الخاص في البلدان النامية. كتب خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعي السوري يقول : "من بين الفئات الوسطى يعتبر الضباط الذين يسيطرون على الجيش القوة المسلحة الوحيدة. وطبيعي لذلك ان يلعبوا دورا اساسيا ونشيطا (٢٦) اما العالم السوفياتي ل.م. انتين فيكتب ان "العوامل التي تساعد على الدور السياسي غير العادي للعسكريين عديدة منها درجة تسييس الجيش، خاصة هناك في الاماكن التي تشكلت فيها القوات المسلحة في خضم حركة الكفاح من أجل التحرير أو التي شاركت بنشاط في حل المهام الوطنية العامة ." ويضيف انتين" وتدخل الجيش في السياسة كان مصاحبا في الكثير من الاحيان بعدم قدرة الحكومات المدنية التعامل مع تلك الصعوبات التي تظهر امام البلدان الحديثة في عملية تطورها المستقل. وفي النهاية ،فالجيش يمثل القوة المنظمة الوحيدة التي تملك القدرة لتأخذ على عاتقها

Digitized by Birzeit University Library

المسؤولية في الحفاظ على النظام في ظروف الازمات الوطنية الحادة وعدم رضا الجماهير عن سياسة الفئة العليا المتحكمة".

أما السوفياتي خان فيكتب: "تدخل الجيش في مسرح الحياة ـ ظاهرة ليست محض صدفة . فهي مقرونة بان الجيش في البلدان النامية ،غالبا ما يكون المؤسسة الوطنية الوحيدة ـ والشاملة لجميع الطبقات ـ والقوة المنظمة في المجتمع الذي تكون فيه الامة ما زالت في طور التكوين حيث الاتصالات العامة ضعيفة ـ الاتصالات العائلية والقبلية والعشائرية تحدد الى حد كبير وعي الناس الذين تعودوا التفكير ضمن هذه الاطر (اطر الاصل والقرابة والقرية..) . والجيش يعتبر هذا العضو الذى اختلطت فيه كل شرائح السكان وممثلي العشائر والجماعات الاجتماعية المختلفة. فالجيش قاد الناس الى الوعي الذاتي العام ـ الوطني فاصبح رمز لوحدة الامة ،وحاملا لافكار السيادة كل هذا اعطى للجيش الاولوية وجعلته بمرتبة مؤسسه من نوع خاص داخل الدولة .والجيش يعتبر كذلك اكثر المؤسسات عصرية في المجتمع ،وهو بطبيعته مرتبط اكثر من غيره بالعالم الخارجي (٢٨) . وكذلك وبالاضافة للذى قيل فالجيش يلعب هذا الدور لان كل وسائل القمع موجودة بين يديه .

والفرق بين دور الجيش ودور الطبقات والفئات الاخرى في المجتمع مرتبطة بالفرق بين الصراع السياسي الطويل المعتمد على تعبئة الجماهير الشعبية وبين الطريقة العسكرية السريعة في النضال . وبالنتيجة فالجيش يحقق اهدافه اسرع واسهل ،ولذلك فالاحزاب البرجوازية الصغيرة عادة ما تلجأ الى طريقة الانقلابات العسكرية لانها من جانب لا تثق بالشعب ومن الجانب الاخر لانهم يعرفون ان الشعب لا يثق بهم ايضا . وهذا حدث في كل الاحزاب القومية العربية التي تعمل جهدها لتوسيع نفوذها في صفوف القوات المسلحة المؤهلة للقيام بانقلابات..

اننا لا نشارك خان رأية في أن الجيش في البلدان النامية هو رمز لوحدة الامة، فالجيش نفسه ليس موحدا ولا متجانسا. ان الكثير من الانقلابات العسكرية التي حدثت في البلدان العربية (السودان ،العراق ،سوريا..) تحققت من قبل مجموعة من الضباط ضد مجموعة اخرى منهم ،وفي الكثير من الاحيان كان يحصل هذا ضمن نفس الاطار ـ نفس الحزب ـ ،مثلما حدث في سوريا سنة ١٩٧١ عندما قاد الرئيس السوري الحالي حافظ الاسد "حركته التصحيحية" ضد رفاقه في حزب البعث. كذلك نفس الشيء في السودان ايضا عام ١٩٧١ عندما حاول عدد من اعضاء مجلس قيادة الثورة العمل بتصحيح داخل المجلس نفسه. وفي نفس الوقت فليس من الممكن القول بان "خان" كان محقا تماما عندما قال بان الجيش يلعب دورا ثوريا كبيرا في المجتمعات التي تغلب عليها العلاقات قبل الرأسمالية لان الجيش في هذه الدول مثل الاردن والعربية السعودية حيث تسود علاقات اكثر تخلفا يلعب دورا اقل في تحقيق تحولات ثورية في المجتمع ...

وفي واقع الامر، فالجيش في البلدان العربية يمثل قوة قائمة بحد ذاتها ومستقلة اكثر من الجيوش في البلدان الرأسمالية المتطورة، ولكن هذا لا يعني بأى شكل من الاشكال ان الجيش في هذه البلدان ـ العربية يشكل طبقة اجتماعية قائمة بحد ذاتها ،فهو يتشكل من ممثلين لطبقات محدده ويعكس مصالح هذه الطبقات التي يضم ممثليها مع أنه يعكس بالطبع وبصورة واضحة مصلحة الطبقة الحاكمة. وهذا لا يعني انه لا يوجد للجيش مصالحة الخاصة كجيش خارج الاطر الطبقية التي يمثلها..

Digitized by Birzeit University Library

ففي البلدان التي تتعدد فيها انماط الانتاج وحيث لم تكتمل بعد عملية التشكل الطبقي يشكل الجيش ـ الى حد ما ـ قوة مستقلة . على ان الجيش لا يمكن ان يكون "فوق" الطبقات او "خارج" الطبقات .وكما قال لينين : فالجيش لا يمكن ان يكون ولا يجب ان يكون محايدا(٢٩). ولهذا فاية حركة للجيش تعكس موضوعيا مصالح هذه الطبقة او الفئة او تلك ..

ينقسم الجيش في البلدان العربية الى ثلاثة اقسام حسب طريقة تشكيلها الجيوش التي تأسست من قبل المستعمرين قبل الاستقلال (الاردن ،سوريا ،مصر) والجيوش التي تأسست بعد الاستقلال السياسي وظهور الدول الوطنية (في دول الخليج العربي) .

والجيوش التي ظهرت في خلال الثورات الوطنية التحررية (الجزائر واليمن الديمقراطي) .

ويتميز الشكل الاول بكون الكثير من ضباطه من ابناء الاقليات القومية والدينية ففي الاردن مثلا اسست السلطة فرقا معينة من هؤلاء لحراسة القصر وهذا كان لان الدوائر الامبريالية طمحت بكل قوتها لوضع الجيش امام الجماهير الشعبية. وفي نهاية المطاف سهل هذا استغلال ببلدان وخلقت فيها مشاكل طائفية كبيرة .ففي الاردن مثلا يشكل الشركس والبدو اكثرية الضباط ،وفي سوريا من العلويين حيث يقود الاخوان المسلمون هناك صراعا ضد النظام السوري تحت شعار اسقاط سلطة العلويين واستبدالها بحكم السنيين. لقد كتب السوسيولوجي الاميريكي جانوفيتس بان "المستعمرين الفرنسيين ركزوا على قضية الاقليات الدينية واللغوية" ..

ان تاريخ الجيش الاردني ـ الذى يعتبر تاريخ الدولة نفسها ـ معروف برجعيته وعدوانيته لكل حركة وطنية اردنية كانت ام فلسطينية ،مثل على ذلك حوادث ايلول ١٩٧٠ حيث قتل على ايدى الجيش حوالي ٢٠ ألف فلسطيني وطردت منظمة التحرير من الاردن، وحدث هذا بالطبع لعدة اسباب وساعد على تحقيقه الطبيعة الطبقية للسلطة وتركيبة جيشها. فليس بمقدور اكثر البحاثه تفاؤلا ايجاد صفحة واحدة بيضاء في تاريخ الجيش الاردني ،وهذا الجيش اسس بالذات من أجل الحفاظ على مصالح الامبريالية الانجليزية ومن ثم الامريكية ..

وبالنسبة للجيش السوري وهو من نفس نوع الجيش الاردني حسب تقسيمنا السابق فيمكن ملاحظة المواقف المزدوجة له حيث يمثل الضباط الفئات المتوسطة.. لقد كتب الباحث الامريكي فيشر بأن "كثير من ضباط الاكاديميه العسكرية في حمص خرجوا من عائلات ينتمون الى الطبقة الوسطى: ملاك الاراضي الصغار ،تجار وحتى حدادين" (٣٠) ولذلك نلاحظ عدم ثبات مواقفهم وازدواجياتها من منظمة التحرير الفلسطينية ،حيث ساعد الجيش السورى الفلسطينيين في ايلول ١٩٧٠ في الاردن في نفس الوقت الذى وقف منه نفس هذا الجيش ضد القوى التقدمية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية في احداث ١٩٧٦ .

اما الجيوش من النوع الثاني ،أى التي تأسست بعد نيل الاستقلال السياسي فهي غير نشيطة سياسيا ونادرا ما تتدخل بشكل مباشر في شؤون الدولة

والنوع الثالث ـ وهي الجيوش التي كانت قد تأسست في فترة النضال التحرري وهي تتميز بدعمها الثابت لحركات التحرر الوطني مثلما يدعم الجيش الجزائري حركة البوليساريو ضد الرجعية المغربية .

Digitized by Birzeit University Library

لقد كانت القضية الفلسطينية وانشاء دولة اسرائيل من أحدالاسباب المعلنة عن الاقل ـ لكل الانقلابات العسكرية في الدول العربية. وأثر هذا على الشعور الوطني للعرب وخاصة فئاتهم الوسطى التي كانت في العادة القوى المحركة لهذه الانقلابات ،ولكن في الاردن وحيث تفتقد الفئات العليا من الضباط لهذا الشعور الوطني (ابناء الاقليات القومية والبدو) لم تستطع القضية الفلسطينية ان تكون سببا في انقلاب عسكري هناك مع ان اغلبية الضباط الصغار والجنود من اصل فلسطيني فالقضية الفلسطينية لم تساعد فقط في كشف الجوهر الخياني للفئات الحاكمة في البلدان العربية سنة ١٩٤٨ (اقطاعيين وبرجوازية كبيرة) ولكنها ساعدت جيوش البلدان العربية لادراك مشاكل التخلف العامة في بلدانهم وهذا ساعد على ظهور التيارات الوطنية والقومية في اوساط الضباط الصغار والمتوسطين وبين بقية الجماهيـــــر .

والقومية التي يتبناها الاضباط الانقلابيون عادة ـ ذلك الشعور الموجه ضد المضطهد الخارجي ،تكتسب بعد تحقيق الاستقلال اتجاها معاديا للجماهير وللطبقة العاملة وفكرها وفي نفس الوقت يجب ملاحظة ان هؤلاء الضباط يتميزون بمعاداتهم للشيوعية وعادة ما تكون معاداتهم موجهة بالاساس ضد الشيوعية المحلية ـ او تلبس هذا الثوب لانهم يدركون ان المهدد المباشر لسلطتهم هو الطبقة العاملة المحلية من جهة ومن جهة اخرى لكي يتيحوا لانفسهم اضطهاد شيوعيي بلدانهم دون استثارة بقية الاحزاب الماركسية في العالـــــم .

وسلطة الجيش عادة ما تكون مصحوبة بتحطيم الديمقراطية ،فتحظر الاحزاب السياسية .ويعتبر الجيش نفسه المؤسسة السياسية الوحيدة او حزب "الامة" وعادة ما يحاولون حل الاحزاب الاخرى واجبارها على الدخول في حزب "الجيش" السياسي ،أي الحزب الذى انشأه الجيش بعد وصوله للسلطة وحدث هذا حتى في مصر حيث وقعت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث انتمى الضباط الاحرار حينئذ الى مختلف الاحزاب السياسية القائمة في تلك الفترة (عبد الحكيم عامر،كمال الدين حسين ،انور السادات كانوا في حزب الاخوان المسلمين .حسن ابراهيم وجمال سالم في حزب مصر الفتاه .خالد محي الدين في تنظيم ماركسي ،ويوسف صديق شيوعي) (٣١) . وبغض النظر عن كل هذا دعي الى حل الاحزاب السياسية جميعها وطرد يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة لانه كان ضد اتخاذ مثل هذا القرار .وبعد ان شعر العسكريون انه ليس باستطاعتهم توجيه دفة الحكم بمفردهم لجأوا الى تأسيس "حزب" "الاتحاد القومي" وبعد ذلك "الاتحاد الاشتراكي العربي" الذى ضم في صفوفه ممثلي كافة الفئات الاجتماعية : على انه يجب ملاحظة ان هذا لم يكن حزبا بالمعنى العلمي للكلمة لانه ضم في صفوفه ممثلي كافة الطبقات الاجتماعية التي اتحدت حول عبد الناصر كما اسلفنا. وطبيعي انه بعد موت مو سس الاتحاد الاشتراكي (ناصر) كف عن اداء وظيفته .وانبثقت عنه ثلاثة اتجاهات سياسية يسار ويمين ووسط والتي يمثل قوادها الحاليون الضباط الاحرار السابقون ،أي اولئك الذين دعوا الى حل الاحزاب السياسية جميعها في السابق وصرحوا بان الحزبية خيانة وطنيـــــة .

ان القومية التي يتبناها الضباط مرنة جدا لدرجة ان كل واحد منهم يفهمها كما يريد ، ومن هنا نفسر تباعدهم عن بعض حال توليهم للسلطة وانتقال شعاراتهم الى الناحية التطبيقيـــــة ..

Digitized by Birzeit University Library

لقد دلت كل الامثلة التاريخية أى الاحداث التى "تدخل" فيها الجيش في السياسة واستولى على السلطة على الانتماء الطبقي لجماعة الضباط التي عملت الانقلاب بهذه الدرجة او تلك ،وأنه ورا تلك الانقلابات تقف قوى تعبر عن مصالح فئات المجتمع المختلفـــة .

والانقلابات تحدث عادة في غياب الديمقراطية وحيث تقع الجماهير في وضع لا يطاق وعن طريق الثورة فقط يمكنها اظهار مطلبها ، وكما كتب واحد من منظمة "الضباط الاحرار" المصريين خالد محي الدين الذى كان برتبة ميجر انذاك والان ممثلا لحزب التجمع الوطني الديمقراطي "طرحت الجماهير الشعبية شعارات ثورية منها الاطاحة بالملك وقطع العلاقات مع انجلترا،في نفس الـوقت الذى كانت فيه الحركة محرومة من القيادة السياسية الحقيقية،والقوى اليسارية التي كانت لها مصلحة في تحقيق هذه الشعارات كانت فاقده للقوه التي تمكنها من قيادة الاحداث لانها كانت ضعيفة من الملاحقة البوليسية ولم تكن تملك خيرة الكفاح المسلح. والقوه الوطنية الوحيدة التي لم تكن مضروبه هي الجيش،وساد في صفوف الجيش ذلك التذمر الثورى. والحركة القومية التي سادت الدولة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انتشرت ايضا في اوساط الضباط العسكريين والمحاولات المستمرة للرجعية لاستعمال الجيش كسلاح للقمع المباشر للمظاهرات والاضرابات أدت الى الالتصاق المباشر بالاحداث السياسية والى المشاركة في هذه الاحداث وهذا اعطى امكانية للضباط الصغار للشعور بقوتهم الحقيقية وللتفكير بسو ال لماذا لا تستعمل هذه القوة لصالح الشعب وضد اعدائه (٣٢)

وتتسم الجيوش العربية بكثرة عددها نسبيا وان اختلفت الاسباب التي ادت لذلك في هذه الدولة او تلك ، فاذا تحدثنا عن سوريا مثلا تسهل الاجابة قليلا لانها "لا يخلي امرها" من اشتباك مسلح او "حرب" مع اسرائيل .او عن مصر التي خاضت حروبا ايضا مع اسرائيل والبوم لها مهمة اخرى هي تنفيذ المهمات الامريكية في المنطقة،اما الاردن فوضعه مختلف تماما،فهو يلعب دورا آخر عندما يرسل جيشة الى اليمن الشمالي أو عُمان او العراق او عندما قام بضرب المنظمة سنة ١٩٧٠ .

عندما بحث ميرسكي في اسباب التوجه للجيش في "العالم الثالث" كتب ان "الشعب الذى حرم من نظام الدولة على مر عشرات بل مئات السنين ،بما في ذلك من جيشه ينظر الى جيشه كرمز لاستقلاله.. كذلك في معظم الدول التي يدور الحديث عنها مهنة العسكره محترمة تقليديا (٣٣) ،ولكنه استثنى الصين من ذلك حيث لا يحترمون مهنة الجيش هناك.

على اننا نعتقد انه يمكن ضم الكثير من الدول العربية لتلك الدول التي يزداد عدم الاحترام للعسكرة فيها ومنها الاردن والعراق.. وغيرها ،فالجيش الاردني مثلا مرتبط بكل الهزائم التي منيت بها الجيوش العربية ضد اسرائيل من جانب ومن الجانب الاخر مرتبط ايضا بالقمع وبالاضطهاد السياسي للحركات التقدمية والوطنية الاردنية والفلسطينية والمثل الصيني الذى اورده ميرسكي والقائل بأنه "من الحديد الجيد لا تصنع المسامير ومن الناس الجيدين لا يصنع جنود" يمكن الاتيان بالكثير من الامثله العربية المشابهة بل والاقل تهذيبا. ويثبت صحة هذا الاستنتاج النسبة الكبيرة من الذين يهربون من الجندية في

Digitized by Birzeit University Library

البلدان العربية .صحيح أنه كان لدى الناس اهتماما كبيرا بالجيش منذ فترة من الزمن عندما كان مصدرا للدخل (الاجرة) للكثير من العائلات الفلاحين الفقيرة التي بعثت بابنائها الى الجيش حيث كان للعسكريين امتيازات كبيرة في الاردن. الا اننا نلاحظ الان نقصا في اعداد الشباب المتوجهين الى الجيش حيث لا تجارى الاجره المستوى العالي للاسعار الان الذى يعاني منه الشعب في الاردن ولهذا يختار الشباب الهجرة الى الدول الاخـــــرى..

وتعتبر مشكلة برقرطة الجيش واحده من اهم المشاكل في تلك الدول التي يقع فيها الجيش في السلطة او في الدول حيث يقف الجيش فيها مع السلطة بصورة واضحة جدا. لقد كتب السوسيولوجي الامريكي ليف "كانت النخبة العليا في الجيش متداخله (integrated) في التركيبة السياسية وكانت فاتحة بذلك... لقد دخل الكثير من الضباط في حقيقة الامر في صفوف النخبة الوطنية" . لقد كان هذا الكلام عن اندونيسيا بالذات ولكنه ينطبق تماما على بلداننا العربية ايضـــا ..

ويحصل البيروقراطيون العسكريون على ارباح كبيره من وسائل الدفاع وصفقات الاسلحة حيث تذهب نسبة كبيره من ميزانية الدوله (حوالي النصف في الاردن). وعلى هذا الاساس ينادي الوطنيون والتقدميون في البلدان العربية محقين بضرورة تقليل جهاز الدولة (المدني والعسكري) والى استعمال الجيش في مجالات الانتاج والى تسليح الجيوش العربية من مصادر غير تلك المصادر الغربية حتى تتحرر من استغلال الاحتكارات التي تزود الجيوش العربية بالسلاح وتوجهها حسب مصالحها السياسية.

ويعتقد البعض ان المسلك السياسي للضباط يعتمد على المدرسة او الدولة التي درس فيها. ولكننانعتقد ان هذا لا يلعب دورا مقررا في مسألة تحديد الاتجاه السياسي .

ويتميز الضباط في البلدان العربية كذلك بوجود دورة سريعة في صفوفهم ،أي بوجود تنقلات واحالات للمعاش بسرعة كبيرة يضمن عدم الاستقرار لهم لكي لا يكون هناك مجال للتفكير باوضاعهم المحيطة..

واخيرا لا بد من القول ان الفئات الوسطى في بلادنا سوف تصبح اكثر فعالية وجذرية وتساهم في تحديد مستقبل شعوبنا في حالة وقوفها الى جانب جماهير المحكومين الذين "سيتكلمون حين يفرغ الحاكمون من كلامهم" كما يقول بريخت ...

المراجـــــــع

١) ماركس وانجلز ، المولفات مجلد ٤ ص ٤٣٤ باللغة الروسية
٢) الطبقات والصراع الطبقي في البلدان النامية ، موسكو ، ١٩٦٧ ص ٢٢٦ باللغة الروسية
٣) موتاغيروف ج .ز. الطبقة البانية ، لينيغراد ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ باللغة الروسية .
٤) اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمية ، وثائق ومواد ،موسكو ١٩٦٩ ، ص ٣٨ بالروسية .
٥) كامل م . بعض الملاحظات حول مفهوم "الطبقة الوسطى" كتابات مصرية ، بيروت ١٩٧٥ عدد ٢ ، ص ٦٢ .

Digitized by Birzeit University Library

٦) ماركس ، انجلز ، المؤلفات ، مجلد ٤ ص ٤٣٤ بالروسية .
٧) عن موتاغيروف ج.ز ، الطبقة البانية .. ص ٢١٨ بالروسية .
٨) بكداش خالد ، مقالات مختاره ، موسكو ، ١٩٧٠ ص ٤٢ بالروسية .
٩) انظر دراستنا عن البرجوازية العربية ، البيادر الادبي .
١٠) عن الطبقات والصراع الطبقي .. ص ٢٩١
١١) لقد اظهر بحث أجرى على ثماني دول عربية انه في سنوات ٦٢ – ٦٨ فقط هاجر الى الولايات المتحدة وكندا من تلك الدول ٥٣٨١٠ ، اخصائي (عن كتاب ماكسيمنكو ف .أ ، الانتلجنتسيا في دول المغرب ،موسكو ، ١٩٨٠ ص ٦١ بالروسية) وبالطبع هذا يستثني الهجرة الى اوروبا وامريكا اللاتينية ، وكذلك الهجرة الى داخل البلدان العربية ذاتها ، خاصة الهجرة الى دول النفط .
١٢) انظر مسكوروف ج.ى . الدول النامية : التعليم ، الاستيعاب ، النمو الاقتصادى ، موسكو ، ١٩٧١ ص ٣٥٣ .
١٣) انظر مير – بوداغوفا . سوريا في النضال من أجل توطيد الاستقلال الوطني (١٩٤٦ – ١٩٦٦) موسكو ، ١٩٧٨ ، ص ١٢ بالروسية ..
١٤) لينين ف .أ. المؤلفات الكامل ، مجلد ٧ ، ص ٣٤٣ بالروسية .
١٥) انظر ماكسيمنكو ف ، ى . الانتلجنتسيا في دول المغرب ، موسكو ١٩٨٠ ص ٦١ .
١٦) انظر اودليس د . نظريات "جديدة" للثورة ، موسكو ١٩٧٥ ص ٤٣٤ بالروسية .
١٧) لينين ، المؤلفات الكاملة ، مجلد ١٤ ، ص ١٩١ بالروسية .
١٨) كرتونوف ف.ف. الايديولوجيا والسياسة موسكو. ١٩٧٤ ، ص ٥٢ بالروسية .
١٩) ماركس المؤلفات ، مجلد ٨ ، ص ٢٠٨ بالروسية .
٢٠) اوليانوفسكي أ . الاشتراكية والبلدان المتحررة ، موسكو ١٩٧٢ ص ٥٥٥ بالروسية.
٢١) لينين ، المؤلفات الكاملة ، مجلد ٢ ص ٤٥٦ .
٢٢) الشرق والعصر ، موسكو ١٩٧٤ ، مجلدا ، ص ٣٥١
٢٣) لي ف. المجتمع ، الفئة العليا والبيروقراطية في الدول النامية ، موسكو ١٩٧٤ص٥
٢٤) عن ماكسيمنكو. الانتاجنتسيا . في المغرب ... ص ٧٤.
٢٥) لينين . المؤلفات الكاملة ، مجلد ١٢ . ص ١١٣
٢٦) بكداش خالد . بعض قضايا تطور حركة التحرر الوطني – قضايا السلم والاشتراكية ، ١٩٦٤ . عدد ٨ ص ٥٢.
٢٧) انتين ل.م . النظم السياسية في البلدان النامية. موسكو . ١٩٧٨ ، ص ٧٩ – ٨٠
٢٨) خان ج.ب. بعض قضايا التطور اللارأسمالي ، الماتا ، ١٩٧١ ، ص ١٠٩ .
٢٩) الطبقات والصراع الطبقي . . ص ٣٣٤ .
٣٠) نفس المصدر السابق .
٣١) مورسكي ج.ى. "العالم الثالث" المجتمع ، السلطة ، الجيش . موسكو ، ١٩٧٦، ص ٧٣ ٧٤ .
٣٢) محي الدين خالد . الثورة المصرية: تطورها وافاقها ،قضايا السلم والاشتراكية ١٩٦٦ ، عدد ٨ ص ٣٨ .
٣٣) ميرسكي ، العالم الثالث ... ص ٧ – ٨ .
٣٤

Digitized by Birzeit University Library

حسن البنا
مؤسس حركة الإخوان المسلمين

الجزء الثاني

"الجماعة"

بعد ان استعرضنا شخصية الشيخ ودوره في ترسيخ جماعة الاخوان المسلمين نلقي هذه النظرة على جماعة الاخوان أنفسهم ،لنعرف مدى تأثيره عليهم :

كانت الظروف ناضجة تماما كي تنهض هذه الجماعة الصغيرة وتنطلق ،ففي هذه الفترة كانت مصر تعيش أوضاعا غير مستقره ،فالازمة الاقتصادية تستحكم والقضية الوطنية بغير حل ،

Digitized by Birzeit University Library

والناس جميعا يستشعرون الرفض والحيره معا، والحقيقة ان المجتمع الحديث والدولة الحديثة قد وضعت المسلم المتدين وسط متناقضات عديدة،كما يقول أحد الباحثين. ونستخلص من هذا أحد اسباب تجاح دعوة الاخوان المسلمين .

وربما كانت جماعة الاخوان اولى الهيئات المنظمة التي قدمت تصورا يستهدف تغيير النظام السياسي التقليدى في مصر تغيير شاملا ،وهذا ايضا أحد أسباب انتشارها. واذا كان للازمة الصغيرة التي حدثت في شعبه الاسماعيلية من أثر فانها قد لقنت الشيخ درسا في ان يختار معاونيه من قيادة الجماعة من أقرب الناس اليه ،وأيضا في أن تظل مسائل عده مثل المالية ومواردها ،والعلاقات السياسية الهامة حكرا في يديه وحده، وهناك نقطة لا بد من الاشاره اليها ـ قد استخدمتها مجموعة الاخوان وهي فكرة الزى الموحد والتي انتشرت في مصر بشكل كبير بحيث كانت امتدادا او تقليدا لزى التنظيمات الفاشية والنازيةالتياجتاحت أوروبا في ذلك الحين .

ومع استقرار الجماعة في مقراتها المختلفة قامت بعقد عدة مؤتمرات بحيث كانت تقوم بدراسة احوال الاخوان وكيفية تجسيدها وتطويرها بين الحين والاخر هذا وقد أعتمدت في أسلوبها على ما يلـــــي :ـ

ـ ١ ـ الاعلام . ففي المؤتمر الثاني الذى خصص لدراسة مسائل التثقيف والدعوة،قرر المؤتمر تأسيس شركة صغيرة لانشاء مطبعة خاصة ،كما قامت باصدار مجلة "الاخوانالمسلمين" لكنها لم تستمر طويلا ثم صدرت " النذير" والى غير ذلك من النشرات .

وهكذا ،قفز البنا بجماعته القفزة الاولى نحو الصعود ،وهو توسيع نطاق الدعوة والاعلام وتنشيط خطوط الاتصال بين الحركة والجماهير ،.

٢ ـ وبعد الاعلام يأتي التنظيم ، هكذا حددت مهام المؤتمر الثالث ، حيث بدأ المرشد بنفسه بوضع قواعد العمل التنظيمي . فبعد الاعلام كان لا بد من بناء حزبي محكم، والا هددت الجماعة بأن تصبح كغيرها من الاحزاب في تلك الفترة كلافته وجماهير فقط، تنظيم هلامي غير محدد المعالم .. وصاغ الشيخ تبعا لذلك شروط العضوية ومراتبها ،وأهم من هذا انه وضع النواه الاولى لتنظيم "الجوالة" الذى لعب فيما بعد دورا حاسما في تاريخ الجماعة، حيث ان أهم ما جاء في شروط العضوية ،الطاعة التامة والتنفيذ ،وني هذه المرحلة يكون العضو فقط "أخا مساعـدا " وان اثبت طاعته العمياء أصبح "أخا منتسبا" ليصبح بعد ذلك "أخا عاملا" وعليه في هذه الفترة التحدث بالفصحى بقدر المستطاع ،وأما أسمى درجات العضويةفهي درجة الجهاد ،ويصبح بذلك داعيه مجاهدا..هذاوقد كانت "الجوالة" فكرة البنا في بناء قوة ضاربة وفاعلة للتنظيم التي انبثقت عنها فكرة " الكتائب" التي اعتبرت تنظيما للكادر الاساسي للجماعة، فقد كانت "الكتائب والجوالة" هي البذور الاولية "للجهاز السرى" .

ـ ٣ ـ وأما في المؤتمر الثالث للاخوان فقد انبثق عنه نص اخلاقي صرف ولا بأس من ذلك ،لكنه لا يحتوى على كلمة واحده عن الاستعمار ولا عن القضية الوطنية ،فهو مجرد اقتباسات اخلاقية تصلح اهدافا لاى مسلم في اى مكان ،لكن أخطر ما في الموضوع هو قرار

Digitized by Birzeit University Library

المؤتمر " ان على كل مسلم ان يعتقد ان المنهج كله من الاسلام وان كل نقص منه ،هو نقص من الفكرة الاسلامية الصحيحة " .

ومن هذا المبدأ نرى ان الجماعة تصادر به الدين لمصالحها ،وبهذا لا تصبح مجرد جمعية تطبق الدين ،وانما تؤكد ان منهجها وحده هو الاسلام الصحيح . ومن ثم فان من يقف ضدها كجماعة يكون خارجا عن الاسلام ذاته . . أنه مبدأ يسعى للسيطرة على الاسلام ــ لا للانصاف فقط، وبهذا فقط يمكننا أن نفسر حملات القتل والاغتيال التي نظمها اعضاء الجماعة ضد خصومها .

وأما البناء التنظيمي الذى ابتدعه الشيخ وأقام اسسه بنجاح تام . فقد كانت الجوالة أول مجموعة تجسد ذلك ،فقد كانت الوعاء الذى يستوعب أخلص شباب الجماعة وأكثرهم ولاء ، يصقلهم ويدربهم ويعودهم على الطاعة ، ولعل الشيخ كان يستخلص من هؤلاء أخلصهم وأنشطهم ليكون جهازا سريا تماما "الجهاز الخاص" . ومع الجواله كانت الكتائب التي هدفت الى ربط العضو ــ بالجماعة ــ وتطوير علاقته من انتماء الى ايمان والتي كان شعارها : العمـــــل ، الطاعـــــــة ، الصمـــــت .

هذا ومن الجدير بالذكر ان البنا قد وصل الى الطموح التنظيمي الذى يريد عن طريق انشاء نظام الاسر التعاوني ،وتقوم الفكرة على أساس تجميع الاعضاء النشيطين في كل شعبه وتقسيمهم الى مجموعات كل مجموعة لا تزيد عن خمسة أعضاء " وتسمى المجموعة أسرة" ، وتنتخب كل أسرة رئيسا يسمى نقيبا ، يقوم بتمثيل جماعته أمام قيادة الفرع ،وتكون كل أربع أسر عشيره يرأسها نقيب الاسره الاولى من أسرة العشيرة .

وأما بالنسبة للعمل التنظيمي للاخوان بين النساء فقد برز بشكل واضح وقد تم تأسيس مدرسة " امهات المؤمنين" لتشمل الاخوات أيضا ، ومنذ البداية ونحن نلاحظ سلسلة من علامات الا ستفهام نلخصها فيما يلي .ــ

١) تبرع قناة السويس الاستعمارية للجماعـــــة ؟؟

٢) الشيخ البنا اذ أحكم قبضته على كل أوجه نشاط الجماعة ،انفرد تماما وبشكل خاص بموضوع الماليـــــة ؟؟؟

٣) كثير من حملات التبرع كانت تقوم على اكتاف الكثير من الاقطاعيين والرأسماليين فقد قدموا تبرعات مالية وعينية للجماعة ،مبررين ذلك بتشجيع الجماعة على محاربة الشيوعيـــــة .

٤) ان اتهامات كثيرة قد ترددت في أن تمويلا خاصا قد تعاطته الجماعة من الانجليز تارة ومن الامريكيين تارة أخـــــرى .

× × × × × ×

الفصل الثالث
الصعود هبوطا

واذ يعزز الشيخ البنا صفوف جماعته ، وينتقل بها في هدوء ويسر وبلا ضوضاء من مرحلة

Digitized by Birzeit University Library

لمرحلة محققا نجاحا كبيرا ليس فقط من أقامة بناء تنظيمي محكم ، وانما ايضا في أخفاء هويته عن الجميع .. متباعدا عن أى اشتباك ، محاذرا من ان يعادى احدا او يعاديه احد .

اذ ينجح الشيخ في اجتياز مرحلتي الدعوة والاعداد واذ تقترب سفينته من شاطىء " التنفيذ " يلبس الشيخ ثيابا جديده ، وتبدو جماعته في طور جديد تماما . ويحين الحين .. فلا بد ان تكشف الجماعة عن هويتها السياسيه ، لكن الشيخ الشديد الحذر يظل دوما حريصا على تغليف كل موقف ، وعلى اضفاء غمامه من الغموض على جماعته .

" يقولون نحن في حيرة من امرنا ــ الاخوان المسلمون ــ اهي طريقه صوفيه ام جمعية خيريه ام حزب سياسي واى شيء يقصدون ، وفي اى طريق يسيرون . اما نحن الاخوان فقد تجاهلنا هذه المسميات وأخذنا في الطريق الاول الذى لا يصلح أمر الناس الاعليه .. الدعوة الى كتاب الله وسنة رسول الله ، ونهجنا منهج الاسلام ووسيلتنا ايمان ومحبه وعمل ويمضي الشيخ يوسع من قاعدة جماعته ونفوذها .. مكتفيا بشعارات عامه قد لايختلف عليها وقد وصلت الشُعَبْ الاخوانيه في سنة ١٩٤٨ الفي شعبه . وعن عدد الاعضاء والانصار يقول الشيخ ان الرقم وصل الى مليون .

ولكن بعض الباحثين يقدم رقما عشوائيا يصل الى ٢ مليون عضو . وعلى اية حال فان البنا قد أعطى لنفسه الحق ان يتحدث باسم ٧٠ مليون عربي و٣٠٠ مليون مسلم .

ويقتحم الشيخ البنا ، ميدان السياسه ليرشد الملايين من المشاعر الثائرة والنفوس الثائره " معلنا انه سيقودهم .. لكنه يقود من ؟؟ والى ايــن ؟؟

سياسه بلا برامج

... ولم تكن الاسماء بغير مدلول ، فالشيخ حين اختار لمجلة " النذير " اسما اختاره لهدف ـ بعد ان قرر ان يقتحم معركة التنفيذ ، ويعلن بها نفسه كقوة سياسية جديدة ، والاسلام عند الاخوان " وطن " و " جنسيه " ، من ذلك كله نستنتج ان الجماعة عبارة عن تنظيم سياسي حزب يسعى للسلطه بينما ينادى بالقضاء على الحزبيه والغاء كل الاحزاب . فليس غريبا ان يمعن البنا في فكرة تصفية كل الاحزاب السياسيه ما عدا حزبه الى درجة الاستشهاد بتجربة الحزب الواحد في روسيا وتركيا وكلاهما دولتان لا ترضى جماعة الاخوان عن نهجهما . فالبنا يقدم نفسه كحزب سياسي ولكنه لا يقدم اى برنامج سياسي بل يتهرب من تحديد المواقف السياسيه بين الحين والاخر . والاخوان لا ينكرون انهم جماعة سياسيه بدون برنامج سياسي فهم قادرون دوما على التلون بافكارهم ومبادئهم ومن الجدير بالذكر ان الشعب ليس حرا في اختيار نظام الحكم الذى يريد ، فالمواطنون معرضون للخطيئة ما لم يلزموا انفسهم بحكومة تقوم على أسس دينيه ، هذه هي نظرة الاخوان للشعب . وهناك جانب آخر لا بد من ذكره وهو التعاون المستمر والوثيق بين المرشد البنا من جهة وبين السفارة البريطانية . حيث قدمت للجماعة الكثير من الاموال من قبل الحكومة البريطانية وذلك لتد عيمهـــم وتثبيتهم بكافة الوسائل . ومقابل ذلك فقد وافق الاخوان بواسطة مرشدهم على المعاهدة التي استحقت لعنات الشعب المصرى كله وذلك في عهد الطاغيه صدقي والتي تمثلت في معاهدة " صدقي ــ بيفن " .

Digitized by Birzeit University Library

أما القضية الفلسطينية فقد نظرت اليها الجماعة بمنظار ديني وليس بمنظار قومي فلم تعتبر المعركة بين الصهيونيه والحركة الوطنية العربية ، ولكن اعتبرتها بين اليهود والاسلام . واما موقف الجماعة من الطبقة العامله فقد نشطوا نشاطا واسعا وحاول البنا اقامة نقابات عماليه الا انها لم تتم ، ومن الجدير بالذكر ان الاخوان وعملهم كانوا في جبهة خصوم حركة الطبقة العاملة ، وذلك يظهر واضحا في التخريب الاخواني داخل صفوف الطبقة العاملة حيث تم افشال أكثر من اضراب بسبب جماعة الاخوان . ولكن وفي عام ١٩٤٨ تمت شبه تصفيه لنشاط الاخوان في صفوف العمال .

وأما نظرة الجماعة لحق المرأة في العمل فقد علق البحث من وجهة نظرهم على " حل مشكلة البطالة عند الرجال " . وهذا الامر ولا شك يبرز مدى عناية جماعة الاخوان بشؤون المرأة وقضاياها ...

الانتماء لمـــن ...؟

تحت هذا العنوان يناقش د. رفعت السعيد ويبحث ويأتي بأدلة دامغة عن الانتماء الحقيقي للاخوان المسلمون ، وكيف كشفوا عن حقيقتهم وبشارع مثير اثار دهشة العديد من الباحثين .

فقد أقام الشيخ المرشد بتوضيح من هم الذين يتحالف معهم وكانوا : الملك وعلي ماهر، والمراغي .. واسماعيل صدقي .. وكل هؤلاء كانوا من الجلادين الذين سلخوا جلد الشعب المصرى ، بالتعاون مع الاحتلال البريطاني ، واغتالوا الديموقراطيه والحياة السياسيه البرلمانية في وضح النهار ، وداسوا على الدستور بكل استهتار . وقد كشف عباس العقاد الكاتب الاسلامي عن تواطؤ الاخوان وكتب غاضبا :

" في مصر دعوة ديكتاتوريه ،... والذين يقومون بهذه الدعوة ويقبضون الاموال من اصحابها هم الذين يشنون الغارة على الدول الديموقراطيه ويثيرون الشعور عليها باسم (الاسلام) الدين وباسم سوريا وفلسطين ، ولا يثيرون الشعور على الدول الاخرى باسم الدين وباسم البانيا وبرقه وطرابلس والصومال ... ويسير علينا ان نعرف بعد ما تقدم من اين تتلقى تلك الجماعات المتدينة ازوادها ونفقاتها ، ولماذا تتوجه بالدعوة المزيفة الى هذه الوجهة التي وجهة غيرها امام تلك الجماعات لخدمة المطامع الديكتاتورية .. انها جاسوسيه مأجورة تتوارى بالاسلام للايقاع ببلاد الاسلام ، لان نجاح الدعوة الديكتاتورية لن ينتهي الى مصلحة المسلمين ولا الى سيادة المسلمين وانما ينتهي الى ضياع المسلمين " .

وتنقل الاخوان فى ولائهم .. من الولاء لانجلترا الى الولاء لالمانيا . وفي الولاء لالمانيا لعب عزيز المصرى باشا صديق على ماهر وحليف المحور الى فكرة ميلاد حزب جديد . من الاخوان المسلمين ومصر الفتاه ويخلق بعد ذلك حزبا اسلاميا منظما على النمط الفاشي مدعوما بنفوذ القصر وباعلانه العصيان على الانجليز ..اعداء الوطن . واستعداد لذلك غير أحمد حسين من زعماء الحزب الفاشي " مصر الفتاه " اسم حزبه ليرتدى مسحه اسلاميه . ونلاحظ مدى استعداد البنا للتجاوب مع ذلك ان افرد بابا خاصا بعنوان " الاخوان ومصر الفتاه " في رسالة الى المؤتمر الخامس " قال فيه :

Digitized by Birzeit University Library

".. وان كثيرامن الناس يود لو ان اتحدت جماعة مصر الفتاه مع الاخوان المسلمين وهذا شعور ما من شك في أنه جميل نبيل فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير ، ولكن من الامور ما ليس يفصل فيه الا الزمن وحده .. فلنترك للزمن اداء مهمته واصدار حكمه وهو خير كفيل بالصقل والتمييز " لكن البنا يستدرك :

" وليس معنى هذا ان الاخوان سيحاربون مصر الفتاه بل انه ليسرنا ان يوفق كل عامل للخير والى الخير ، ولا يحب الاخوان ان يخلطوا البناء بهدم وأن ميدان الجهاد متسع للجميع "

وصحيح ان هذه العلاقه بين الشيخ البنا ومحور القصر علي ماهر ـ المراغي ـ عزيز المصرىقد جعلت بالشيخ يقفز بجماعته الى سطح الاحداث ، فقد تضا عف عدد شعب الجماعه الى اكثر من عشرة اضعاف وامتلكت مجلة ناطقة باسمها ، وتشكلت فرق جوالتها لتمارس مهام الردع وحفظ وحشدت لمظاهرات كانت اول مظاهرات في تاريخ مصر الحديث تهتف بحماس بحياة الملك .

لكن لهذه العلاقه والمواقف وجهها الاخر . فقد اعترضت مجموعه هامه من قادة وكوادر الجماعه سنة ١٩٣٩ عن هذا الانغماس السياسي المناوئ لمصالح الجماهير ورفضوا ان يهتفوا بحياة ملك فاسد ، ورفضوا ان يحركهم سياسي فاسد مثل علي ماهر .

وحدث اكبر انقسام في الجماعة اسموا انفسهم جماعة " شباب سيدنا محمد " .. وخرجت معهم مجلة " النذير " وظلوا لفترة يرددون معلومات عن مساعدات ماليه تلقاها البنا من علي ماهر .

ويكتب أحد زعماء الانقسام محمود ابو زيد عثمان في مجلة النذير عن الانقسام فيتهم الشيخ :

١ـ بأنه موال للقصر الملكي وعلي ماهر .

٢ـ بأنه يتلاعب باموال الجماعه .

٣ـ بانه يرفض تطبيق مبدا الشورى .

٤ـ بأنه يحمي بعض الشخصيات غير الاخلاقيه (الشيخ عبد الحكيم عابدين) .

ومن تداعيات العلاقه مع المحور .. ان الانجليز بداوا بخطر التقاء الشيخ والجماعه مع مخطط الموالين للمحور . ويقول د . محمد حسين هيكل في مذكراته "ان السلطات البريطانيه ابلغت حسين سرى باشا ان حسن البنا يعمل لحساب الايطاليين وضرورة الحد من نشاطه .

وتأتي احداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ويأتي"الوفد " معها الى الحكم .وتعرجت العلاقات والتحالفات والصراعات بين الوفد والشيخ والجماعه .. بتعرج المنطلقات الاجتماعيه للوفد نفسه .

فمع مصطفى النحاس كان صراع . والنحاس كان يتزعم الجناح الليبرالي للحزب .

ومع فؤاد سراج الدين كان لقاء . وسراج الدين كان يتزعم الجناح اليميني .

وكان سراج الدين باشا يعتبر ان حركة الاخوان المسلمين .. تمثل اداه مفيده ضد الضغوط الاجتماعيه المتزايده خاصه وان الشيوعيين قد ازداد نشاطهم خلال فترة الحرب . وقد استغل سراج الدين منصبه كوزير للزراعه بتشجيع نشاط الاخوان في الريف .

وخلاصة الامر ان فترة التحالف بين الوفد والاخوان كانت في فتره محدده تماما هي

Digitized by Birzeit University Library

فترة تولي الوفد الحكم .. ليس قبلها وليس بعدها . فتحالفات الاخوان كانت دوما مع من هم في الحكم . كما ان هذه التحالفات كانت محلا لصراعات داخل الوفد ذاته : " الليبراليون ضدها وكبار الملاك معها .

يقول ريتشارد ميتشل الباحث المعتمد من جماعة الاخوان :

" ان جماعة الاخوان قد جسدت نظرة تقليديه للاسلام وقدمته كحصن واق من اية هزات جذريه اجتماعيه او اقتصاديه ، ان هذه النظرة تفسر جزئيا موقف الصداقة الذى اتخذه الوفد ــ او الجناح اليميني منه ــ حيال الجماعة عامي ٤٣ ــ ١٩٤٤ ، ولعلها تفسر مواقف الصداقة التي اتخذها القصر وحكوما ت الاقليات تجاه الجماعه " .

ومع التقلبات المختلفة للسياسه كان الشيخ يحاول المناورة بمهارة . وتجيء احداث ١٩٤٦ حيث يرتفع المد الثورى عاليا وتلتهب مصر كلها مطالبة بالجلاء التام . وكانت الجامعة محورا من أهم محاور النضال الوطني في ذلك الحين كذلك كانت المراكز العمالية مثل شبرا الخيمه وغيرها .

لقد اتجه التأثير السياسي في الجامعة الى ثلاث شعب :

الوفد بنفوذه التقليدى ،والاخوان المسلمين والشيوعيون بتأثيرهما اللامع والمتزايد خلال عامي ٤٦ ــ ١٩٤٧ .

وبلور الحلف الوطني نفسه في الجامعة في اطار "اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلاب" وقد مثلت الطلاب من الوفديين والشوعيين وغيرهم .. بينما بقي الاخوان خارج اطارها يحاولون العمل بشكل مناوئ .

وشهدت الجامعة تحركين .. تحرك ومظاهرات القوى الوطنية مؤتلفة في "اللجنة الوطنية للطلاب" وتحرك الاخوان في اتجاه مضاد .

وقد رفض الشيخ ،دعوة "اللجنة الوطنية للطلبة والعمال" للاشتراك في الاضراب العام في ٢١ فبراير ١٩٤٦ ،بحجة ان "الاخوان غير جاهزين" .ومع ذلك كان الاخوان جاهزين تماما في يوم ١١ فبراير لتسيير مظاهره يقودها زعيمهم الطلابي مصطفى مؤمن لتتجه من حراسة البوليس نحو قصر عابدين وتردد شعارات مواليه للملك . وحاول الشيخ صرف الانظار عن القضية معلنا ان المشكلة الاساسية هي استعادة الخلافة الضائعة .

واستمر الشيخ ومعه الجماعة في التنقل من حضنٍ الى آخر .. ممن يقف على سدة الحكم وتصل التنقلات التراجعية الى حد التعاون مع أكثر الوزارات خيانه وهمجية في تاريخ مصر الحديث ،وزارة اسماعيل صدقي باشـــا .

واستعمل اسماعيل صدقي الاخوان لضرب خصومه من الوفديين والشيوعيين . واستند الاخوان في هجومهم الى حماية السلطة وقد لجأوا الى ممارسة العنف السياسي على اوسع مدى. وشهدت المصادمات السياسية لاول مرة استخدام الرصاص والقنابل والفصائل المنظمة شبه العسكرية للجواله .

وفي ٦ يوليو ١٩٤٦ وقع صدام بين الاخوان والوفديين في بور سعيد استعمل فيه الاخوان الرصاص والقوا ثلاث قنابل فأسفر الحادث عن قتل واحد من الوفديين واصابة ٣٥ ،فتجمع الكثيرون على دار الاخوان واشعلوا الحريق فيها .

Digitized by Birzeit University Library

أما الشيوعيين فقد كان نصيبهم اكبر .. اذ بارك الاخوان رسميا الحملة الهمجية التي شنها صدقي على اليساريين والديموقراطيين والوفديين والشيوعيين تحت ستار ما أسمي في ذلك الحين "قضية الشيوعية الكبرى" ،وأفردت جريدة الاخوان بابا يوميا لمتابعة هذه الحملة وتقريظها بعنوان "مكافحة الشيوعية" .

ويقول ميتشل : "ان مخابرات الجماعة أمدت الحكومة بمعلومات مفيدة خلال التفتيش المستمر عن الشيوعيين المعروفين والمشتبه فيهم. وبوجه خاص في الدوائر الطلابية والعماليـــــة " .

والاخوان لم يقسموا الصف الوطني فحسب بل عمدوا وفي وقت حرج الى اثارة الفتنه الطائفية اى تفتيت وحدة عنصرى الامة . وشنوا هجومات طائفية ضد الاقباط .وقد يبدو هذا النهج غريبا في بلد يجابه المستعمر ، ويستمد قوته الاساسية في هذه المجابهة من وحدته الوطنية سواء على المستوى الديني او على المستوى السياسي .وقد رفض الشيخ محمد الغزالي مبدأ الوحدة الوطنية ،بل أنه أدانها في كتاب أصدره بعنوان " التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام " .

ويتساءل الكاتب أى توقيت هذا ؟

وأى ثمن فادح دفعه الاخوان مقابل ما حصلوا عليه من "تسهيلات" ؟ والحقيقة ان الثمن الذى دفعوه لم يكن قاصرا على تفتيت الوحدة الوطنية الدينية ولا الوحدة الوطنية السياسية في وقت كانت مصر تواجه فيه عدوها الاساسي الاحتلال .. وانما امتد ايضا الى صفوفهم أنفسهم انقساما وعزلة.. الامر الذى مهد الى ضربهم بأيدى من تحالفوا معهم وشجعوهم على السير في هذا النهج .

من المصحف الى الديناميت

وفي هذا الفصل ،يستعرض المؤلف الدكتور رفعت السعيد ،تطور تاكتيك الاخوان .. من تاكتيك الدعوة السلمية .. الى تاكتيك الديناميت والاغتيالات . وفي استعراضه يتناول بالتحليل المثبت بوثائق وأقوال ووقائع قضايا هامة لعبت دورها الاساسي في فكر الشيخ والجماعة، ومن أهمها ، الجهاد ،وينتقل الى كتائب الجوالة ،وهي أشبه بميليشيات عسكرية، استخدمها الشيخ بكل سرية،لتنفيذ عمليات تخدم القصر والحكومات الرجعية. ويتطرق المؤلف الى طريقة الاخوان في دخول الجيش المصرى وكيف تعرفوا الى ضابط ثورة ٢٣ يوليو.ويتطرق ايضا الى الجهاز السرى وتقسيماته الشعبية الثلاث : الجهاز المدني ، وجهاز الجيش وجهاز البوليس. ويخلص الى استعراض مجمل لبناء الجماعة التنظيمي الذى يسير في ثلاثة خطوط متوازيـــــة : ـ

- × نظام الاسر : يضم الاعضاء العاديين وهو الوعاء الاساسي لعضوية الجماعة .
- × نظام الجواله : يضم الاعضاء الاكثر حماسة والاكثر استجابة والاكثر طاعة .
- × النظام الخاص : وهو جهاز مطلق السرية أشرنا اليه . وكان على رأس هذا الجهاز أخلص مخلصيه الشيخ ، عبد الرحمن السندى.

والنظام ينقسم الى "جماعات" ، الجماعة مكونة من خمسة أشخاص ،والشعبه المهمة بها

Digitized by Birzeit University Library

عدة جماعات وكل جماعة يرأسها واحد وتتدرج على نظام هرمي يرأسه السندى .

ويستعرض المؤلف موقف الشيخ والجماعة من قضية فلسطين فيقول : ان حرب فلسطين التي كانت سببا في كسب سياسي ضخم للجماعة كانت هي بذاتها واحدة من أسباب محنتها الكبـــــرى ..." .

وقد أوضحت حرب فلسطين ــ لكل من لا يعرف ــ ان الجماعة تمتلك جيشا مسلحا بالفعل وقد تساقط الكثير من متطوعي الاخوان على أرض فلسطين ،خصوصا في الايام الاولى حيث تصوروا ان صيحات الجهاد العالية والمجابهة الشجاعة وحدها تكفي فحصدت مدافع الصهاينة الكثير منهم .. مما دفعهم فيما بعد الى تغيير أسلوبهـــم ."

الفصـــــل الاخيـــــر

ثـــم أسدل الستـــــار

وفي هذا الفصل .. وهو الاخير.. يعود الكاتب ليركز تحليله بالاعتماد على المصادر والمراجع المختلفة.. ويشرح كيف انهارت الجماعة.. وكيف ضعف الشيخ.. وما علاقة هذا الانهيار .. بالسلاح وامتشاقه. وما هيه موقفهم من الاغنياء والفقراء .

يقول حسن البنا : " ان مهام جماعتنا التوسط بين الاغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الاحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والاعياد ".

وهذه كلمات لا ترضى الفقراء ، وتغضب "الاغنياء الغافلين" خصوصا اذا ما كانوا ضيقي الافق .

ومن أسباب الهجوم على الاخوان ،حرب فلسطين.فقد باركت الرجعية المصرية الحرب في فلسطين وشجعت الاخوان على خوضها وربما كانوا يؤملون ان يلتقي الاخوان يخوضها "شعارات وكلمات" ،لكن الامور انقلبت وأصبحت الحرب الفلسطينية تضع النظام في مأزق غريب بين مناوره صنعها بيديه ليسكت صوت المعارضة الشعبية ويمتصها في منحنيات جانبية ،وبين خشيته من تحدى قوى الاحتلال (السيد القديم) وقوى الاستعمار الجديد (الامريكي.. وكان لا بد أن تتحول الحرب الفلسطينية الى مسرحية.. والانجليز الذين هادنوا الشيخ وهادنهم يخونون العرب والاسلام في فلسطين خيانة تجرح وتحرج كل مـــن ولاهـــــم .

وهناك سبب آخر ،يدخل الميدان كعنصر جديد . وهو محاولة الانقلاب الدموى على الامامه الرجعية الفاسده في صنعاء اليمن .واعلن عن وجود "أصابع " للجماعة فيها ،مما اخاف الرجعية المصرية أشد الخـــــوف .

وبدأت العلاقات في التدهور بين الجماعة والملك.وكانت الجماعة تعاني من الوهن الداخلي.ويلخص المؤلف موقف الجماعة : عندما يقف الاخ،المجاهد المسلح ،موقف التحدى ويشعر بأنه مطالب أن يحمي دعوته وان يجابه خصومها.. فان العقل يخلي مكانه تماما كي يتكلم الرصاص والديناميت .

في يناير ١٩٤٨ اعلن البوليس انه اكتشف مجموعة من الشباب تتدرب في جبل المقطم وضبط البوليس اسلحة و ١٦٥ قنبلة وزعيم المجموعة سيد فايز أحد قادة الجهاز السرى ، في ٢٢ مارس ١٩٤٨ يقتل اثنان من الاخوان المستشار أحمد بك الخزندار .

Digitized by Birzeit University Library

لاصدار حكم قاس على عضو في الجماعة متهم بالهجوم على الجنود الانكليز في أحد ملاهي القاهرة .

وفي ٢٠ يونيو ١٩٤٨ اشتعلت النيران في حارة اليهود .

وفي ١٩ يوليو تم تفجير محليّ شيكوريل وآركو وهما مملوكان لتجار يهود .

وفي ٢٢ سبتمبر دمرت عدة منازل لليهود .

وفي ١٥ نوفمبر ضبطت سيارة الجيب الشهيرة التي ضبط البوليس معها ٣٢ من أهم كوادر الجهاز السرى ،وكان الشيخ قد امضى شهر اكتوبر في اداء فريضة الحاج فلما عاد ألقي القبض عليه لوجود دليل ضده ضبط في سيارة الجيب . ويخرج الشيخ من السجن محاولا انقاذ الجماعة .

لكن سرعة الاحداث كانت تفوق سرعة الشيخ وقدرته على الحركة .

فالشيخ الذى اعتاد المناوره بالسياسة والسياسيين وجد نفسه محاصرا ،عاجز عن الفعل فالقصر والسعديون وحلفاء الامس القريب بدأوا يخونون قضية فلسطين كما خانوا من قبل قضية مصر . والبنا الذى شحن نفوس اتباعه والى أقصى مدى بالمشاعر الاسلامية المتوتره تجاه قضية فلسطين يجد نفسه مطالبا اما بأن يواجه القصر والحكومة واما ان يواجه اتباعه .

وجاء النقراشي ليحل الجماعة . فيقتلوه .

ويجيء ابراهيم عبد الهادى ليدير ماكينة العنف الرسمي .. وليوسع عملية الاعتقالات والتعذيب الوحشي لتشمل ٤٠٠٠ من الاخوان .

ويزداد الموقف تعقيدا بل تفجرا عندما يعلن الشيخ البنا استنكاره للاعمال التي قام بها اتباعه .. ووصفهم "بأنهم ليسوا اخوانا وليسوا ملسمين" .

ويضاف الى ذلك فتاوى رجال الازهر وعلمائه والمفتين من كل لون .. مما يوجه الضربة القاضية لمعنويات المعتقلين في الزنازين الوحشية التي نصبها ابراهيم عبد الهادى .

وتأتي اعترافات قاده وكوادر الجماعة في المحاكم .. لتهيل ما بقي .

ويأخذ الشيخ في طلب مقابلة رئيس الوزراء لانقاذ ما يمكن انقاذه . ويرفض ابراهيم عبد الهادى مقابلته .ويستدرجه لطعم التصفية من خلال تقديم الشيخ لتنازلات اكثر تدمر سمعته السياسية وتظهره بمظهر الضعيف امام اتباعه وجماهيره ،وتؤدى الى تدمير معنويات الاخوان المحتجزين ثم في النهاية تصفيته جسديا بعد ان يصفى سياسيا .

وهكذا كان .وهكذا مات .. اغتيالا .

ويختم المؤلف د.السعيد هذا الفصل بكلمات وضعها في بداية الفصل .

".. في السياسة كما في القصص الخرافية يحدث ان الصياد يخرج بيده المارد من القمقم ثم يخشاه ،وهكذا كان الامر في العلاقة بين القصر وحكام الاقلية وبين الشيخ البنا وجماعته .

لقد اطلق الصياد المارد ليخيف به الوفد وقوى اليسار وليستخدمه كأداه لحشد بعض القوى الجماهيرية تأييدا لسياسة ما كان لها أن تجد مؤيدين .. فاذا ما انتصب قائما ، واذا ما استمد من سنده الديني شموخا ،ومن تسلح جهازه السرى قوه بدأ الصياد يخاف المارد ....." .

Digitized by Birzeit University Library

القضاء العشائري

جميل السلحوت

" ٤ "

انتهاك الأعراض في العرف العشائري

العرض بالنسبة للانسان الشعبي الفلسطيني مهم جدا حتى انه يقدمه على الارض وهذا ما يؤكده أن أغلبية الفلسطينيين الذين تركوا ديارهم هربا من الحروب مع اسرائيل وبعد أن سقطت قراهم ومدنهم تحت الاحتلال الاسرائيلي كانوا يؤكدون ان هربهم انما كان من أجل النجاة باعراضهم ؟ (راجع كتاب الدكتور صادق العظم النقد الذاتي بعد الهزيمة)

ولهذا فاننا نجد الاعراف العشائرية صارمة بالنسبة لانتهاك الاعراض فلا تهاون مع الجناة . وسأطرح هنا بعض الاعراف العشائرية المتعلقة بهذا الخصوص .

ـ شخص حاول الاعتداء على فتاة ولم تمكنه من نفسها بالصياح ـ ان صاحت قبل الظهر (صائحة الضحى) فحملها ثقيل جدا . وجرت العادة ان ينكر المتهم ويحلف يمينا منكرا التهمة مع أربعة من عصبته يزكونه بالاضافة الى غرامة مالية تسمى (طيحة وطلعة) وهو من نوع التأديب .

وان اعترف فعليه ان يربط النوق بأخيه من المكان الذى صاحت فيه الفتاة الى بيت أهلها وهذا النوق يدفع في الصلحة لاهلها ولهم ان يأخذوه كله أو بعضه حسب تسامحهم مع رجالات الجاهة . هذا اذا لم يقتله أهلها واذا قتلوه فان دمه يكون هدرا .

أما اذا صاحت بعد الظهر فالعقوبة أخف لان العادة جرت ان تخرج المرأة لقضاء الحاجة صباحا وليس عصرا .

Digitized by Birzeit University Library

شخص اغتصب امرأة
حق الاهل وحق الزوج

تختلف العقوبة حسب مكان الاغتصاب فان كانت الجريمة في بيت الزوج فله الحق في قتله أما اذا لم يقتله يفرق بين الزوجين ويدفع الجاني مهرها مضاعف أربع مرات وفي ذلك يدخل حق الزوج بدل دخول بيته .

أما حق الاهل فلهم قتل الجاني أو ان يشترى نفسه بالمال دون تحديد لمقدار معين أما المرأة فلا تقتل لانها اغتصبت رغما عنها ولا ارادة لها في ذلك .

شخص مارس الجنس مع فتاة متزوجة بارادتها
حق الزوج والاهل

يحق للطرفين ان يقتلا الجانيين في أى مكان كانت الجريمة ولا شيء على القاتل وان حالت الظروف دون قتلهما فللزوج المهر من أهلها (لان المرأة حسب المفهوم الشعبي خيرها لزوجها وشرها لاهلها) . وله ايضا كرامة بيته ان حصلت الجريمة في البيت وهذه يأخذها من الجاني .

وجرت العادة ان يزوج الجاني من الجانية فيما بعد .

شخص مارس الجنس مع امرأة

سقط عنها التكليف بالجنون او العته

ان ثبتت الجريمة بالاقرار فعليه ان يتزوجها ويدفع مهرعاقله ، هذا اذا لم يقتل وتنازلوا عن حقهم في قتله. اما مجرد ادعاء المجنونة فلا تثبت به جريمة وعليه ان يدفع التهمة باليمين مع أربعة يزكونه ودفع (طيحة وطلعة) .

Digitized by Birzeit University Library

أما اذا كانت طفلة صغيرة فان العقوبة تكون أصعب حيث أن براءة الطفولة لا تهاون فيها في العرف العشائري وأما الاجراءات العشائرية التي تتخذ بحق الجاني فهي كالتالي :

أ ـ تتلف او تصادر كل املاك الجاني .

ب ـ ان قتله اهل الطفلة فلا جنح عليهم ولا حق لاهله . وان استطاع الهرب فانه مباح لاهل الطفلة قتله في أى مكان داخل البلدة وخارجها ولا تقبل منه أي عطوة عشائرية خوفا من تكرار هذه الامور والجرائم ويبقى دمه مهدورا لاهل الطفلة مدى حياته .

جـ ـ يحرم دخول بلدته مدى حياتـــــه .

X X X

امرأة استدرجت شابا لممارسة الجنس معها:

ليس لها حق ويكفيها الفضيحة وقد يقتلها أهلها .

عقوبة اللواط

ان تمت بموافقة الطرفين يقتلا . أما ان تمت عن طريق اكراه الفاعل للمفعول فيقتل الفاعل أو يشتري نفسه بالمال . وعلى الفاعل وعائلته عطوة دم عشائرية ويطرد الفاعل من البلدة لمدة العطوة وعند الصلحة يدفع دية قتيل .

السرقـــات

لبيوت الناس واموالهم حرمة ولا يجوز انتهاك هذه الحرمة ومن تطاول على حرمات بيوت الناس أو أموالهم فان الحق العشائرى لا يتهاون معه مطلقا ناهيك عن انه يبقى منبوذا مذموما أمام الناس . فاذا ما سرق شخص شيئا ما فان الحق العشائرى يدينه بدفع المال المسروق مضاعفا أربع مرات . واذا ما تمت السرقة من داخل بيت فعدا عن أنه يدفع المال المسروق مضاعفا أربع مرات فعليه اصلاح صاحب البيت بدون تحديد عقوبة معينة حيث أنه يأخذ جاهة اصلاح من رجال الخير ويجلس تحت رحمة صاحب البيت . وعليه اصلاح صاحب البيت بالطريقة المذكورة ان حاول السرقة بدخوله للبيت ولم يتمكن من سرقة شيئ .

ويجدر التنويه هنا أن حق البيت كبير جدا لا يقوى عليه أحد حيث أن اللص يخضع هنا (للقصاص) والقصاص يكون بدفع بعير أو ما يعادله عن كل خطوة خطاها اللص من مكان خروجه بقصد السرقة حتى دخوله البيت المعتدى عليه ودخوله البيت يكون بدفع مبالغ باهظة جدا يحددها صاحب البيت حسب مشيئته هذا عدا عن (الذبائح) والجاهة التي يأخذها لصاحب البيت وحينها يتدخل أصحاب الجاه والوجوه ويبدأ تسامح صاحب البيت الذى يعتبر أخذا لجميع حقه وان تنازل عنه جميعه اكراما لاهل الجاه والوجوه .

Digitized by Birzeit University Library

لص دخل بيتا للسرقة وقتل أحد اصحاب البيت

عليه أخذ عطوة عشائرية بأربعة أرواح ويتحمل ما يفرض عليه من قبل أهل القتيل ومن العادات العشائرية عدم التسامح مع المعتدي في مثل هذه الحالة .

لص دخل بيتا للسرقة وقتله أصحاب البيت

يأخذ أهل البيت عطوة عشائرية شكلية من قبل أهل اللص ويكون حقه قليلا جدا وأخذ العطوة هو أمر شكلي وحقنا للمشاكل ولا مجال أمام أهل اللص القتيل بانكار أن ولدهم دخل البيت من أجل السرقة لانهم يواجهون بأمور أصعب لان دخول البيت بدون اذن أصحابه في الاعراف العشائرية يكون لسببين رئيسيين أصعب من السرقة هما :

أ) القتـــــل .

ب) انتهاك الاعراض .

وكلاهما أصعب من السرقة . ولو حدث اي من هذين الامرين فان المشاكل تصبح عامة حيث أن من حق أصحاب البيت المعتدى عليه اذا لم يتمكنوا من معرفة الجاني ان يتهموا أى شخص يشكون فيه من أهل البلدة أو من خارجها وكل متهم سيبرئ نفسه تحت القسم مع تزكيةٍ اربعة من عائلته ويدفع (طيحة وطلعة) واذا ما وصلت القضية الى القضاة العشائريين فمن العادة ان يكون اللص (أقاربه) كالاخرس (مبلّم) لا يتكلم والحجة والجميع لصاحب البيت المعتدى عليه ومن حجج أصحاب البيت امام القضاة العشائريين في هذا المجال .

(وش قولك يا قاضي في الناس الامنين والبايتين والقاعدين في بيتهم والله يا قاضي العرب يا فكاك النشب ما أجت منالفتهْ في الليل والا هالزلمة بتهلفت علينا في البيت ومن عاداتنا كعرب (أى بدو) أنه اللي بدخل بيتك بدون اذن يعتبر اكثر من قاتل الروح لانه يا اما داخل لتدنيس عرض وهذا اكثر من قتل الروح وممكن داخل لقتل صاحب البيت واذا هرب ما حدا يعرف مين هو وهان تقع المشاكل لصاحب البيت ولعشيرته وممكن للبلد كلها لان صاحب البيت بصير يتهم الناس (واللي ضاع شيّه اتّهم خيّه) وممكن يتهم ناس ابرياء والله يا قاضينا يا اللي بالحق ترضينا اللي عامل هالعمله بستاهل القتل وزيادة والله وانشاء الله اللي دخل بيتك طلاب للحق ما يطلع خايب ولا يعلم الحق الا اللـــــه) .

المساحة التي تعتبر حرمـة للبيوت

اذا كان بيت من حجر او خيمة في الخلاء يكون له الحدود في الليل الطريق المؤدية اليه أما في النهار فبيت الحجر بدخوله وبيت الشعر بدخوله أو بدخول (الصيره) .

الطيحة والطلعـــة

دفع عشرة دنانير للطيحة ومثلها للطلعة هذا كان في السابق اما الان فان المبلغ خاضع

Digitized by Birzeit University Library

للزيادة ويدفع هذا المبلغ الذى يحلف اليمين .

هامـــش :

اغلبية هذه الحلول العشائرية حصلت عليها من السيد علي ياسين المخارزه رئيس مجلس قروى الظاهرية الذى عزلته سلطات الاحتلال وذلك بواسطة السيد يونس تيم وأيضا من السيد شراري الاعرج احد مخاتير عشائر السواحره بواسطة السيد عبد الرحمن حمـــوده .

ـ الـــديّـــــه ـ

غني عن التذكير أن مجتمعنا في غالبيته العظمى يدين بالاسلام ولهذا لا نجد غرابة أن نجد الكثير من الاعراف العشائرية متأثرة بالاحكام الشرعية في الدين الاسلامي ولو خالط بعض هذه الاعراف شيء من تحريف الاحكام الشرعيـــة .

والديّة في العرف العشائرى هي ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون دينارا وثلاثة وثلاثون قرشا ونصف . وأكاد أجزم أن أصول هذه الديّة تعود الى حكم شرعي حيث قدّر الفقهاء الديّة بألف دينار ذهبا ثم أجازوا دفعها على ثلاث سنوات وذلك تخفيفا على الفقراء . ثم تطورت الامور اما نتيجة للتسامح أو الجهل في الدين ـ بحيث اكتفى بدفع القسط الاول من الثلاثة أقساط المتساوية .

ولكي نكون على بينه واضحة على مدى علاقة وتأثير الاحكام الشرعية الاسلامية على القضاء العشائرى يحسن أن نذكر بعض هذه الاحكام كما أوردها ابو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى في كتابه "الاحكام السلطانية" والولايات الدينية" حيث يقول في الفصل الخامس تحت عنوان "في قود الجنايات وعقلها" .

"..... وأما الخطأ فهو أن يتسبب اليه في القتل من غير قصد ، فلا يقاد القاتل بالمقتول كرجل رمى هدفا فأمات انسانا أو حفر بئرا فوقع فيها انسان أو شرع جناحا فوقع على انسان أو ركب دابة فرمحت ووطئت انسانا أو وضع حجرا فعثر به انسان فهذا وما أشبهه اذا حدث عنه الموت قتل خطأ محض يوجب الدية دون القود ، وتكون على عاقلة الجاني لا في ماله مؤجلة في ثلاث سنين من حين يموت القتيل . وقال أبو حنيفه من حين يحكم الحاكم بديته والعاقله من عدة الاباء والابناء من العصبات ،فلا يحمله الاب وان علا ولا الابن وان سفل وجعل أبو حنيفه ومالك الاباء والابناء من العاقلة ، ولا يتحمل القاتل مع العاقله شيئا من الدية . وقال أبو حنيفهومالك يكون القاتل كأحد العاقله ، والذى يتحمله الموسر في كل سنة ونصف دينار أو قدره من الابل ، ويتحمل الاوسط ربع دينار أو قدره من الابل ، ولا يتحمل الفقيرشيئا منها . ومن أيسر بعد فقره تحمل ومن افتقر بعد يساره لم يتحمل . ودية نفس الحر المسلم ان قدرت ذهبا ألف دينار من غالب الدنانير الجيدة ، وان قدرت ورقا اثنا عشر ألف درهم . وقال أبو حنيفة عشرة آلاف درهم ، وان كانت ابلا فهي مائة بعير أحماسا ، منها عشرون ابنة مخاض ، وعشرون ابنة لبون ، وعشرون ابن لبون وعشرون حقه ،

Digitized by Birzeit University Library

وعشرون جذعه ، وأصل الدية الابل وما عداها بدل . ودية المرأة على النصف من دية الرجال في النفس والاطراف .

واختلف في دية اليهودى والنصراني ، فذهب ابو حنيفة الى أنها كدية المسلم .....

وأما العمد شبه الخطأ فهو أن يكون عامدا في الفعل غير قاصد للقتل كرجل ضرب رجلا بخشبة أو رمى بحجر يجوز أن يسلم من مثلها أو يتلف فأفضى الى قتله أو كمعلم ضرب صبيا بمعهود أوعزر السلطان رجلا على ذنب فتلف فلاقود عليه في هذا القتل ، وفيه الدية على العاقله مغلظة وتغليظها في الذهب والورق أن يزاد عليها ثلثها ، وفي الابل أن تكون أثلاثا منها ثلاثون حقه وثلاثون جذعه وأربعون خلفه في بطونها أولادها وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" لا تحمل العاقله عبدا ولا عمدا ولا صلحا ولا اعترافا " .

ودية الخطأ المحض في الحرم والاشهر الحرم وذى الرحم مغلظة ، ودية العمد المحض اذا عفى فيه القود مغلظة تستحق في حال القاتل حالة . واذا اشترك جماعة في قتل واحد وجب القود على جميعهم فعليهم دية واحدة وان كثروا ، ولولي الدم ان يعفو عن من شاء منهم ويقتل باقيهم ، وان عفا عن جميعهم فعليهم دية واحدة تسقط عليهم على عدد رؤوسهم فان كان بعضهم ذابحا وبعضهم جارحا أو موجئا فالقود في النفس على الذابح ، والموجيء والجارح مأخوذ بحكم الجراحة دون النفس . واذا قتل الواحد جماعة قتل بالاول ولزمته في ماله دية الباقين وقال أبو حنيفة يقتل بجميعهم ولادية عليه ، واذا قتلهم في حالة واحدة أقرع بينهم وكان القود لمن قرع منهم الا أن يتراضى أولياؤهم على تسليم القود لاحدهم فيقاد له ويلزم في ماله ديات الباقين . واذا أمر المطاع رجلا بالقتل فالقود على الامر والمأمور معا ، ولو كان الامر غير مطاع كان القود على المأمور دون الامر ، واذا أكره على القتل وجب القود على المكره . وفي وجوبه على المكره قولان :

وأما القود في الاطراف فكل طرف قطع من مفصل ففيه القود فيقاد من اليد باليد والرجل بالرجل والاصبع بالاصبع والانمله بالانمله والسن بمثلها ، ولا تقاد يمنى بيسرى ولا عليا بسفلى ولا ضرس بسن ولا ثنية برباعية ، ولا يؤخذ بسن من قد ثغر سن من لم يثغر ، ولا تؤخذ يد سليمة بيد شلاء ولا بلسان ناطق بلسان أخرس وتؤخذ اليد الكاتبة والصانعة بيد من ليس بكاتب ولاصانع . وتؤخذ العين بالعين وتؤخذ النجلاء بالحولاء والعشواء ، ولا تؤخذ العين القائمة واليد الشلاء الا بمثلها . ويقاد الانف الذى يشم بالانف الاخشم ، وأذن السميع بأذن الاصم . وقال مالك لا قود عليه ويقاد من العربي بالعجمي ومن الشريف بالدنيء . فان عفى عن القود بهذه الاطراف الى الدية ففي اليدين الدية الكاملة وفي احداهما نصف الدية ، وفي كل اصبع عشر الدية وهو عشر من الابل وفي كل واحدة من أنامل الاصابع ثلاثة وثلث الا أنملة الابهام ففيها خمس من الابل ودية اليدين كالرجلين الا في انامليها فيكون في كل أنملة منها خمس من الابل وفي العينين الدية وفي احداهما نصف الدية ، ولا فضل لعين الاعور على من ليس بأعور ، واوجب مالك رحمه الله في عين الاعور كل الدية وفي الجفون الاربع جميع الدية ، وفي كل واحد منها ربع الدية وفي الانف الدية وفي الاذنين الدية ، وفي احداهما نصف الدية وفي اللسان الدية وفي الشفتين ربع الدية

Digitized by Birzeit University Library

وفي كل سن خمس من الابل ، ولا فضل لسن على ضرس ولا لثنية على ناجذ ، وفي اذهان السمع الدية فان قطع اذنيه واذهب سمعه فعليه ديتان وكذلك لو قطع أنفه واذهب شمه فعليه ديتان ، وفي اذهاب الكلام الدية فان قطع لسانه فأذهب كلامه فعليه دية واحدة وفي اذهاب العقل الدية ، وفي اذهاب الذكر الدية، وذكر الخصى والعنين وغيرهما سواء وقال ابو حنيفه في ذكر العنين والخصى حكومة ، وفي الانثيين الدية وفي احداهما نصف الدية ، وفي ثديي المرأة ديتها ، وفي احدهما نصف الدية وفي ثدى الرجل حكومه ، وقيل دية .

وأما الشجاج فأولهما الخارصة وهي التي اخذت في الجلد ، ولا قود فيها ولا دية وفيها حكومة . ثم الدامية ، وهي التي أخذت في الجلد وأدمت وفيها حكومة ثم الدامغة ، وهي التي قد خرج دماؤها من قطع الجلد كالدامغة وفيها حكومة . ثم المتلاحمة وهي التي قطعت وأخذت في اللحم وفيها حكومة . ثم الباضعة وهي التي قطعت اللحم بعد الجلد وفيها حكومة . ثم السمحاق وهي التي قطعت جميع اللحم بعد الجلد وأبقت على عظم الرأس غشاوة رقيقة وفيها حكومه . وحكومات هذه الشجاج تزيد على حسب ترتيبها . ثم الموضحه، وهي التي قطعت الجلد واللحم والغشاوة وأوضحت عن العظم ففيها القود ، فان عفى عنها ففيها خمس من الابل ثم الهاشمة، وهي التي أوضحت عن اللحم حتى ظهر وهشمت عظم الرأس حتى تكسر وفيها عشر من الابل ، فان أراد القود من الهشم لم يكن له ، وان أراده من الموضحة قيد له منها وأعطى في زيادة الهشم خمسا من الابل . وقد مالك في الهشم حكومة . ثم المنقلة وهي التي أوضحت وهشمت حتى شظى العظم وزال عن موضعه واحتاج الى نقله واعادته وفيها خمس عشرة من الابل ، فان استفاد من الموضحة أعطى في الهشم والتنقيل عشرا من الابل . ثم المأمومة وتسمى الدامغة ، وهي التي وصلت الى أم الدماغ وفيها ثلث الديـــــة .

وأما جراح الجسد فلا تقدر دية شيء منها الا الجافية، وعلى الواصلة الى الجوف وفيها ثلث الدية ، ولا قود في جراح الجسد الا الموضحة عن عظم ففيها حكومه . واذا قطعت اطرافة فاندملت وحبت عليها دياتها وان كانت أضعاف دية النفس .ولو مات منها قبل النعالها كان عليه دية النفس وسقطت ديات الاطراف ، ولو مات بعد اندمال بعضها وجبت عليه دية النفس فيما لم يندمل مع دية الاطراف . وفيما اندمل من لسان الاخرس ويد الاشل والاصبع الزائد والعين القائمة حكومة . والحكومة في جميع ذلك ان يقوّم الحاكم المجني عليه ولوكان عبدا لم يجن عليه ثم يقومه لو كان عبدا بعد الجناية عليه ويعتبر ما بين القيمتين من ديته فيكون قدر الحكومه في جنايته . واذا ضرب بطن امرأة فالقت من الضرب جنينا ميتا ففيه اذا كان حرا غرة عبد أو أمة تحملها العاقله ولو كان مملوكا ففيه عشر قيمة أمه يستوى فيها الذكر والانثى ،فان استهل الجنين صارخا ففيه الدية كاملة . ويفرق بين الذكر والانثى وعلى كل قاتل نفس ضمن ديتها الكفارة عامدا كان او خاطئا . وأوجبها أبو حنيفة على الخاطيء دون العامد .

والكفارة عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب المضرة بالعمل . فان اعوزها صام شهرين متتابعين ،فان عجز عنه أطعم ستين مسكينا في أحد القولين ،ولا شيء عليه في القول الاخر واذا ادعى قوم قتلا على قوم ومع الدعوى لوث واللوث ان يعنو بالدعوى ما يوقع في

Digitized by Birzeit University Library

النفس صدق المدعي فيصير القول باللوث قول المدعي فيحلف خمسين يمينا ويربح . واذا وجب القود في نفس او طرف لم يكن لوليه أن ينفرد باستيفائه الا باذن السلطان ، فان كان في طرف لم يمكنه السلطان من استيفائه حتى لا يتولاه غيره . وأجره الذى يتولاه في مال المقتص منه دون المقتص له وقال ابو حنيفه تكون في مال المقتص له دون المقتص منه . فان كان القصاص في نفس جاز أن يأذن السلطان له في استيفائه بنفسه اذا كان ثابت النفس والا استوفاه السلطان له بأوحى سيف وأمضاه . فان تفرد ولى للقود باستيفائه من نفس أو طرف ولم يتعد عزره السلطان لافتياته عليه وقد صار الى حقه بالقود فلا شيئ عليه .

طعام الضيف

ما زال البدو حتى يومنا هذا يسكنون في مضارب تجمع ابناء العشيرة الواجدة وكانت خيمة شيخ القبيلة تتميز باتساعها حيث يخصص جزء منها "المضافة" لجلوس أبناء العشيرة للسهر ولاستقبال الضيوف . وكان القرى يقدم في "المضافة" وكان العادة أن يكون القرى بالتناوب على الميسورين من ابناء العشيرة . غير أنهم أمام الضيوف كانوا يتعازمون والكل منهم يقسم أن قرى الضيف سيكون عنده. فيتقاضون على ذلك عشائريا من عند شيخ القبيلة أو عند أحد الوجوه المتواجدين في "المضافة" ومن الحجج التي يطرحها الذى يصمم على عمل القرى الذى عادة ما يكون رأسا من الغنم ـ أمام القاضي العشائرى قوله :

" يا قاضينا خذ لك عوافي حيّا الله بالضيف اللافي "

وبعد هذه التحية للقاضي والترحيب بالضيوف يقول .

"وش لك بالضيوف الاعزاز وانت ترجي الله وأنا مشتاق لقراهم الله يحيي لحتك ولحاهم واللحية اللي تعطينا قراهم . ويحيهم من مطرح ما مشوا لمطرح ما لفوا يوم درهمنا الخيل ودليح البخيل "اى يوم دفعتنا عزيمتنا ونخوتنا لقرى الضيف في حين ان البخيل يطأطئ رأسه هربا من ذلك " .

ومن الحجج ايضا :

"وش لك يا قاضي بالضيوف الاعزاز من يوم ما طلّوا شهّدنا على قراهم وان شاء الله ما تعطيه لغيرنا " .

ومنها ايضا :

"وش لك يا قاضي بالرجل العفي اللي يوم يشوف الضيف ينبسط لعمل قراه مثل الجمل الاجرب ومشتهي الطلوة " .

وبعد الحجة من المتنافسين على قرى الضيوف يعطي القاضي القرى لاحدهم بقوله "اللة يخلف على أبو فلان" .

ومن اطرف ما سمعت بهذا الخصوص القصة التالية التي حصلت مع والدي حسين ابراهيم السلحوت في الثلاثينات من هذا القرن والتي ما زال شيوخ عرب السواحرة يروونها حتى ايامنا هذه وملخص القصة ان مجموعة أشخاص من عشيرة العبيدات من عشائر عرب السواحرة ومن بينهم المرحومين مسعد مهنا واحمد سعدى حلّوا ضيوفا على مضارب عشيرة الشقيرات فأراد والدي ان يعمل لهم القرى غير ان المتواجدين من ابناء عشيرة الشقيرات

Digitized by Birzeit University Library

أمروا أن لا يسمحوا له بذلك الا اذا حصل عليه بالحق العشائرى ونصبوا المرحوم عيد محمد ثقير قاضيا لتلك المهمة وأخذ كل منهم يورد حجته واثناء ذلك كان والدي يقول بانه سيعمل طعام الضيوف بدون قضاء وهم يرفضون وشعر ان عملية القضاء هي مجرد مهزلة وأنهم يخططون لاعطائه اياه بادانته في القضاء العشائرى في حين انه يرى انه سيعطه كرما وبدون تقاضي . وعندها وقف وقال لهم " أنتم جماعة قاتلكم الكرم والله لا يخلف عليكم . والكريم فيكم يعمل قرى الضيوف وأنا والله لن أعمله وانسحب من المجلس . وكانت تلك الحادثة الطريفة أول خروج عن هذا التقليد في عرب السواحره .

الدخيـــــل

الشخص أو العائلة أو الحامولة والعشيرة اذا ما وقعوا في خصومة مع من هو أقوى منهم يجدون صعوبة في بعض الاحيان للحصول على حقهم العشائرى ومن ضمن الاعراف العشائرية في مثل هذه الحالة أن يلجأوا الى من هو أقوى منهم كي يحصّل لهم حقهم ويحميهم من خصمهم وذلك بأن يذهب المعتدى عليه الى القوي ويقول له : "أنا داخل على الله وعليك تجيب لي حقي من فلان " . ويحدث في مثل هذه الحالة أن يضع عقاله في رقبة القوي أو ان يعقد طرف كوفيته ويرجوه التدخل لتحصيل حقه . وعندها يجيب ذاك المجير: "أبشر يا رجل" ويكون ذلك حتى قبل أن يعرف ما هية المشكلة وفي حالة عقد طرف الكوفية فان صاحبها لا يحلها حتى يقوم بحلها المعتدي دلالة أنه استجاب لطلبة مهما كـــان .

واذاما قبل القوي دخول المعتدى عليه ونادرا ما يرفض ذلك فانه يصبح وكأنه من عصبته حيث يوفر له الحماية ويطلب له حقه وفي هذه الحالة فان المجير يشارك الدخيل في الغرم والغنم بحيث أنه يأخذ ويعطي الحق العشائرى عن الدخيل مهما كان نوعه .

هذا ولا يجوز للدخيل ان يدفع مالا لمن يجيره لانه في الغالب تدفع المجير مروءتـــه وان اشترط فله شرطه وذلك خلاف العرف ويعتبر المجير مذموما في مثل هذه الحالة .

وقضية الجيرة ليست جديدة في التاريخ العربي فلها أصولها الجاهلية وفي تاريخنا العربي عشرات الشواهد على ذلك .

القســـــم

توجد قاعدة فقهية عريضة وضعها الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقول : "البينة على من ادعى واليمين على من انكر" . والاعراف العشائرية تعتمد على هذه القاعدة الى حد كبير حيث أنه اذا ما استطاع شخص أن يدين خصمه أمام القضاء العشائرى بالادلة والبينات فانه لا حاجة للقاضي بان يحكم على الخصم باداء القسم ليثبت براءته لان وجود الادلة والبينات يكفي لادانتـــه .

أما اذا ادّعى شخص وجود حق له عند آخر ولم يكن يملك أدلة وبينات أو شهود على صحة دعواه فان القاضي العشائرى يلزم المتهم بتبرئة نفسه تحت القسم واذا ما أقسم فان هذا دليل كاف على براءته واذا رفض فانه يدان واذا كانت القضية ليست ذات أهمية كبيرة

Digitized by Birzeit University Library

فان أهل الخير يتدخلون للوساطة بين المتخاصمين للاصلاح بينهم عن طريق الحلول الوسط كي لا يقسم المتهم لان العرف العشائرى يقول : " ما كسبها لا من حلف ـ باللام المفتوحة المخففة ـ ولا من حلّف ـ باللام المفتوحة المشددة " .

تزكية القسم بخمسة

أ) معنى التزكية : يأتي خمسة من أقارب المتهم العدول واذا لم يكن له اقارب عدول بالغون عاقلون فانه يضع خلفه اثناء القسم أطفاله أو أطفال أخوته أو سلاحه حتى يصبح العدد خمسة . وبعد أن يقسم المتهم يشهد المزكون بأن المقسم عدل وصادق .

ب) صيغة التزكية : "أشهد أن الحالف صادق " .

جـ) متي تجب التزكية : في مشاكل الارض ، انتهاك الاعراض ، الدم ـ القتل ـ ، الخيل ، الجمال وفي حالة التهمة بمبلغ كبير من المال يزيد عن الخمسمائة دينار .

كيفية القســـم

بعد أن يضع يده على القرآن يقول واحدة من الصيغ التالية : ـ

١) أشهد لله في منتهى علم الله أن .....

٢) أقسم بالله العظيم أن .....

٣) وحياة مأية واربع عشرة سورة أن ....

٤) وحياة كتاب الله أن .....

٥) وحياة هالبيت واللي بناه .....

٦) وحياة اولادى والا أعدمهم اذا ما كنت صادق أن ....

٧) وحياة نظرى والا اعدمه اذا ما كنت صادق أن ....

٨) وحياة كتاب الله والا يجعلني أيبس مثل الحطبة اذا ما كنت صادق أن .....

وأحيانا يضع طفله الرضيع أمامه ويضع يده عليه ويقسم بقوله : "وحياة هالمصحف" وذلك لان الانسان الشعبي يعتبر الاطفال "طاهرين ومقدسين" ككتاب الله لانهم لم يقترفوا ذنوبا في حياتهم .

ومن أطرف ما سمعت في هذا الخصوص القسم على قميص "الفقير" وتلفظ القاف هنا كحرف الجيم في اللهجة المصرية وهذا موجود عند بعض القبائل البدوية المغرقة في البداوة وقد رأيت واحدا من هؤلاء الفقراء وهو انسان عادى بسيط يلفه الجهل من رأسه الى أخمص قدميه وهو يصلي مع أنه لا يجيد قراءة الفاتحة ووظيفة صاحبنا الفقير هذا عند اتباعه انه يختار الاسماء لابنائهم الذكور بعد أن يحضر الى بيت والد الطفل الذى يذبح رأسا من الغنم احتفاءا بقدوم "الفقير" كما أن عملية ختان الاطفال لا تتم الا بحضور الفقير أيضا وباقامة الولائم ودق الطبول والغناء . ومن أغرب ما سمعت عن اتباع هذا "الفقير" أن القسم عندهم يكون كالتالي :

"وحياة قميص سيدنا الفقير" . طبعا بعد أن يضع يده على قميص الفقير ولا يقبلون القسم

Digitized by Birzeit University Library

لحل الخلافات بينهم على القران الكريم وفي بيوت الله . واذا اقسم أحدهم على "قميص الفقير" فانه يصدق لاعتقاده بقدرات خارقه لهذا الفقير في حين أنه يكذب لو أقسم على غيره بما في ذلك القران الكريم .

مكان القســـــم

حسب اتفاق المتخاصمين وبوجود القاضي العشائرى وبعض الحضور وعادة يكون في أحد الاماكن المقدسة كالحرم القدسي الشريف وقبة الصخرة المشرفة، مقام النبي داود، مقام الخضر، الحرم الابراهيمي الشريف، مقام النبي موسى أو أى مكان مقدس آخر حيث أننا نكاد نجد في كل قرية تقريبا ضريحا يعتقد سكان تلك القرية أنه ولي من أولياء الله . وربما يكون القسم في بيت القاضي العشائرى أو أى بيت عادى آخر وهذا لا بسبب قداسة هذه البيوت بل تخفيفا على المتهم وخوفا عليه من عقاب الله في الدنيا والاخرة لو أقسم كاذبا في أحد بيوت الله المقدسة .

وقد يحدث أن يقبل القسم بدون وضع اليد على كتاب الله وبدون الجلوس في بيت من بيوت العبادة أو غيرها خصوصا اذا كانت القضية بسيطة ولا تستحق العناء —

مقدمات القســـــم

يجب على المتهم ان يتوضأ ويصلي لله تعالى ركعتين كي يغفر له ذنوبه ولانه يخشى عليه أن يموت في مكانه لو أقسم كذبا وهم بهذا يريدون له أن تكون آخر حياته صالحة بحيث يموت مسلما مصليا .

"تبخيس" القســـم

اذا أقسم المتهم على براءته وثبت بعد القسم بأنه ارتكب الجريمة التي اتهم بها كان يجد شهودا عليه فان يمينه يعتبر باخسا (باطلا) ويصبح مذموما منبوذا عند الناس ويدان بالقضاء العشائرى من جديـــــد .

ومن أطرف ما سمعت بهذا الخصوص أن مجموعة من تجار المواشي من قرية سلوان جنوب القدس ،في العشرينات من هذا القرن كانوا يبتاعون الاغنام من شرق الاردن وكان أحد الاشخاص ويدعى سرحان فقيرا ويسرق حاجته مزاغنامهم وهم يعرفون ذلك ولا يستطيعون منعه، فاتفقوا أن يشاركوه في تجارتهم مع أنه لا يملك حصته في رأس المال وذلك لان الذى يسرقه أكثر من نصيبه في الارباح لو كان شريكا . وبعد شراكتهم معه وكانوا جميعهم من عائلة واحدة وكبيرهم حاج يصلي ويصوم ويؤدي الفرائض ، ابتاعوا قطيعا من الماعز دينا من أحد البدو من منطقة الكرك . وقد نفق القطيع بعد ان أصيب بمرض "الجعام" وخسروا كل شيء بما في ذلك رأس المال ولم يعودوا للاتجار بعدها ولما لم يسددوا ثمن القطيع لصاحبه حضر من منطقة الكرك ليطالب بدينه وسأل عن بيت الحاج في قرية سلوان فدلوه عليه وذهب للبيت

Digitized by Birzeit University Library

ونادى على صاحبه الحاج ولما رآه أنكر معرفته به ولم يدعوه لدخول البيت بحجة عدم معرفته به . فحزن البدوي حزنا شديدا وذهب الى منطقة رأس العامود وكان الوقت مساءا وجلس على حجر وأخذ يبكي فرآه بعضهم وسأله عن مشكلته ولما أخبرهم بقصته قادوه الى بيت المرحوم الحاج غزلان أحد وجهاء قرية سلوان وقالوا له اذهب الى هذاوسيعطيك حقك؟

دخل البدوى الى بيت الحاج غزلان فاستقبله أحسن استقبال وأكرم وفادته وبقي عنده معززا مكرما دون أن يسأله عن حاجته وفي اليوم الثالث وكان يوم جمعة أراد الحاج غزلان ان يذهب لاداء فريضة صلاةيوم الجمعة في المسجد الاقصى بعد أن اخبر ضيفه قائلا : "بان البيت بيتك حتى أعود" غير أن البدوي طلب منه ان يصاحبه ليؤ دى الصلاة هو ايضا .وفي الطريق أخبر البدوي مضيفه بقصته فقال له : لا تخف ؟ حقك عندى وفي احة المسجد الاقصى رأى الحاج غزلان الحاج التاجر الذى انكر معرفته بالبدوى فناداه وقال له

هل تعرف هذا البدوى ؟

فأجاب بالنفـــي !!.

ثم قال له : بأن هذا البدوى يزعم بأنك مدين له بثمن قطيع من الماعز واذا انكرت ذلك فاني ألزمك بالقسم على القران وفي المسجد الاقصى . فأقسم الرجل بعدم معرفته بهذا البدوى وبأنه لم يشتر منه شيئا . وصلوا جميعا وخرجوا من الاقصى وجلسوا في مقهى بالقرب من مستشفى الهوسبيس وهنا مرّ سرحان شريك الحاج في التجارة فناداه غزلان صائحا بقوله : اسمع يا سرحان ؟ ان هذا البدوى يزعم بانك قد اشتريت انت والحاج فلان منه قطيعا من الماعز دينا وستقسم رغما عنك مثل صاحبك . فقال لهم حسنا ، انا جنب ولا املك أجرة الحمام حتى استحم ، فنقده غزلان خمسة قروش كي يستحم وبعد ان استحم طلبوا منه مرافقتهم للمسجد الاقصى فرفض وقال : ان الله موجود في كل مكان واذا لم تقبلوا بيميني هنا فلن اقسم مطلقا ؟ فقبلوا ذلك وعندما احضروا المصحف وضع يده عليه وقال:أقسم بالله العظيم أنني اشتريت أنا والحاج فلان قطيع ماعز دينا من هذا البدوى، وقد أكرمنا أكثر مما نستحق وأقسم بالله بأن غداء جميع الموجودين هناسيكون عندي اكراما لهذا البدوى" .

وقام وعانق البدوى ، فى حين ان شريكه الحاج طأطأ رأسه للمفاجأة التي لم يكن يتوقعها أى واحد منهم وانسحب ،بينما ذهب الجميع لبيت سرحان وتناولوا طعام الغداء على حسابه بعد ان باع مصاغ زوجته وخاصمها على ذلك ، حيث أنه لم يكن يملك شيئا واعطى ما تبقى من ثمنه للبدوى ووعده بسداد ما تبقى عليه عندما يستطيع ذلك . عندها قام الحاج غزلان وذهب للحاج التاجر واجبره على دفع نصيبه من الدين واعطاه للبدوى ثم جلب اموالا واسترد مصاغ زوجة سرحان وأصلح بينهما ولما علم البدوي بقصة سرحان مع زوجته أقسم بأن لا يسترد دينه منه وشاركه في التجاره وعاش سرحان بعدها غنيا .

البشعـــة

عند وقوع جريمة كبيرة ــ كجريمة قتل مثلا ــ وكان المجرم مجهولا فان من حق عصبة

Digitized by Birzeit University Library

القتيل ـ حسب الاعراف العشائرية ـ أن يتهموا ما يشاؤون من الناس خصوصا من تدور حولهم الشبهات أو العائلات التي يوجد بينهم وبينها عداوة فالقاعدة العشائرية تقول "من ضاع شيّه أتهم خيّه " وفي هذه الحالة على المتهمين أن يبرؤوا أنفسهم تحت القسم غير أن عصبة القتيل قد لا يرضون بالقسم ظنا منهم أن المتهم قد يكذب وعندها يطلبون البشعة وهي لحس النار بواسطة اللسان ثلاث مرات أمام شهود من الناس وصاحب البشعة انسان يتوارث هذه المهنة عن أبيه وجده ولا يوجد ـ الان ـ في فلسطين والاردن وسوريا ولبنان من يقوم بهذه المهمة ويروى المهتمون بالاعراف العشائرية أنه يوجد في هذه الايام ـ بشعة ـ في القاهرة ومكة المكرمة . غير أنه يروى أنه كان في منطقة غزة بشعة حتى عام ١٩٤٨ .

ومن الحوادث التي تمت فيها البشعة أنه في بداية الاربعينات من هذا القرن اتهم والدى حسين السلحوت بقتل المرحوم حسين أبو العمل من عرب السواحره وقصة التهمة كما يرويها والدى كالتالي .

أن عشائر عرب السواحره كانت تعمل بتهريب البضائع من الاردن الى فلسطين وقد جلبوا بضاعة وأوصلوها الى منطقة الثورى بالقرب من القدس وهناك اصطدموا بدورية للجيش الانكليزى فأطلقوا النار على والدى وأطلق هو النار عليهم وبعدها جاء المرحوم حسين أبو العمل فأطلق الجنود الانكليز عليه النار فأردوه قتيلا ولما كانت الحادثتان في ليلة واحدة فقد اتهمت عائلة حسين ابو العمل والدي بقتله فنفي التهمة وطلبوا منه أن يبشع لهم كي يبرئ نفسه واتفقوا على البشعة في غزة فذهب والدى يرافقه الشيخ حسين ابراهيم شقير شيخ عشيرة الشقيرات وذهب شقيق المغدور محمد أبو العمل يرافقه المرحوم علي سالم درجه وعندما وصلوا البشعة في غزة يروى والدى بأن صاحب البشعة طلب من والدى أن يعترف اذا كان قد قتل المرحوم حسين أبو العمل وهو يكفل هو والحضور سلامته من أخذ الثأر وأن يقوم بدفع الديّة حسب الاعراف العشائرية وأصر والدى على نفي التهمة عندها أحضر صاحب البشعة ـ كانون النار ـ وأشعله ووضع بداخلها ـ محماس القهوة ـ وهو قضيب من الحديد رأسه عريض حتى احمرّ حمرة شديدة ووضعه ثلاث مرات على ذراع يده اليمنى كي يثبت لهم أن النار لا تحرق البرئ ثم طلب من والدى ان يخرج لسانه ويمر على الحضور كي يروا انه لا توجد أية شائبة على لسانه . وبعد ان انتهى من ذلك ، وضع محماس القهوة ـ بعد ان اصبح شديد الحمرة على لسانه ثلاث مرات وعلى الجانبين وبعدها طلب منه أن يتمضمض بماء بارد ثلاث مرات وأن يخرج لسانه أمام الحضور مرّة ثانية وقال أمامهم " أشهد ويشهد الله انك برئ " ويقول والدى بأنه لم يحس مطلقا بحرارة النار . كما ان عائلة القنبر من السواحرة قاموا بتبشيع مجموعة من اللصوص اتهموا باطلاق النار على محمد حسين القنبر مما أدى الى اصابته بالشلل التام وذلك عندما حاولوا سرقة اغنامه في تموز ١٩٧٨ وقد تمت البشعة في مصر غير ان هناك أمورا تتعلق بالبشعة منها انها لا تجرى على النساء كما أنه يروى أن صاحب البشعة يأخذ رشوة وعندها يبرئ المجرم . ولا أعرف أى أصل علمي يمنع النار أن تحرق وأغلب ظني أن مثل هذه الامور هي نوع من الخداع لا أكثر ولا أدرى من أين جاءت قدسية النار عند العرب علما بأنها مقدسة لدى شعوب أخرى خصوصا في جنوب شرق آسيا .

Digitized by Birzeit University Library

المتهم

مسرحية
في فصل واحد

بقلم
جمال بنورة

الشخصيات
المسؤول : رجل ذو مكانة هامة
المساعدون : أول وثاني ..الخ
الزائر : شخصية ذات منصب رفيع
المتهم :

Digitized by Birzeit University Library

المنظر :

حجرة مكتب واسعة . بعض المقاعد الفاخرة تنتشر في انحاء الحجرة . في وسط المسرح طاولة مكتب وراءها مقعد دوار يجلس عليه المسؤول . على المكتب بعض الاوراق والملفات واقلام الحبر..الخ ، وجهاز تلفون . الزائر يجلس على مقعد مجاور للمسؤول ، وهناك باب الى يمين المسرح .

(يرفع الستار أثناء قرع جرس الهاتف)

المسؤول : (يرفع سماعة التلفون وينصت قليلا) نعم .. (يبدو على وجهه الاهتمام ، ثم يتساءل في انزعاج) لم يمت..! لا أستطيع تصديق ذلك . (ينصت أيضا) ولكنني متأكد من تنفيذ المهمة.. أنا لا أشك في قدرة رجالي على تنفيذ الاوامر . انهم رجال أكفاء .. لقد نفذوا دائما المهمات الموكولة اليهم بجداره فائقة (صمت ، ثم بلهجة مستكينة) نعم ..أنا أعرف واجبي.. ماذا تقول؟ أصيب بذراعه فقط . بُترت؟ (بأسف) انه لا يزال يستطيع استعمال ذراعه الاخرى.. بالاضافة الى بقية أعضائه (صمت مرة أخرى) هل تقول أنه قادم الان؟ ..نعم . (بصوت خافت) نعم (ثم يضع السماعة بهدوء) .

الزائر : هذا ما كنت أريد أن أقوله لك..

المسؤول : هل كنت تعلم ؟

الزائر : لماذا تظنني جئت اليك؟ (ثم يضيف) هناك عدم رضى من تصرف رجالك .

السمؤول : ولكنهم ينفذون الاوامر كما يطلب منهم ؟

الزائر : (يهزرأسه) أنتم لا تقومون بعملكم كما يجب

المسؤول : ماذا علي أن أفعل ؟

الزائر : أما كان بالامكان الاجهاز عليه مرة واحدة ؟

المسؤول : لقد أدهشني هذا النبأ .. مع أن رجالي أكدوا لي أنه أصيب اصابة قاتله.. ولم تبد عليه أى حركة بعد ذلك ..

الزائر : يبدو أن هذا الرجل مسحور .

المسؤول : (مفكرا) كيف يمكن ان نتخلص منه ؟

Digitized by Birzeit University Library

الزائر : هذا ما جئت للتباحث معك بشأنه ..!

المسؤول : أنا في رأيي أن أفضل طريقة تقديمه للمحاكمة.. هكذا نتخلص منه بطريقة قانونيـــــــة .

الزائر : ولكننا لا نستطيع الحكم عليه بالاعدام .

المسؤول : نحن نضع القوانين .. ونحن نغيرها..اذا احتجنا الى ذلك .. لقد فعلنا هذا مرة ،ثم ان هناك أصواتا كثيرة تطالب بذلك..كيف يمكن أن نقطع دابر التخريب اذا لم تكن لدينا قوانين رادعة ؟

الزائر : ولكن هذا سيثير ضجة عالمية نحن بغنى عنها ..

المسؤول : (بعد تفكير) نستطيع ان نبعده .. ونستريح منه

الزائر : سيثير ذلك ضجة ايضا

السؤول : أي قيمة لذلك.. ألم نفعل دائما ما نريد ..؟ وسنجد هناك من يؤيدنا .

الزائر : تقصد صديقنا الكبير في الخارج ؟

المسؤول : نعم..ان له مصالح عندنا ،هو لا يستطيع التخلي عن مساعدتنا وقت الضيق ، فهو بحاجة لنا.. أكثر مما نحن بحاجة اليه.. من يحافظ على مصالحة في المنطقة اذا لم نكن نحن؟.. ولذلك سيفشل أي محاولة لاثارة ضجة امام العالـــــم .

الزائر : هذا صحيح ..ولكن سياسة الابعاد ثبت فشلها.. فهي في النهاية لا تحل المشاكل بل تعقدها .. رغم انها لا تزال ممكنة في بعض الحالات.. الا في هذه الحالة.. بالاضافة الى أن بعضهم نجح بالعودة ثانية.. وقد يفعلها هذا ايضا .. ويسبب لنا أذى أكبـــر.....

المسؤول : ما زلت على رأيي بأن أفضل طريقة للتخلص منه هي تقديمه للمحكمة.وليكن حكمة مؤبدا .حتى يتعفن داخل السجن .

الزائر : (كأنما يحدث نفسه) ماذا ستكون التهمة ؟

المسؤول : سندبر له تهمة ; الاخلال بالامن ،والتسبب بالحاق الاذى للكثيرين .

الزائر : (يهز رأسه كأنه غير مقتنع)

المسؤول : التحريض على التخريب ،وقتل الآمنين .. أليست تهمة كافية ؟.

الزائر : (متسائلا) كيف نثبت ذلك ؟

المسؤول : نعد بعض الشهود ..

الزائر : ولكنك ستجد ان الذين يشهدون معه أكثر من الذين يشهدون ضده.ثم نحن لا نريد أن يطعن احد في نزاهة عدالتنا. القضاة مزعجون من اجبارهم على تنفيذ الاحكام المعدة سلفا.لقد استقال قاض آخـــر .

المسؤول : هل لانه لا يريد ان يحكم بالظلم ..؟

الزائر : (منتقدا) انت ايضا تسمي ذلك ظلما ؟

المسؤول : (بلهجة اعتذار) أقصد انه لا يريد ان يحكم لصالح الدولة !

الزائر : قل لصالح مواطني الدولة.. على اختلاف أجناسهم .. نحن نفعل ذلك من

Digitized by Birzeit University Library

أجل مصلحة الجميع .. نحن دولة تتمتع فيها الاقليات بحرية وديمقراطية لا تجدها في أى بلد آخـــــر ..!!

المسؤول : (بلهجة مترددة) آه .. نعم ... طبعا .!

الزائر : أنت تتحدث كأنك غير مقتنع بما تقول .!

المسؤول : (باستنكار) أنا .. لا .. أبداً .!

الزائر : افرض أننا لم نجد قاضيا يحكم كما نريد ..

المسؤول : ليس ذلك بمثل هذه الصعوبة .. دائما هناك من هو على استعداد لان يحكم كما نريـــد ..

الزائر : على كل حال .. ليست هذه هي المشكلة .. المهم أن بقاءه حيا سيظل مصدر ازعاج لنا .. حتى ولو حكمنا عليه بالسجن .. علينا أن نطعمه ونكسوه .. وتوفر له كـل ما يلزم .. وغدا سيبدأ باثارة الشغب ، وتنظيم الاضرابات داخل السجن .. سوف يطالب بتحسين ظروف الحياة داخل السجن .. سوف يطالب بالشمس والهواء ، والكتب والصحف ، والعلاج الطبي .. وسيحتج على برودة الارض ويطالب بالاسرة ، واذا رضخنا مرة واحدة .. فان مطالبة له تنتهي .. ان ميزانية الدولة لا تتحمل ذلك .! ماذا سيبقى منها للاستيطان ، ومحاربة المخربين !؟ وعندما يتكاثرون داخل السجن سوف نضطر لبناء سجون جديدة .. لن نستطيع ان نضعهم كلهم داخل السجون .. حتى لو حدث .. سوف تكثر مطالبهم .. ولا تستغرب اذا طالب يوما بفتح مدرسة داخل السجن ، وربما جامعة أيضا .. وستجد عندنا أصواتا تؤيده .. ثم تأتي لجان تقصي الحقائق ، ولجنة حقوق الانسان ، وسيفتضح أمرنا .. واذا اضطررنا لتغيير الظروف التي نضعه فيها من اجل التعجيل بموته ـ فسوف يعيش ، وستهب علينا عواصف جديدة .. تطالب باعادة محاكمته .. وقد يطالب هو أيضا بذلك .. واذا اضطررنا لفعل ذلك نتيجة الضغط العام .. قد تجد من يبرئ ساحته في المستقبل .. فيخرج ليبدأ من جديد باثارة الشغب والزوابع من حولنا ، وتهديد أمن الدولة .

المسؤول : (بغباء) لم أفهم ما ترمي اليه من وراء محاضرتك هذه !!

الزائر : لماذا لا نتعلم من أمثالهم ؟

المسؤول : وضح !

الزائر : أحد أمثالهم يقول : اخلع السن واخلع وجعه ..

المسؤول : فعلا . نحن لا نستطيع الاطمئنان ما لم نقتلعه من الوجود .!

الزائر : ولكن تذكر .. نحن لا نريد ان نتهم بقتله .

المسؤول : كن مطمئنا من هذه الناحية . ما دام هذا رأيك النهائي ..

الزائر : ليس رأيي فقط .. (ثم بعد فترة صمت) وما دام لا بد له ان يموت .. ففي صمت وهـــدوء ..

المسؤول : أفهـــم ..

الزائر : (مستدركا بلهجة رقيقة) وليكن ذلك بدون ألم .!

Digitized by Birzeit University Library

المسؤول: (متسائلا بعد تفكير، كأنما يحدث نفسه) انفجار سيارة مثلا.. حادث دهس غير متعمـــد ...

الزائر: المهم أن يبدو الامر وكأنه قضاء وقدر.. أو لا حيلة لنا فيه.. نحن لا ينقصنا احتجاجات أكثر. كذلك لا نريد ان نسبب الاحراج لاصدقائنا في الخارج.. انهم لا يستطيعون الدفاع دائما عن وجهة نظرنا أمام العالم..

المسؤول: نعـــم ....

الزائر: أهم ما في الامر.. نحن لا نعلم شيئا.. لا نريد أن تتلطخ ايدينا بدمائه امام العالم. لا نريد أن يشك أحد أن لنا ضلعا في الحادث ..ولا نريد أن يثير موته ضجـــة ....

المسؤول: اطمئن.. نحن لا نريد قتله.. هو الذي يسعى بيده الى حتفه.

الزائر: رغم ما يسببه لنا من ازعاج ،فنحن لسنا قتلة.. نحن اناس نريد الحياة.. ولكننا سنمنع اى انسان أن يحرمنا حقنا في الحياة.

المسؤول: (يهز رأسه موافقا)

الزائر: (ينهض متهيئا للخروج) حاول اولا أن تقنعه بالتعايش معنا.. وان يسلم بالامر الواقع ،ويكف عن اثارة المشاكل.. اذا لم يفلح ذلك معه.. فلتكن الخطة جاهزة لتنفيذ الامر. (ثم يضيف بعد قليل) انه آت الان.. سأتركك لتتفاهم معـــه .

المسؤول: مع أنني لا أرغب في رؤيته .. انه يجعل الدماء تغلي في عروقي.. ولا أدري لماذا يبعث منظره الرهيب في نفسي!

الزائر: هناك أمر آخر أذكرك به .. ان ارتكاب أى خطأ هذه المرة لن يكون في صالحـــك ....

المسؤول: أفهم ما تعنيه.. مع أن هذه المهمة كريهة الى نفسي. ولكنني سأنفذها كما تريدون...!

(يقف المسؤول مودعا الزائر . يغلق الباب وراءه ،ثم يعود الى مكانه ويأخذ بكتابة شيء على ورقة أمامه.. بعد قليل يسمع نقر على الباب ثم يدخل المساعد الاول ويقف بالباب .)

المساعد (١) لقد حضر المتهـــم ....

المسؤول: دعه يدخل ...

(يدخل المتهم وذراع الجاكيت اليمنى في جيبه يسير بخطى واثقة .. المسؤول يقف وهو ينظر الى ذراع الرجل اليمنى.. يمد يده ليصافح المتهم يتجاهل اليد الممدودة اليه. يقف في وسط الحجرة متلفتا حوله.)

المسؤول: أنا آسف ... أرى ان ذراعك ....

المتهم: (بسخرية) ذراعي..؟ (يلتفت نحو ذراعه اليمنى كأنما يتأكد من وجودها ثم يخرجها من جيبه ببطء ..وهي منقبضة بشدة) ما بها؟

المسؤول: لقد قيل لي. (منبهتا) ما هذا ؟ هل نبتت لك ذراع ثانية؟

Digitized by Birzeit University Library

المتهم : لقد أخطأ رجالك .. انهم يزيفون الحقائق ...

المسؤول : ماذا تعني ؟

المتهم : أنت تفهـــم ...

(يرن جرس الهاتف)

المسؤول : (يمسك سماعة الهاتف ،وهو يخاطب المتهم) يمكنك ان تجلس .

المتهم : لا وقت لدى ...

المسؤول : (في الهاتف) نعم .. انه هنا .. (صمت) أفهم .. لن أدعه يخرج حتى اتلقى تعليمات أخرى ..

المتهم : أنت لا حق لك ان تحجزني هنا ....

المسؤول : ليس أنـــا ...

المتهم : من اذن ؟

المسؤول : (بلهجة تهديد) اسمع .. ليس من حقك ان تعرف .. هناك أمر يجب ان تفهمه نحن الذين نصدر الاوامر هنا .. عليك ان تبقى حتى أسمح لك بالخروج .. وأول شيء يجب أن تعلمه أنك متهم .. متهم خطير .. ولدى أمر باعتقالك .. اذا حاولت أن تتطاول لن تعود الى بيتك هذه الليلة .

المتهم : أريد أن أعرف أولا بماذا أنا متهم ..؟

المسؤول : أشياء كثيرة .. أنت تعرفها ...

المتهم : أنا لا أعرف شيئا ...

المسؤول : سأقول لك .. أنت محرّض خطير ضد الامن .. ومتهم باثارة القلاقل والشغب .. هذا عدا عن التصريحات المعادية التي تطلقها بين الحين والاخر .. نحن نستطيع بكل سهولة ان نضعك في السجن .. نقدمك للمحاكمة .. لقد سئمنا منك .. ماذا تعتقد أننا سنفعل لك ..؟

المتهم : أنت قل لي ذلك .

المسؤول : انت تعرف .. نحن نستطيع ان نفعل أى شيء .. ليس هناك مالا نستطيع عمله .. ليس هناك مكان في العالم لا نستطيع الوصول اليه .

المتهم : وأنا ليس هناك من يستطيع أن يمنعني من قول الحقيقة .!

المسؤول : الحقيقة التي يجب ان تفهمها .. أنك لا تستطيع ان تغير شيئا .. أنت تصرخ في واد .. لا أحد يسمعك .. لماذا لا تسلم للامر الواقع ؟ أنت تستغل انسانيتنا معـــك ...!!

المتهم : (ساخرا) فعلا .. لقد غمرتموني بانسانيتكم التي كادت أن تقضي على حياتي .

المسؤول : أنت تتهمنا .. وأنت في موضع الاتهام .. كيف تجرؤ ؟

المتهم : هل تعتقد ان تهديداتك ستخيفني ؟

المسؤول : انتم لاتفهمون الا لغة الخوف والقوة ..

المتهم : هكذا تعتقد .. لانك لا تعرف حقيقتنا .. وعندما تكتشف يوما أنك مخطئ .. ستندم على اعتقادك هذا ..!

Digitized by Birzeit University Library

المسؤول : اسمع .. ليس لمثل هذا قابلتك .. لدى أمر علي أن أفضي لك به .. مطلوب منك ان تكف عن اثارة المشاكل لنا ، وان تكف عن مقابلة الصحفيين واعطاء التصريحات المتطرفة التي لا تخدم قضية السلام في ربوعنا .. لقد سكتنا عنك حتى الآن ، ولكننا لا نستطيع السكوت الى الابد .. اذا استجبت فلدى الصلاحية بوقف تنفيذ أمر اعتقالك .. واذا لم تستجب فسيكون لنا معك شأن آخـــــر ....

المتهم : (يهز رأسه باستهانة دون ان يجيب)

المسؤول : (بغيظ) هل تعتقد ان الناس راضون عن تصرفاتك .. انك بمسلكك هذا تثير من حولك الاعداء . هناك خطر يتهددك باستمرار .. ونحن نسعى من أجل توفير الحماية لك .. رغم كل ما تفعله ضدنا ..!

المتهم : أنا لا أحتمل هذا الهُراء .. لدى كلمة سأقولها وأذهب ..

المسؤول : انا مستعد لسماعك ..

المتهم : رجالك يتعقبونني باستمرار ....

المسؤول : انهم ينفذون الاوامر ...

المتهم : من الذى يصدر أوامر التضييق على الناس؟

المسؤول : انها اوامر عليا ...

المتهم : أنا لا أستطيع التنفس .! متى تكفون عن مراقبتي .. رجالك يطوقون بيتي ليل نهار .. لقد احتلوا الحديقة وأجزاء كبيرة من المنزل .. لم يبقوا لي الا غرفة واحـــــدة ...

المسؤول : ألا تكفيك ؟

المتهم : طبعا لا تكفيني ، أنا أريد منزلي كاملا والحديقة أيضا ..

المسؤول : هل تريد ان يبقى رجالنا في العراء .. نحن نفعل ذلك لحمايتك ..

المتهم : أنت كررت ذلك أكثر من مرة .. أقول لك ابعد رجالك عني .. لقد كادوا أن يتسببوا في قتلـــي ..

المسؤول : لقد اعتقدوا ان لصوصاً هاجموا البيت ، فأطلقوا الرصاص في الهواء ..

المتهم : ولكن أنا الذى أصبت ، وليس اللصوص ..

المسؤول : كانت رصاصة طائشة .. لقد جاءت سليمة على كل حال .. احمد ربك انك لا تزال حيـــــا ....

المتهم : ولمن ستوجهون تهمة محاولة اغتيالي ..؟

المسؤول : لقد حفظت القضية .. لا يمكن أن نتهم أحد رجالنا بمحاولة اغتيالك .. بينما هو يحاول حمايتك .. ألا تعلم .. نحن نتعرض للمخاطرة في سبيل المحافظة عليك ؟

المتهم : (يبتسم في سخرية مريرة)

المسؤول : سنأخذ منك بعض الاقوال .. قل لي .. هل لك اعداء ؟

المتهم : باستثنائكم .. ليس لي اعداء ....

المسؤول : أنت تتهمنا بالعداء لك .. بينما نحاول ان نكون أصدقاء لك .. مطلوب ان تتعاون

Digitized by Birzeit University Library

معا في سلام ....

المتهم . حقـــا ..

المسؤول : نحن نتغاضى عن كثير مما تفعله ضدنا .. وما زلنا نمد يد الصداقة لك .. بينما ترفض حتى ان تسلم علي ....

المتهم : ابعد رجالك عني .. ثم تحدث عن الصداقة ...

المسؤول : لا أستطيع .. انا ايضا ، أتلقى الاوامر ، وانفذها .. أنا عبد مأمور .. ثم لماذا تريدني أن أبعدهم عنك مع أنهم يريدون حمايتك ....

المتهم : أنا لست بحاجة الى حماية أحـــد ..

المسؤول : كيف تعرف ذلك ؟ اذا تعرضت لاذى .. فسوف نتهم بالتقصير في حمايتك .. وستكون أنت أول من يتهمنـــا .....

المستهم : قلت لك أنا لست بحاجة لحمايتكم ..

المسؤول : نحن نعرف صالحك أكثر منـــك ..

المتهم : اذا كنتم تصرون على ذلك ، فأنا بحاجة الى حماية منكم ..

المسؤول . لاحظ كلماتك .. أنت تتهمنا للمرة الثانية ..

المتهم : أنا أرفض الوصايـــة ..

المسؤول : انهم يرجونك أن تحرص على حياتك .. هناك خطر يتهددك أن تصرفاتك تسبب لنا الاذى .. ولك أيضـــا ..

المتهم : أنا لم أطلب سوى أن أكون حرا في بيتي ..

المسؤول . أنت لا تستطيع ان تكون كذلك .. سنجد لك شقة تسكنها في مكان آخر .. حيث لا يستطيع أن يصل اليك أحـــد ..

المتهم : أنا لا أقبل بديلا عن بيتي .. حتى ولو مت فيه ..

المسؤول : ألا تعتقد ان ذلك ممكن الحدوث ؟

المتهم : اذا مت سيبقى لابنائي من بعدي ..

السمؤول : ما زلت أعرض عليك الانتقال الى مكان آخر .. ستوفر على نفسك مشقة كبيرة .. وتوفر علينا مسؤولية حمايتك ، وحماية البيت ..

المتهم : أنا لا اكلفك بحماية بيتي .. أنا سأحميه بنفسي .. عليك فقط ان تبعد رجالك عن بيتي ..

المسؤول : طلبك مرفوض .. (وبعد لحظة صمت) واذا أصررت على موقفك .. سنأخذ البيت عنوة ..

المتهم : لن يكون ذلك الا علي جثتي .

المسؤول : لا تجبرنا على اتخاذ اجراءات قاسية ضدك ..

(يستدير المتهم محاولا الخروج دون ان يلقي بالاً للتهديد)

المسؤول : انتظـــر ..

المتهم : (ملتفتا) أنا أدخل عندما أشاء وأخرج عندما أشاء ..

المسؤول : هذا أمـــر ..

المتهم : انا لا أتلقى أوامر من أحد ..

Digitized by Birzeit University Library

المسؤول: أنت تعصي أوامرنا أيضا.. أستطيع أن أقدمك ـ بسبب ذلك ـ للمحاكمة..

المتهم: بامكانك أن تفعل ما تشاء..

المسؤول: انتظر.. (يرن جرس الهاتف) نعم.. انه يرفض (صمت) نعم.. فهمت..
(يخرج المتهم) لقد خرج..
(يدخل المساعد الاول)

المسؤول: (لمساعده) نفذ الخطة رقم (٢)

المساعد (١) نعم.. حاضر..
(يخرج، وبعد لحظات يدخل المساعد الثاني)

المساعد (٢) ستسمع بعد قليل عن حادث دهس..

المسؤول: أنت متأكد من ترتيب الامور بالشكل الصحيح؟!

المساعد (٢) مثلما أنا متأكد من وجودك أمامي..!

المسؤول: ولن يكون هناك أي خطأ كالمرة الاولى؟

المساعد (٢) كن واثقا من ذلك..

المسؤول: لا أريد ان يسبب لي ذلك تخفيض في الرتبة أو عزلي من منصبي.. لقد جاهدت حياتي كلها للوصول اليه..

المساعد (٢) اذا أقصوك، فسوف يقصونني أيضا.. انه مصيرنا معا (تسمع أصوات صاخبة وزامور سيارة عنيف، ثم صوت احتكاك شديد وفرملة، وصراخ وهياج. الرجلان يصغيان بانتباه شديد ثم يسمع نقر على الباب ويدخل المساعد الثالث ملهوفا)

المساعد (٣) لقد قتل الرجل. (ثم مستدركا) أعني انه دهس..
(المسؤول يتنفس بارتياح.. ثم تبدو عليه مظاهر أسف وحزن غير حقيقي).

المسؤول: لقد كان رجلا، وخصما يستحق الاحترام.

المساعد (٢) (للمساعد الثالث) ماذا يقول الناس؟

المساعد (٣) لم ينتشر الخبر بعد.. لنعرف رد الفعل عند الناس.. ولكن الذين شاهدوا الحادث قالوا.. سوء حظ.. قضاء وقدر..!

المسؤول: لن يتهمنا أحد بقتله.

المساعد (٣) عندما كان يقطع الشارع.. مرت سيارة مسرعة، فهرسته تحت عجلاتها..

المساعد (٢) لقد استرحنا منه..

المسؤول: (مفكرا وعلى وجهه انفعال غريب) لا أدري ان كنت سأحس بالراحة فعلا.. أخشى ان يظل شبحه يقلقني الى الابد..
(الصمت يلف الثلاثة مع لحن جنائزي كأنها فترة حداد)

المساعد (٢) (بعد انتهاء فترة الصمت) نحن كشعب متحضر.. لا نملك الا ان نأسف على موته.. حتى ولو كان عدونا..

المسؤول: أخشى أنها عقدة الذنب.. هل كان من الضروري أن يموت. لكي نعيش نحن؟

المساعد (٢) أنت تعرف ان وجوده خطر على كياننا.. اما نحن أو هو.. ان نكون أولا نكون.. لا خيار لنا فيما فعلناه..

Digitized by Birzeit University Library

المسؤول : هذا صحيح .. لو بقي حيا .. فانه سيقوى، ويجمع من حوله الاصدقاء والمؤيدين.. وعند ذلك لن نستطيع مواجهته .موته راحة له.. ولنا.. على الاقل.. يجدر بنا أن نحزن قليلا لموتـــه ..

المساعد (٢) هذا واجبنا..

المسؤول : ولكن يجب أن يكون موته حقيقة حتى يكون لحزننا معنى ..

(ثم فجأة ،كأنما يراوده خاطر مباغت .يلتفت الى المساعد الثالث ويوجه له الحديث) هل تأكدت من وفاته ؟

المساعد (٣) رأيت دماءه تغطي الرصيف..

المساعد (٢) (وهو يهم بالخروج) سأتأكد من ذلك بنفسي ..

(يدخل المساعد الاول : المسؤول ينظر اليه مستفسرا).

المساعد (١) لقد تفتت جسده اشلاء ..

المسؤول : هل رأيت ذلك بنفسك ؟

المساعد (١) (بخوف واشمئزاز) لم يخدعني بصري أبدا..

(يدخل المساعد الثاني)

المساعد (٢) منظره يثير الحزن والاشمئزاز حقا ..

المساعد (١) رأيت أمواتا كثيرين .. ولكن ليس كمثله .. كان نيظر الينا وهو ميت..كأنه يتهمنا ،وعلى شفتيه ابتسامة متهكمة..

المسؤول : لا تقل أنك خفت من نظرة انسان ميت.

المساعد (١) (متظاهرا بعدم الخوف) خضت حروبا كثيرة، ولم أخف.! (ثم وكأنه يخاطب نفسه) .. ولكن عينيه كانتا تدوران في محجريهما وتلاحقاننا أنىّ ذهبنا..

المسؤول : لا تقل انه لم يمت

المساعد (١) (في تشكك) لا أظن ذلك.!

المسؤول : ماذا تعني ؟

المساعد (٣) هل بدأت تختلط عليك الامور ؟

المساعد (٢) لقد أرعبك الحادث فلم تعد تعي شيئا ..

(المسؤول ينظر الى المساعد الثاني والثالث كأنما ينتظر مزيدا من التأكيد)

المساعد (٣) . هل أنا اعمى ؟ لقد رأيت السيارة تمر من فوقه .. حتى ان قدميه انفصلتا عن جسده ..

المساعد (١) : (محاولا ان يستعيد ثقته بنفسه) نعم .. هرست جسده كله .. ولكن عينيه لم تموتا .. ربما تنظران الينا الان من مكان ما ..

المساعد (٣) : لقد مات أمام ناظري .. لم أحضر الى هنا الا بعد ان أغمض عينيه مودعا العالم ..

المساعد (٢) : لقد رأيت أنا ذلك أيضا ...

المسؤول : (للمساعد الاول) ألم تقل أن بصرك لم يخدعك ابدا ، وان جسده تفتت آشـــلاء ..

Digitized by Birzeit University Library

المساعد (١) : أنا قلت ذلك ؟ .
المسؤول : (ممعنا فيه النظر) هل عرضت نفسك مؤخرا على طبيب ؟
المساعد (١) لا ..
المسؤول : أظنك بحاجة الى ذلك ..
(المساعد الاول يقف مبهوتا ويلتزم الصمت)
(يدخل رجل رابع .. يقف في وسط الحجرة كالمصعوق)
الرجل الرابع (يتحدث بصعوبة) انه قادم ..
المسؤول : مـــن ؟؟
المساعد (١) (خائفا) أنت لا تقصده على ما أظن ..
المساعد (٢) من سيأتينا في هذه اللحظـــة ؟؟
المساعد (٣) لعله أحد الصحفيين ،يريد بعض التفاصيل عن الحادث .. أو لعله يريد منا تعليقا على الموضوع ..
المسؤول : اطرده .. لسنا في حال تسمح لنا بمقابلة صحفيين ..
الرجل الرابع (ينظر اليهم مبهوتا وهو ينقل بصره فيما بينهم) عم تتحدثون ؟
(يسمع وقع خطوات صلبة آتيه نحوهم)
ها هو قد وصـــل
(يشتد وقع الخطوات)
المساعد (١) يبدو كأنه أكثر من شخص .. انه جمهور من الصحفيين .
المسؤول : اطردهم .. لن أقابل أحد .. الان ..
الرجل الرابع:ليس هناصحفييون في الخارج ..
المسؤول : أفضل .. لن نستطيع ان نعطي اى تصريح قبل أن تصلنا أوامر جديدة .
الرجل الرابع:أنتم لا تدعونني أتحدث بما عنـــدي ..
المساعد (١) (بهيئة مشوشة) ليمت في صمت .. لن يدرى أحد بموته .
المساعد (٣) لن يسألنا أحد عنه .. لا علاقة لنا بالامر .. والافضل ان لا تعطي أى تصريح ..
المساعد (٢) سيعلم الناس بالامر آجلا أم عاجلا .. (ثم متوجها الى المسؤول) أنا من رأيي أن تنشر له نعيا في الصحف . سيشكرنا العالم على حسن موقفنا منه .
المساعد (١) رغم أنه كان دائما يعلن عداءه لنا .. فهذا لا يمنعنا من التأسف عليه .
المساعد (٢) (محاولا اقناع المسؤول) هذا موقف يليق بنا .. هكذا يتصرف الناس المتحضرون ..
المسؤول : ما أجمل أفكارك أنت سوف أقدم توصية بترقيتك أنت أيضا . انك تجيد عملك وتحسن تنفيذ الاوامـــر ..
(أصوات الخطوات تخفت ثم تتلاشى)
الرجل الرابع أقسم بالله .. أنا بدأت أفقد صوابي .. لا أستطيع ان أصدق أنه ميت .لقد رأيته بعيني يسير على قدمين من جديد .(ثم كمن يحدث نفسه) هل يمكن أن يكون ما رأيته شبحا .. شبحا يقوم من مكان سقطته .

Digitized by Birzeit University Library

المسؤول : (للرجل الرابع) عمن تتحدث أنت ؟
المساعد : (للرجل الرابع) ماذا جرى لعقلك أنت أيضا ؟؟
الرجل الرابع: من يكون اذن الشخص الذى رأيته قادما ؟؟
المساعد (٢) (ينظر الى المساعد الاول والرجل الرابع) هنالك من رجالنا من لا يستطيع تمالك نفسه أمام الموت..
المساعد (٣) لنسرع بنشر النعي .. قبل ان ينعاه أصحابه.. ستكون هذه لفته كريمة سوف يقدرونها لنا..
المسؤول : لا مانع لدى من ارسال اكليل زهور الى جنازته..
المساعد (٢) هذه فكرة رائعة.. لا يخطر على بال أحد أنك ستفعلها..
المساعد (٣) ما رأيك لو سرت في جنازته أيضا.. سر على رأس الجنازة كأنه صديق عزيز فقدتـــــه ..
المساعد (٢) وهكذا سيتقدم الناس لتعزيتك أنت.. ألم يكن صديقك أيضا !! ؟
الرجل الرابع (في همس كأنما يحدث نفسه) يقتلون القتيل ويسيرون في جنازته.
المسؤول : (منتبها) أظنني سمعت هذا المثل من قبل..
المساعد (٢) أنا سمعته أيضا .. انه من امثالهم المشهورة ..
المساعد (١) (في غباء) من هم !؟
المساعد (٢) ألا تدري عمن نتحدث .؟
(تسمع طرقة عنيفة على الباب)
المسؤول : (منزعجا) من يكون هذا الوقت الذى يطرق بابنا بهذه الشدة ؟
الرجل الرابع : (في اضطراب) أظنه وصل .. أو ربما كان ينصتّ الينا..
(يلتفتون اليه في استغراب وتساؤل)
الرجل الرابع: ليفتح أحدكم الباب.. أنا لا أحتمل النظر اليه (يبتعد قليلا ويشتد الطرق على الباب).
المسؤول : (لمساعده الثاني) انظر من يكون .. ولا تسمح له بالدخول .. انتظر.. أقول لك.. خذه الى السجن كائنا من يكون.. سنحاكمه بتهمة..
المساعد (٢) الاخلال بالامن..
المساعد (٣) اقلاق راحة المسؤولين..
(يفتح الباب بعنف ويطل منه المتهم)
الرجل الرابع الشبح .. الشبح..
(تمتد عصا أو عكاز طويلة تخبط الارض، ثم عصا أخرى تضرب الارض ثانية.
الرجال الخمسة مبهورون ،ينظرون الى القادم في خوف وعدم تصديق)
المسؤول : من ؟ أنـــت ؟
(يدخل المتهم وهو يسير على قدمين من حديد. وقد اكتسى جلده صلابة وقوة وازدادت نظرته حده. يتوكأ على عكازيه، خطواته عنيفة تدق الارض بشدة. يتراجع الرجال الخمسة أمامه. يقف المتهم في وسط الحجرة ينظر الى

Digitized by Birzeit University Library

الرجال الخمسة واحدا بعد آخر .وكل من ينظر اليه يدير بصره ــ وهو يتراجع ــ باحساس من الذئب والخوف) .

المسؤول : (بدهشة وخوف) أنت حي ثانية ؟

المتهم : (يدقق النظر في المسؤول وهو يقترب منه ويرفع عصاه في وجهه بحركة اتهام .. ويتحدث بصوت عميق بارد) فعلتموها ثانية؟؟

المسؤول : (مذهولا) هل أنت حقا ما أراه ،أم شبحك هذا ؟؟

المتهم : هل فقدت حاسة التمييز ؟؟

المسؤول : كيف ذلك ؟ (ينظر الى الرجال الاربعة) لا أستطيع أن أصدق . ألم تقولوا .. ... (ولا يكمل جملته) .

(الرجال الخمسة تتحرك شفاههم ،وتسمع أصوات عميقة وجلة مترددة ،تبدو وكأنها صادرة منهم ،ولكنها تأتي من مكان ما وراء المسرح .)

ــ هذا رجل بسبعة أرواح !

ــ انه لا يموت ..!

ــ الملائكة تحرسه !

ــ انه أقوى من الموت .!!

(صمت ثقيل ثم يتحدث المتهم)

المتهم : (للمسؤول متى تكف عن الأعيبك السمجة؟ أنت تعرف أنك لن تستطيع أن تميتني .. لماذا هذه المضيعة للوقت ؟.

المسؤول : ولكن أنت ضيعتني !! لماذا لم تمت؟ لا أستطيع ان أعيش... اذا لم تمت أنـــت ؟.

المتهم : ولكنك تعرف أن بامكانك أن تعيش أنت .. وأعيش أنا أيضا اذا ابتعدت عني . اذا أعدت لي حقي ..

المسؤول : (في خوف وتخاذل ،والمتهم يقترب منه ويحدق فيه النظر)

ابعدوه عني .. لا تقترب .. ليعطني أحدكم ماء

(الرجال الاربعة يتهاوون ويتوارون وراء المقاعد)

(المتهم يزداد تحديقا في المسؤول بعينين مثل الحجر كأن شرارا يتطاير منهما أو أن سهاما حادة تنبثق منهما لتخترقا قلب المسؤول) .

المسؤول : ماذا حدث لي؟ دقات قلبي ترتفع .. (يضع يده على قلبه) لا استطيع ان أحتمل .. انه يذبحني .. أكاد أهوى .. أحس أن هوة عميقة تبتلعني .

(يتهاوى على المقعد وهو يقول) . لقد قتلتني (يحاول النهوض فلا يستطيع . يعيد ثانية لقد قتلتني .. (تخمد حركته ..)

(يظل المتهم واقفا وحده على المسرح .. يرفع عكازته باشارة النصر وهو يواجه الجمهـــور) ..

المتهم : كل من يحاول ان يميتني سوف يمـــوت .....

****

Digitized by Birzeit University Library

المجال الحيوي ونظرية الأمن

عندما بدأت المانيا النازية في الظهور كقوة اقتصادية ـ عسكرية في الثلاثينات من هذا القرن راحت تبحث عن المبررات للعدوان والتوسع وعلى رأس تلك المبررات جاءت نظرية "المجال الحيوى" التي اعتبرت اوروبا الشرقية مجالا ضروريا للتوسع الاقتصادى الالماني وخاصة أن أفريقيا وآسيا كانتا خاضعتين للنفوذ الاستعمارى الانجليزى والفرنسي ....

Digitized by Birzeit University Library

وفي سبيل تأمين المجال الحيوى كان لا بدّ من استخدام القوة العسكرية لتحطيم استقلال شعوب أوروبا الشرقية. ولكن استخدام القوة العسكرية اقتضى حملة تحريضية أيديولوجية قومية. وكان لا بدّ من خلق.. صورة العدّو" لدى الفرد الالماني. وبما ان القوة الرئيسية في أوروبا الشرقية كانت دولة يحكمها حزب شيوعي (الاتحاد السوفياتي) رسم النازيون البعد الاول لصورة العدو وممثلا في الشيوعية. ولقد انبثق العداء للشيوعية من التناقض الاقتصادي والايديولوجي مع الرأسمالية الالمانية والدولة ايضا. حيث أن باقي الدول المجاورة لالمانيا لم تكن شيوعية جاء البعد العنصري لصورة العدو ليغطي جميع شعوب اوروبا الشرقية والعالم. فجاءت مقولة تفوق الجنس الآري عالميا وتفوق العنصر الجرماني ضمن الشعوب الآرية لتضع الشعوب السلافية والاقليات العرقية والدينية في المانيا وحولها في مصاف الكائنات تحت ـ انسانية فبحشو هذه الافكار وادخال هذه الصورة لعدو المانيا في ذهنية الالماني أرادت النازية ضمان أن يقدم الجندى الالماني على القتل دون تردد أو وخزة ضمير لانه يقتل الروسي او البولندى انما يقتل وحشا او حيوانا يتواجد في مجال "الشعب الذى لا حدود له" .

مع بدء الاستيطان الصهيوني في فلسطين ولدت نظرية "الامن" الاسرائيلية التي أخذت تتبلور ودائرتها تتسع بقسط كبير من التماثل مع نظرية المجال الحيوى المذكوره أعلاه . فبينما كان أمن المستوطنة يعنى حدودها التي يكتشفها رجل يجلس على برج مرتفع في وسطها بالعين المجردة ومجال هذا الامن لا يتعدى مجال بندقية انجليزية قديمة. نرى مجال الامن الاسرائيلي يمتد اليوم ليشمل سيناء ويمتد حتى القصر الجمهورى في بيروت بل يتعدى ذلك ليمر في دمشق وشرق الاردن كاملا بواقع ان اسرائيل تمنع أى تواجد عسكرى عربي ذى قيمة هناك. ولقد أظهر تدمير المفاعل النووى العراقي ان مجال الامن الاسرائيلي يغطي الوطن العربي كله..

ان التطبيق الاخير لنظرية الامن في لبنان يلقي أضواءا على اسلوب التوسع الاسرائيلي والذرائع الواهية المتبعة في تبريره

فكما ان البيان العسكرى الاوّل الذى صدر عن اذاعة الرايخ الثالث في برلين عند بدء غزو بولندا عام ١٩٣٩ تضمن نصا يقول: "الان تقوم قواتنا بالردّ على اطلاق النار"، كان غزو لبنان في البلاغات العسكرية الاسرائيلية "ردا على اطلاق النار" في جبهة شهدت واحدا من أنجع التزام بوقف اطلاق النار على مدى عام كامل .

فذريعة اطلاق النار على السفير الاسرائيلي في لندن لا يفوقها صفاقه سوى ذريعة مرور سيارة عسكرية اسرائيلية على لغم مزروع داخل الحدود اللبنانية. فحيث لم تثبت مسؤولية الفلسطينيين او العرب عن حادث اطلاق النار في لندن وحيث المصادر الاسرائيلية ذاتها تتهم جهات ليس لها قواعد في لبنان بل وتفيد بأن قيادة الجهات المتهمة مطاردة من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ،هدف العدوان الاسرائيلي الاخير، فان الذريعة الثانية لا تختلف عمّن صفع شخصا واتهمه بأن وجهه صدم يده وآلمها.

وتحقيقا لنظرية الامن الاسرائيلية هذه لم يكن الغزو المسلح هو آخر حلقة في اجراءاتهم بل الشرط الضروري لتنفيذ المخططات التالية اذ باخضاع الارض العربية تبدأ "منطقة الامن"

Digitized by Birzeit University Library

في التحول الى "مجال حيوى" لاسرائيل . ولعل في اغلاق الموانئ اللبنانية بعد الاحتلال وتحويل طرق الاتصال الخارجي الى اسرائيل وفي ملايين الدولارات التي أدخلت الى اسرائيل نتيجة لاخضاع السوق اللبنانية أحدث مثال لذلك .الاستيطان ومصادرة الارض وما فيها من ثروات طبيعية كالمياه وكبت التطور الاقتصادى والصناعي هي من وسائل تحويل المناطق المحتلة الى سوق للبضائع الاسرائيلية وسكانها الى أيدى عاملة رخيصة في المشاريع الانشائية والانتاجية الاسرائيلية او تدفعهم الى الهجرة من "أرض اسرائيل" . وبهذا يتم التطابق بين "منطقة الامن" و"المجال الحيوى" ...

بالاضافة الى هذا المجال الحيوى الضيق أى الخاضع للسيطرة العسكرية المباشرة فان استخدام السكان وبعض الارض رهائن لفتح السوق العربية الواسعة امام رأس المال الاسرائيلي بوساطة اتفاقيات "سلام" على غرار الصلح المصرى ـ الاسرائيلي هو وسيلة أخرى لتوسيع المجال الحيوى الاسرائيلي .

فهل يستنتج من هذا ان اسرائيل على استعداد وفي جميع الاحوال "لمقايضة الارض بالسلام" او التخلي عن "المجال الحيوي الضيق" لصالح "المجال الاوسع" والممثل في السوق العربية ؟ لا اذ ان هناك علاقة تكاملية بين التوسع العسكري والتوسع الاقتصادي. فبقاء أرض عربية تحت النفوذ الاسرائيلي هو تلويح دائم بالقوة التي تحافظ على السوق المفتوحة وتضمن استمراريتها .

حتى الارض التي تتخلى اسرائيل عن وجودها العسكرى فيها تتركها لصالح القوة الامبريالية الاكبر كترك سيناء لصالح القوات الامريكية وابقائها منزوعة السلاح المصرى او التخلي عن بيروت لصالح قوة حلف شمال الاطلسي ـ وعلى أية حال فان المصالح الاقتصادية الاسرائيلية يجب ان تبقى مضمونة كبترول سيناء بعد الانسحاب وتحت جميع الظروف . وضمانا لذلك كله ـ الامن والمجال الحيوى ـ تعتمد اسرائيل تفوقا عسكريا على الدول العربية مجتمعة بما فيها مصر التي دخلت (رحاب السلام) ...

وعلى صعيد الممارسات التي صاحبت حرب اسرائيل ضد الفلسطينيين في لبنان فان الكثير من الخطوط المتوازية مع الممارسات النازية في اوروبا يمكن مشاهدتها من قبل المراقب العادى للاحداث .

فرفع شعار "تدمير البنى التحتية" لمنظمة التحرير وكثافة استخدام السلاح المضاد للافراد كالقنابل الانشطارية والعنقودية والتركيز على تدمير مخيمات اللاجئين الفلسطينية لا يمكن ترجمتها الا بشعار يقول بتدمير وإبادة الشعب الفلسطيني ويوازي شعار "الحل النهائي" للمسألة اليهودية الذى رفعه النازيون . اذ ماذا يعني تدمير البنى الاساسية أصلا ؟ طرق المواصلات، الموافق الاقتصادية والمؤسسات كل هذه بنى أساسية في دولة وهي في لبنان لبنانية وليست فلسطينية أما بالنسبة لمنظمة التحرير فبناها الاساسية تتشكل من القوى البشرية التي تدعمها . وتدميرها يعني تدمير الشعب الفلسطيني الذي يشكل الاحتياطي البشري لها .

انّ وضع أسرى الحرب الفلسطينيين في معسكرات اعتقال ورفض معاملتهم كأسرى حرب هو تمييز في معاملتهم كما ميّز هتلر بين أسرى الحرب من ناحية والمعتقلين اليهود والسياسيين والرّحّل أثناء الحرب العالمية الثانية ان اطلاق النار على من قبل انهم حاولوا الهرب من معسكر أنصار يذكر بالاعداد

Digitized by Birzeit University Library

الهائلة من القتلى الذين ادّعى النازيون قتلهم اثناء محاولة الفرار.انّ شبح "انصار" يجب ان يروّع كل من نجا من معسكرات الاعتقال النازية ليرى ابناءه واحفاده يقومون بنفس الممارسات في الخمس الاخير من القرن العشرين .

فدلالة أنصار واطلاق النار على المعتقلين لا تقل عن دلالة صبرا وشاتيلا وان كان حجم الضحايا اكبر غير ان مذابح صبرا وشاتيلا أبرزت خطورة اليمين الفاشي بغض النظر عن هويته القومية ."فعروبة"اليمين اللبناني لم تمنعه من ذبح العرب الفلسطينيين .

لقد نشرت "الجروسالم بوست" بتاريخ ١٨ تشرين اول ١٩٨٢ مقتطفا من دراسة حول العربية ـ اليهودية في القدس جاء فيها ان التجار اليهود يحجمون عن تسويق البضائع العربية على عكس التجار العرب في القدس الشرقية تجا ة البضائع اليهودية. وقد ضربت مثالا على ذلك السجائر المصنعة في القدس الشرقية والتي وصفت بأنها لا تقل جودة عن السجائر اليهودية. ولدى قراءة هذه الدراسة تذكرت "مبدأ العمل اليهودي" الذي كان مطبقا في المستوطنات اليهودية في أوائل القرن والقاضي بعدم السماح للعرب بالعمل في المستوطنات وعدم الاتجار معهم بهدف تطوير اقتصاد يهودي يقوم على عاتق العامل اليهودى بدافع تخليص اليهود من "الطفيلية الاقتصادية" التي كانت تلصق بهم وتفرض عليهم في اوروبا .

والسؤال هو هل الظاهرة التي تحدثت عنها "البوست" هي امتداد لمبدأ العمل اليهودى سيء الصيت ، والذى مهما كانت دوافعة ـ لا يختلف عن الشعارات النازية التي كانت تقول : لا تشتر من اليهود ؟

وفي الجريدة نفسها لفتانتباهي غياب دور السينما العربية في القدس من قائمة دور السينما التي هي بمثابة اعلان مجاني لهـا وهذا امر غريب وخاصة عندما نأخذ بنظر الاعتبار اصرار السياسة والاعلام في اسرائيل على ابراز وحدة القدس ـ فهل هذا نوع من المقاطعة الاقتصادية التي انتقدتها الصحيفة ذاتهـا ؟

تحرص البرامج التربوية والتعبوية في اسرائيل على رسم صورة العدو في ذهن الفرد الاسرائيلي .فما هي ملامح هذه الصورة؟

ان اهم ملامح صورة عدو اسرائيل هو ذلك العالم العربي الواسع بملايينه الكثيرة مقابل اسرائيل الصغيرة. فالكثرة العربية خطر ولكن التفوق النوعي اليهودي هو السلاح المضاد الذى يراد تنميته وصقله بابراز خطر الكثرة العربية . والقوة الكامنة في الكثرة العربية هي المحرض الدائم الذى تستخدمه اسرائيل لشن الحروب الوقائية .

"السرطان العربي" في جسم اسرائيل هو نموذج آخر . والسرطان يعالج بالاستئصال الجراحي والكبت الدائم لنموه كمصادرة الارض العربية وتشجيع الحد من النسل ومنع بيع الارض للعرب كما اقترح (لينغ) ذات يوم "والسرطان العربي" يستحق ان تطبق عليه قوانين الطوارئ التي وضعها بيغن نفسه بالنازية عندما طبقت على اليهود ..

والصورة الاخيرة للعدو التي يرسمها حكام اسرائيل تتمثل في دولة فلسطينية تقوم على أى جزء من فلسطين او حسب تعبيرهم "أرض اسرائيل" اذ يصورون قيام الكيان الوطني الفلسطيني بأول الطريق لالغاء الكيان الاسرائيلي .ومن البدهي ان النجاح في رسم صورة تهدد الكيان الاسرائيلي من اساسه هو وسيلة تحريضية من الدرجة الاولى ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. ومن يملك تصورا كهذا عن الخصم لا يتردد في اتخاذ اى اجراء للقضاء على ....

Digitized by Birzeit University Library

"الجزء الثاني"

"الفصل الرابع"

القاسم المشترك بين ...

واقعيّة الصعاليك و الواقعيّة الجديدة

بقلم
ابراهيم جوهر

ليست المقارنة هنا، أو البحث عن القاسم المشترك، ضرب من العبث. فالواقعية الجديدة لها جذورها المتينة والممتدة الى عصور طويلة في القدم، بدأت منذ بدأ الانسان يفكر ويبحث فيما حوله من هذا الكون ويجتهد في التفسيرات المختلفة وينتهج مبادئ فلسفية بأشكالها البسيطة.

ويقول حسين مروه في معرض حديثه عن الواقعية الجديدة:

"ان مجرد تسميتها" بالواقعية الجديدة" يتضمن الاشارة الصريحة الى تعدد مراحل الواقعية، والى تطور مفهومها عبر هذه المراحل في الوقت نفسه.. وهذه الاشارة الضمنية الى تطورها تحمل أيضا في مطاويها فكرة الحركة والنمو وقابلية التكيف تبعا لحركة الحياة والمجتمع في مدارهما التصاعدي".(١)

والواقعية الجديدة، مهمة صعبة المنال، بقدر ما هي ضرورية للادب واستمراره وفائدته

Digitized by Birzeit University Library

للمتلقي . ولكن السؤال المشروع الذى يطرح هنا هو :

ما العلاقة بين واقعية أدب الصعاليك والواقعية الجديدة ؟

وبأى وجه حق يجوز للدارس ان يتناول هذين الموضوعين ، على تباعد الفترتين الزمنيتين بينهمـــا ؟

ويكفيني هنا عناء الاجابة عن مثل هذه الاسئلة حول العلاقة بين "الواقعية الجديدة" وكل جديد (والصعلكة هي حركة اجتماعية جديدة) ،

وكل ما يحمل بذور المستقبل (من الماضي) ، الناقد الهنغارى جورج لوكاتش ، حيث يقول في مقابلة له مع "غوركي ـ " :

"انها ـأى الثقافة ـ فوق كل شيء ، ادراك العظمة الانسانية ، والقدرة على رؤية هذه العظمة أينما تظهر في الحياة ، ولو كانت مستتره ناقصة الشكل لم يكتمل بعد تعبيرها الواضح .. انها القدرة على تكشف نمو الانسانية وممارسة تجربتها بتفهم داخلي ، وانها القدرة على استشفاف كل من أولى مظاهره ، كل ما يحمل بذور المستقبل (٢) .

والصعلكة ، الظاهرة والشعر ، حملت لنا بذور المستقبل بالفعل ، فكانت التعبير الاول لرفض التسلط والاستغلال . صحيح انها لم ترسم معالم المستقبل ، وهي غير مطالبة بهذا في ذلك العصر الا انها قدمت لنا نموذجا حيا على ارادة الانسان ـ تلك الارادة التي لا تقهر اذا ما تراقفت مع العمل والمثابره بالاضافة الى هاد مُلهِم حيث تتعزز هذه الارادة الانسانية أكثر وأكثـــــر .

"والواقعية الجديدة " ـ تستلهم كل خبرات الشعوب التي سلفت وتجاربها ومعارفها الثقافية والفلسفية وتهتدي بها بعد ما تطوّر ما هو ايجابي ومفيد منها . وقد جاءت النظرية الماركسية ـ اللينينية لتخلق لها الاطار الحيوى الذى يمدها بالحياة باستمرار مما أكسبها هذا الاسم وبالتالي استحقتـــــه .

أما عند الصعاليك فقد نشأ ما يشبه" النظرية "الفطرية التي تنشد الحرية والانعتاق والمساواة الاجتماعية والاقتصادية ، ولكنها لم ترفض لمجرد الرفض ـ كحركة عشوائية ، تخبطية يحركها شعورها بالنقص أو الخمول ـ انما وضعت "البديل" ، ولو ان هذا البديل جاء على شكل غير محدد ولا مبلور بشكل ناضج .. ومرة أخرى أقول بانها غير مطالبة بذلك ، فتكون من هذا المنطق ، حركة اجتماعية ثورية ، حسب المفهوم الحديث للثورية والموقف الثورى لدراسة التاريخ وفهمة ، والذى لا يطالب باسقاط متطلبات العصر الحاضر وضروراته على الماضي أو مرحلة من الماضـــــي .

يقول الشنفرى في اللامية :

" في الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متعزّل "

انه شعور فطرى ، صادق ، وحس انساني سلمي بالرغم من استخدام ظاهرة العنف (القتل ـ النهب ـ والاغارة..) والتي كانت الاساليب المعتمدة في ذلك العصر والمقاييس الثابته للرجولة الداعية للمفاخـــرة..!!

Digitized by Birzeit University Library

هذا ما أدلى به الشنفرى ،ويجيء حديثا الكاتب عبد المطلب صالح ليقول :

" ان الاديب الحقيقي هو الذى يشعر بمسؤولية تجاه أحداث زمانه ،في وطنه وفي العالم ان هذين المفهومين مترابطان لا غنى للواحد منهما عن الاخر. وقديما قال أرسطو، انني أثيني ولكن وطني هو العالم ـ" (٣)

وكان الفيلسوف الالماني كارل ماركس قد قال قبله : "٠٠ ان الاديب الحقيقي هو الذى يمسك بالاشياء من جذورها . وجذر كل شيء بالنسبة للانسان هو الانسان ٠"

لا تدعو هذه الاقوال الى الغربة عن الوطن ،كما يقال٠٠ أو كما قال عبد الله بن جعفر لمربي أولاده عندما طلب منه ألا يروّيهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

ذريني للغنى أسعى ، فاني رأيت الناس شرهم الفقير

ولكنها شعور رفيع بالمسؤولية وتوجه صادق نحو المشاركة الجماعية. "فوطني هو العالم" كما قال أرسطو قديما ـ تدعونا للغيرة على مصالح الانسان والتضامن معه في كل مكان من هذا الوطن ـ العالم ،بينما يشير قول الشنفرى المذكور (وفي الارض منأى٠٠٠) الى وجود مكان آخر ،وانسان آخر أيضا هو لا شك مثله ،يبعد هذا الاذى الواقع ،ولا يفسّر هذا القول بالهـــروب ٠

وعطفا على مـا مضى ، تقول كلمات نشيد الاممية :

لا لا تسألنـي عن عنـواني أنا كـل العالـم لـي عنـوان
لا لا تسألنـي أبـدا أبـدا أنا بيتـي في كـل مكـان

تهدف الواقعية الجديدة الى "٠٠ الذود عن قضايا الانسانية المحوقة المعذبة المناضلة دوما في خضم جدلية الصراع ، والمجاهدة لتحقيق عالم أفضل" ٠ وهي تركز على المجموع ،على الناس ،الفقراء ـ والعمال منهم ـ كما انها تحارب الفردية والتفرد والانعزال والجمود والخمول والكسل ،انها واقعية العمل والفعل الثورى ٠ فالبطل في الواقعية الجديدة جماعي ،من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، جماعي في همومه ومشاكله ومعاناته وطموحاته وأيضا في حلوله واقتراحات حلوله لهذه المشاكل جميعها ،يفهم التاريخ ، تاريخ الشعوب وقضاياها فيثق بالنصر الحتمي٠٠ وهو لذلك يسربله التفاؤل ٠

هذا هو بطل " الواقعية الجديدة" ،ولكن واقعية الصعاليك تركز على الفرد ،وهو الشكل الاول للتطور اللاحق ٠٠ وتروى بعض الروايات أنهم كانوا يجتمعون ويشكلون ما يشبه الكومونة التعاونية . انه الوعي الفطرى الاول للمجتمع الاشتراكي اذا !

وفيما يتعلق بالفقر ،الذى اكتسب الصعاليك لقبهم منه ، فان تشابها كبيرا نلمسه في مسألة محاربته والقضاء عليه ولكن باختلاف الوسيلة ووضوح الهدف الابعد ، بتحصيل الحاصل ، اذا ما جازت لنا المقارنة ٠

فالواقعية الجديدة٠ تشترط الالتزام والتوجه الهادف الى التغيير ،أو أنهما يفرزانها بالاصح ،وهي ـ الواقعية ـ عند الصعاليك في أدبهم وحياتهم ناجمة عن ظروف حياتهم العامة والخاصة ٠

Digitized by Birzeit University Library

ولكن الصعاليك في أدبهم ،لم يقدموا لنا المستقبل الذى يريدونه . فقد رفضوا الواقع الذى عاشوه ولم يكتفوا بذلك بل "عملوا" حسب ما تمليه عليهم ظروفهم الخاصة وأدبهم أدب رافض لهذا الواقع ويضج بالاحتجاج عليه . ولا نستطيع تلمس البديل لهذا الواقع المرفوض عندهم الا في حالة واحدة ،وهي اعتبار نقيض الواقع هو المطلب.وهو كذلك .

" الفصـــــل الخامس "

أثر شعـــــر الصعاليك
في الشعـــر العربي لاحقـــــا

أود الاشارة أولا الى جانبين ،قبل خوض غمار هذا الموضوع الذى يحتاج الى دراسة خاصة تتعمق فيه وتجلو كافة جوانبه ــ وهي كثيرة ــ ، أحدهما : ان هذا الموضوع يحتاج الى دراسة خاصة تأخذ ،بعمق ،جميع جوانب ومظاهر التأثر والتأثير من هذا التراث الغني ومدى الاستفادة منه . وثانيهما . يتعلق بالاشارة الى تأثير الحياة الجاهلية على حياة من أتوا بعد هذا العصر بكثير . فهذا مالك بن الريب ــ الشاعر الاسلامي ــ في احدى قصائده التي يرثي فيها نفسه ، يحنّ الى حياة الصعلكه ، فيقول :

ألا ليـــت شعرى هل أبيتنّ ليلـــــةً بجنب الغضا أزجي القلاصُ النواجيـــا
فليت الغضـا لم يقطع الركب عرضـه وليت الغضـا ماشي الركـاب لياليـــا

وهذان أيضا أبو نواس وبشّار بن برد يفتخران بأصولهما العجمية ومرّ معنا قول الشنفرى للصبية التي ضربتـــه :

(أنا ابن خيـــار الحجـــر بيتا ومنصبا وأمي ابنة الاحـــرار لو تعر فينهـــا)

ولعل الذى دفعني هنا لاثبات هذا الجزء من هذه الدراسة المتواضعة ،ما وجدته اثناء الاعداد والتجميع لمناقشة موضوعة الصعلكة وشعرهم ،من اشارات وهوامش دالّة كل الدلالة على مدى التأثر أو توارد الخواطر نتيجة للعيش في حياة وواقع لا يختلفان كثيرا من حيث الاضطهاد والاستغلال ... ، ومن ذلك :

يقول الشاعر الفلسطيني ،أحد شعراء المقاومة ، توفيق زياد :

" فلتسمع كل الدنيا ...
فلتسمع ...
سنجوع .. ونعـــرى ...
قطعا نتقطـــع
ونسقّ ترابـــك
يا أرضا تتوجـــــع
ونموت ، ولكـــن ...

Digitized by Birzeit University Library

لن يسقط من أيدينـــا
علـــــم
الاحـــــرار
المشـــــرع ." (٤)

وفي مكان آخر يقول :

" فارفع صوتك يا شعبي الحيّ
يا عامـــل
يا كـــادح...
يا انســـان ..
ارفع قامتك المنتصبـــة
تتحدى أعداء الانســـان ." (٥)

يظهر المقطع الاول ارادة التحدى والثقة بالنفس ـ بالشعب.بالجماهير ،هذه الثقة التي لا تحدّ . والثقة نفسها (بالنفس) يوردها الشنفرى في قوله :

وأستـــق تـــراب الارض كيلا يرى لـــه عليّ مـن الطّول امـــرؤ متطـــوّل

أما في المقطع الثاني من قصيدة توفيق زياد ،فيظهر التوجيه الهادف والداعي الى الوقوف في وجه أعداء الانسان والتحدى ، وكأنه يقول :

يا كادح ـ يا ثورى لا يرضى الذل ـ أيها الشنفرى ـ أيها السليك ـ يا "أم العيال" (٦)
ويا أبا الصعاليك ..(٧) ارفعو قاماتكم وانتصبوا في وجه الطوفان .. و"انفخوا في الصور وامنعوهم من أن يسحبوه من أيديكم ." (٨)

ان الذين يتحدثون عن الشعر المقاوم ،ويغمطون الصعاليك حقهم ،يرتكبون ذنبا عظيما.

أما الشاعر الفلسطيني الكبير ،سميح القاسم ،فقد أدرك بحسه الواعي مدى تأثير الصعاليك وضرورة دراسة واقعهم فكتب سربيته "انتقام الشنفرى" مدللا بذلك على أحد جوانب توافق بعض احداث الثورات الاجتماعية مهما بعدت المدة الزمنية بينها من جهة ، وعلى ارادة الانسان ،وعظم تأثيرها حيث ان الشنفرى "حلف" الا يقتل منهم ـ من أعدائه مئة ، فقتل تسعة وتسعين ،و"قتلت" جمجمته بعد مقتله ـ العدو المئة !!!

تتكوّن سربية الشاعر الكبير "سميح القاسم" من أحد عشر نشيدا وأغنية وملاحظة ،هي قصيدة "صعلوك" حديث ـ انسان " حديث" ـ مناضل ... يقول :ـ

"أيذكرّني الشر بالشر ؟
لا بأس .. حسبي شبعت على مسغبة
وحسبي رضا الضبع والسيد والبيد
والامم الرثة المتربة
وحسبي " أم العيال " الروّوم
وذكر الصعاليك والاغربة .. أيذكرني الشر بالشر ؟
لابأس
مما وهبت أردُّ الهبة .

Digitized by Birzeit University Library

غبـنت أهنت لعنت طعنت وأمّت يمين القبائل وجهي
وباحت بسري امرأة
" اذا ما أروم الود بيني وبينها
يؤم بياض الوجه مني يمينهـــا "
أقيم هجينا وحرا أهيم
وهذا صراطهم المستقيم
أهذا اذاً شرفي عندهم ؟
وهذا اذا قدرى عندهم ؟
يمينا .. يمينا / هو الثأر يقسم لن أرجئه
سأقتل منهم بما استعبدوني مئة
سأقتل منهم مئة
وأقتل أقتل منهم مئة !"

ونلاحظ أن هذا "النشيد الاول" من سربية سميح يضج بالحياة التي عاشها الصعاليك ، وانه يعيش أجواء تلك الحياة عيشة كاملة ، بالقصة ـ قصة موت الشنفرى وقتله لاعدائه والحقد النافر من بين الكلمات ، والتعابير الجاهليةـ القديمة التي ترصّع هذه المقطوعة .

ولطرافة القصة وقرب موضوعها من الاذهان لم يعد هناك أى غموض في المعنى .

ولكن لماذا كتب سميح هذه السربية "العجيبة" والموفقة ؟ يجيب بنفسه :

" أيذكرّني الشر بالشر ؟؟"

وفي النشيد الحادى العشر من السربية نفسها يقول :

"أخاطبكم من رماد العصور وصحراء أحزانها المجدبة
أنا الشنفـــــرى
رسول الصعاليك والاغربة
بعثت لانقض مجد الاباطل من أسه
لأحرق يابس ليل الطواغيت والاخضرا
لاسحب ـ من أنفه ـ عالم العسف والمعصيات
الى شمســـــه
أنا الشنفـــرى
حبيب الاناشيد ، طفل المآسي ، يتيم البراءة
رفيق شقوق الجدار
وعشب البحـــار
وشوق المـــدار
الى شرفات السماء المضـــاءة
أنا الشنفـــرى
شهيد الصعاليك والاغربـــة
وسر التفجر عفوا

Digitized by Birzeit University Library

وروح الهدوء
وكفارة الانفس المذنبة.
أيذكرني الشر بالشر؟
لا بأس
مما وهبت أرد الهبة
أنا الشنفـــــرى
نذرت لورد الرضا والسلام
بميني وسيفي وقوسي
وعبوة حزني وبستان شمســـــي "

ونلاحظ هنا ،أن الشنفرى،عند سميح ،هو كل شيء .. فهو "سر التفجر عفوا/ " وهو أيضا "روح الهدوء" ويحمل في داخله أضداده وهو الرمز للتحرر .
واذا تابعنا "النشيد" عند سميح ،نرى كيف يتصاعد الرمز،ليصير الشنفرى :

".....
على كل خارطة شنفرى
وفي كل أغنية شنفرى / وفي كل أغنية شنفرى
ومن كل مجزرة شنفرى /
ومن كل مجزرة شنفرى
يموت بحد الحسام ويحيا بحد الحسام
واني لانذر من غضبي وانتقامي
ومن غضبي وانتقامي
ومن غضبي
وانتقامـــــي .." (٩)

واننا نلاحظ هنا ،كيف حوّل سميح "الشنفرى" الى رمز للثورة والانعتاق من الظلم ،الى التحرر والاستقلال على مختلف الاصعدة الاجتماعية والسياسية.....
واذ أطلت من الاستشهاد بالسريبة ـ فذلك فرضه موضوعها نفسه .
أما الشاعر الاردني ،مصطفى وهبي التل ، والذي يسمى عند بعضهم ،شاعر النور،فكانت لديه روح المساواةوالسخط على التمييز والاحتكار والغش والخداع والعيوب الاجتماعية والسياسية الاخرى،وله أشعار مطوّلة عن المرابين والمستغلين صيغت بروح من السخرية ذات نكهة محببه ،يقول :

قولوا "لعبّود" عـــل اللـــه يشفيني ان المرابين اخـــــوان الشياطيـــن

وفي قصيدة أخرى له يقول :

بين الخرابيش لا عبـــد ولا أمـــــة ولا أرقاء فـــي أزياء أحـــــــرار
الكل فـــي مســـــاواة محققـــــة ولا احـــتراب على قـــرش أو دينـــار

Digitized by Birzeit University Library

وله أيضا في الشعر السياسي ،فضلا عن الاشعار ذات التوجه الاجتماعي والاقتصادى

وفي القدس،صدر مؤخرا ديوان جديد بعنوان "صعلوك من القدس القديمة" (١١) ، يذكر فيه الشاعر حالة البؤس التي يحياها في ظل الاحتلال ،ويعدد بعضا من ممارساته ضد القدس والاماكن المقدسة ، ويظهر بشكل صريح مدى تأثير الشاعر فيه بالشاعر الاردني "عرار" الذى سبق ذكـــــره .

وهو،وان كان تأثر بالصعاليك وشعرهم من ناحية الاحتجاج على الواقع ،فيظهر ميله وانحيازه الكامل لهم من اسم الديوان"صعلوك من القدس القديمة" فانه ينحاز بذلك الى جانب الصعاليك ــ الفقراء ، أصحاب المصلحة الاكيدة في التغيير والثورة من أجل المساواة وكنس الظلم والظالمين .

الخـــاتمـــــة

قبل الشروع في تثبيت النتائج أود التأكيد بأن بعض الاسئلة التي أثيرت داخل غرفة الصف ، من مثل مدى العلاقة بين الماضي والحاضر، وعلاقة قول ارسطو بأدب الصعاليك والادب الحديث... ،وذلك أثناء عرضي لهذا الموضوع في الخامس من آذار الماضي ،أقول بأن مثل هذا النهج الذى لا يرضى النظر في الماضي ودراسته ومعرفة مدى تأثيره على الحاضر أو تأثر الحاضر به ، نهج ضار ويؤكد الوصول الى نتائج سلبية ،بل وخطيرة على صعيد حياتنا الثقافية والحضارية.

وانني ،وان كنت عالجت ،متسرعا هذا الجانب في المكان الذى أثرت فيه بعضا من الاسئلة (تحت عنوان القاسم المشترك بين واقعية الصعاليك والواقعية الجديدة) لاورد ايضا تعريفا أعجبني للتراث اورده الشاعر عبد الوهاب البياتي في مجلة "فصول" العدد الثاني حيث يقول:" التراث هو ما كان وما هو كائن وماسيكون" .ومن خلال ما سقته مـــن استشهادات بسيطة حول مدى تأثر شعرائنا المحدثين بالشعراء الصعاليك تظهر ضرورة دراسة هذا الموضوع بعمق أكثر .

وحديثا ،نعرف الابداع بأنه الاتيان بجديد ، وهذا ما نستطيع ان نسحبه على شعر الصعاليك. انهم شعراء أبدعوا شعرا جديدا ،وهذا الجديد يستحق الاهتمام لانه مصدر لاعتزازنا نحن العرب به ، ومصدر لاعتزاز كل الثوريين لانه تراث ثورى يهمهم .

ومن خلال ما استعرضته في هذه الدراسة أستطيع أن ألخص معادلة الشعر عند الصعاليك بالتالـــــي :ــ

الابداع والصدق والجمال الفني والرفض والاحتجاج بالاضافة الى عدم وجود الصنعة أو التصنّع ــ هذه هي معادلة الشعرعند الصعاليك .

وشعر الصعاليك ،شعر يندرج ،بجدارة ،تحت لواء المدرسة "الواقعية القديمة" وهي الشرارة الاولى للهيب المدرسة "الواقعية الجديدة" الذي يعمي أبصار كل اتباع المدارس

Digitized by Birzeit University Library

المثالية أو المدارس التي تدور في فلك اللاواقعية ولا تنزل عن كبريائها لتعترف بذلك . فمعروفة هي مثل هذه الافكار التي تحاول القول بالادب للمجتمع أم الادب للحياة ،ويقود الدكتور لويس عوض لواء مثل هذه الانحرافات .

واخيرا ،كلما استمرت عجلة الحياة بالدوران ،وطالما بقي هناك ظلم واستعباد وفقر.. فلن يموت الصعاليك ، وسيظل ينبت في كل يوم جديد صعلوك بل صعاليك جدد.....

وحتى اذا انمحت ألفاظ مثل "الصعلكة" و "الفقر" و"الصعاليك" من قواميس الاطفال والناس،فان هذه الكلمات لن تنمحي من قواميس الدارسين ،ولا يجب ان تنمحي أيضا لانها آنذاك ،ستصبح تراثا للبشرية تستفيد منه في مجالات شتى ....

ان شعر الصعاليك ،يستمد حيويته المتجددة باستمرار ويفرض احترامة لصدقه الفني ، وواقعيته ،وانهم (الصعاليك) بذلك يستحقون الخلود لنيلهم شرف البدء في السير على هذه الطريق ، طريق الصدق والثـــــورة .....

القدس في : ١٩٨٢/٥/٢٦م ..

المراجـــــع والمصـــــادر

١ ـ د. (ضيف) شوقي . الفن ومذاهبه في الشعر العربي . دار المعارف بمصر .ط ٧

٢ ـ (الاصبهاني) أبو الفرج . الاغاني ، تحقيق عبد الستار فراج . دار الفكر للجميع بيروت سنـــة ١٩٧٠ .

٣ ـ (فروخ) عمر. تاريخ الجاهلية . دار العلم للملايين . سنة ١٩٦٤ .

٤ ـ (القيسي) نوري حمودي . الفروسية في الشعـــــر .

٥ ـ (المحاسني) زكي . دار المعارف ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ .

٦ ـ (كيلاني) محمد سيد . مختار الشعر الجاهلي . المكتبة الشعبية ـ بيروت .ج٢.

٧ ـ (أدونيس) علي أحمد سعيد . مقدمة لدراسة الشعر، منشورات الاسوار سنة١٩٧٦

٨ ـ (صالح) عبد المطلب . دراسات في أدب الواقعية والواقعية الاشتراكيـــــة . منشورات البيادر سنة ١٩٧٧ .

٩ ـ (العالم) محمود أمين . الثقافة والثورة . دار الاداب سنة ١٩٧٠ ط ١

١٠ ـ (وكاجان) غروموف . وظيفة الفن الاجتماعية . دار ابن خلدون .

١١ ـ (مروة) حسين . دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي . بيروت سنة ١٩٧٦ . ط ٢ .

١٢ ـ (خليف) فتحي . الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .

١٣ ـ (زياد) توفيق .سجناء الحرية وقصائد ممنوعة اخرى . مطبعة الناصرة سنة ١٩٧٣.

١٤ ـ كتاب "المهرجان الوطني الاول للادب الفلسطيني في الارض المحتلة (١٩٨١).

١٥ ـ جريدة الاتحاد . (عدد الجمعة أواخر شهر كانون الثاني ـ ١٩٨٢.

١٦ ـ (البكرى) فوزى . صعلوك من القدس القديمة . القدس ـ سنة ١٩٨٢ .

Digitized by Birzeit University Library

كل ضحية وانتم بخير

شِعر

فوزي البكري

ودار.. ودار.. ودار الفلك
وعيدان في الافق العربي
يضجان قتلا وشعبا ضحايا
ورتل من الاغبيـــاء
يقدم كل التهاني .. وكل التماني
ويصرخ كالكلب : يحيا الملك
فكـل ضحية .. وانتم بخير ..
ففي الفطر عشرون ألفـــا
وفي وقفة الحجّ خمس ونيّـف
فسبحان مكة ساحات حـــرب
مذابـــح .. تترى
شاتيـلا .. وصبـرا.. قصر منيف
ولكن هو العيـــد
كل ضحيّـــة .. وانتم بخيـــر
وبلّغ الى البعث نصف التحايـــا
وضاعف على العلوييـــن
ان شئت بعض الهبـــات
وبعض العطايا
فيكسون زوجاتهم المحصنـــات
تيابا من اللاجئات السبايـــا
أليس هو العيـــد ؟
كـل ضحيّـــة .. وانتم بخيـــر .
صارت نخبا في كل كؤوس العرب
دماؤك يا شعب فلسطيـــن
طين .. طينٌ... طينٌ... طين
والمجدُ الملكـيّ المترهّـل
في عانـــة جارية
يتباهى بالفتح الاسلامـــيّ
ومعركة الناصر في حطّيـــن
طين ... طين . طين... طين

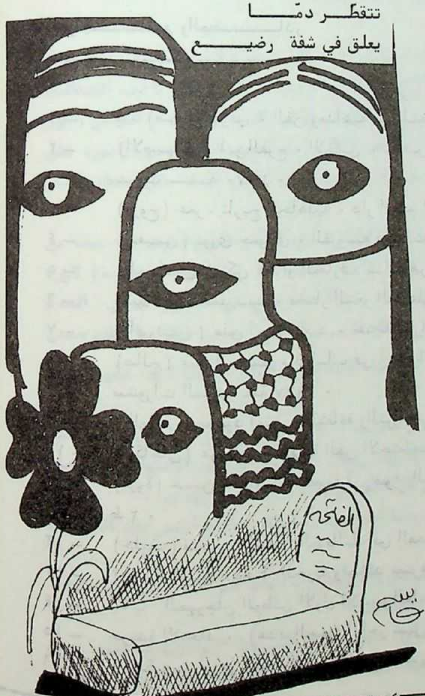

Digitized by Birzeit University Library

ضيع ... ضيع ... ضيع
والمرصوفون كمـــا الاخشاب
على قمة فـــاس
زعموا أنّ حقوق الشعب المذبوح
على ركب جواريهـــم
ما كانت لتضيـــع
ضيع .. ضيع .. ضيع
أين قراصنة العصر المشؤوم
أروني أقبح من هذا الطاقـــم
أو اكثر منه شنيـــع
ولكن هو العيـــد
كل ضحيـــة .. وانتم بخيـــر..
ببيروت داليـــة..
اينعت الفوسفور عناقيـــدا...
والرأس الملكيّ تأنّـــق
في مخدعه الامريكيّ عقالا ذهبيّـــا
وعشية عيـــد الغفران
هناك روؤس في تلّ أبيب
تلبس من نشوتها تاجا توراتيا
تبعث للعدل وللسلم نبيّـــا !
ولكن هو العيـــد..
كل ضحيـــة.. وانتم بخيـــر
فاخر يا شـــرق
فقد أصبح في آفاقك نجمان
فيتام ليست واحدة
فالشرق الان فياتنامان
نحن اذا باهى الغرب
بأن حضارته القتـــل
فان حضارتنـــا
حبّ الانسان أخاه الانسان
ولكن هو العيد..
كل "قضية" .. ونحن بخير
صليب الكتائب
هل انت حقا صليب المسيح؟
وهل جا عيسى بغير المحبّـــة
هل جاء عيسى بغير السّـــلام ؟
وهل جاء عيسى بقتل النساء
وقتل الاجنّـــه
أم جاء دين المخلّـــص
الا ليرفع فينا لواء الوئام ؟
سلام عليه
نبيا يضحّي بزاك من الروح
يثبت بالفعل قول الوصايا
بأن لا تعيثوا فسادا
على الارض بين الانام
ولكن هو العيد
كل ضحيـــة .. وانتم بخـــير
هنـــا في الخليل
هنـــا في الجليل
هنـــا في المثلث
أو في القطاع
هناك بصور .. هناك بصيدا
هناك ببيروت أو في البقـــاع
برغم المذابح رغم المجازر
شعبي سيبقـــى
ويقلب للقهر ظهر المجـــنّ
ويلبس للقمع جلد السباع
ويصرخ في وجه كلّ الطغاة
أنا الحـــقّ
والحق أقوى واكبر
من أن يراع ومن ان يضاع
ولكن هو العيـــد
كل ضحية ... وانتم بخير....

× × ×

ضغطوا أزرار الرشاش الحاقد
فاستيقظ من رقدته الموت
ولم يتحرك للخائن جفن ضمير
قام المارد مجنونا ـ لحظة سطوته
يحرق أطفال الثورة
والليل الانسانيّ ضريـــر
مسكين رادار الانسانية
لم يكشف حجم المجزرة

Digitized by Birzeit University Library

ولون بشاعتها
الا في فصل جاء أخيرا
أو شبه أخير
ولكن هو العيد
كل ضحية... وانتم بخير
والملك الايلوليّ النسبة
يدهن بالقران اذاعته
حزنا وحدادا...
لبنان مجزرة.. مجزرتان ...ثلاث ..عشر
لكن مجازرك ـ المكشوفة ـ
تربو عن سنواتك في السّدة تعدادا
انظن جلالتك
بأنك لن تكتب
في صفحات التاريخ سوادا ؟!
ولكن هو العيد
كل ضحية ...وانت بخير.
يا أطفال الار..بي.. جي
يا أطفال الكتيوشا...
يا من قاتلتم
أعتى من ساقوا لقتال الاطفال جيوشا
أتسا ل....
كيف اذا دارت دائرة الايام
تدكّون على الجلادين
قصورا وعروشا....
ولكن هو العيد
كل (قضية) ..وانتم بخير
أنهار.. أنهار.. من دمّ
يسبح فيها الصمت
وسلاطين الرجعية عورات
تتدهّن بالزيت
وحجيج حول الكعبة
يدعون بأن يحفظ من سحلوهم
ربّ البيت
اصبحنا في عصر السّكته
ما سوشيين

نلذ بضربات السّوط
ونرفع بالشكر الصوت
هل هذا عيد.. هل هذا فرح
هل هذا وعي.. ام هذا الموت ؟
موت.. موت.. موت.. موت
ولكن هو العيد
كل ضحية .. وانتم بخير

يا شعراء الارض المحتلة
لا ترثوا شهداء المجزرة
فانّ أحق المقتولين رثاء
أخلاق الفُعْلة
وأحق الاحياء رثاء
جيف تتعطر بمديح
من شعراء القصر
وأقلام الشعراء النّذله
واذا نكتب بعد اليوم رثاء
فلنرث الجزّارين القتلة
واذا كان العيد
قصيدتنا العصماء
فكل ضحية .. وانتم بخير
انّ دماء الحيض
اذا نزّت من أرحام فلسطين
تشرفهم
زعماء .. امراء .. روساء
أشباه رجال
لكنّ الشمس الشعبيّة
لا بدّ ستحرقهم
والحرب سجال
ما دام جنين
في بطن امرأة من جبل فلسطين
ينادى من حجب الغيب
أنا آت يا أمّاه
أقود الى النصر الاجيال...
ولكن هو العيد
كل ضحية.. وانتم بخير..

Digitized by Birzeit University Library

إلى .... الحب الدائم

الى داود العطاونه

ماجد
أبو غوش

تجوب جميع الطرقات
تقرع كل الابواب
تدخل من بيت لبيت
توقظ العيون النائمه
تنبه للخطر القادم .

× × ×

أشرعت ذراعيك
وناديت بملء الصوت
الارض.. العرض.. الارض
فرددت جبال الخليل
نداك
وجاءت اليك

× × ×

تحاصرك الطلقات
تحاول أن تطفيء آملا
تحكيه لنا عيناك
تحاول أن تطفىء
وجها أسمر
تعرفه الارض
وتعشقه الفتيات

× × ×

الطلقة تعدو خلف الطلقه
ورفيقي يعدو
خلف سوسنه حالمه
تعدو خلف صباح ماطر

× × ×

يتناثر دمك
يصير سنابل
تصير قمر (بيت كاحل)
يأتي بدرا كل مساء
تصير الاقحوان
تتطاول في أرض
تعبق بالشهداء

× × ×

هذا هو الموت الذى
يزهر فرحا للبؤساء
وقمحا للفقراء
وأغنية للحب الدائم

Digitized by Birzeit University Library

من الأعماق

انصار صامد فرج

العمل التطوعي احد اقوى اذرع الحركة الوطنية في الارض المحتلة،هكذا يقال عنه، العمل التطوعي بمتطوعيه ان لم يكن يوميا مع الجماهير،فهو على الاقل كل اسبوع ،فلماذا لم يكتب التاريخ عن قفشات من بطولات ومآسي شعبنا لماذا لم تسجل "انسانيات" يلمسها المتطوع في القرى والمخيمات والمدن بأحيائها الغنية والفقيرة، هكذا قال زميلي بهدف اعطاء زاوية العمل التطوعي طابع الجذب والحركة والتفاعل.

سنكتب قدر ما نستطيع لاعطاء جماهير شعبنا ما يمكن للكتابة ان تعبر عن تلك القفشات رغم يقيننا أن الكتابة لن تكون امينة على الامانة.لان المشاركة في العمل وروعة الحقائق بوقائعها تطبع في النفس أشياء لا يمكن للكتابة ان تعبر عنها وتعطيها حقها. وطبعا من الجدير ذكره ان هذه الزاوية مفتوحة لاقلام المتطوعين واصدقائهم ليعبروا عن انطباعاتهم.ذات الخدمة العامة والعبر الصالحة للتعميم.

Digitized by Birzeit University Library

في البدايـــــــة

في بداية السبعينات كانت فرق العمل التطوعي تضم في صفوفها بالاضافة للطلبة معلمي جامعات وكتّاب وصحفيين واطباء ،وكان ما يلفت نظر الفلاحين ايضا وجود رئيس بلدية البيرة آنذاك المبعد عبد الجواد صالح بين المتطوعيـــــــن ..

الكل يذكر ذاك الرجل ببدلة"الكاكي" عندما كان يحمل الفأس على كتفه ليحفر مع زملائه أساسا لسور مدرسة الهاشمية الثانوية اقدم المدارس الثانوية في البيرة،أذكر شخصيا عملا اشتمل زراعة الاشجار في الجبل الطويل في البيرة ،كان بيننا ايضا ابو صالح، وأذكر مشاركته للعمل في قطف الزيتون في برهام قضاء رام‌الله وفي نهاية العمل تحدثنا طويلا عن ضرورة تحويل موسم الزيتون الى موسم شعبي تشارك فيه اوسع الجماهير دعما للفلاح كان هذا حلمنا جميعا مثلما هو حلم الفـــــلاح....

حديث ابو صالح وزملاؤه عن توحيد وتوسيع العمل التطوعي ،والحديث عن الفلاح، تحقق الاول منذ عامين ولكن فرحة ابو صالح لم تحتج ولم تحتاج لتصريح عبور، وطمأنته عن موسم الزيتون لن تحتاج لتصريح مغادره فلتطمئن يا أبا صالح فشبيبة الارض المحتلة تحقق بشموخ كل احلامكم ، وهي ماضية لا محال معكم لتحقيق كل الاماني فآلاف الشبيبة عانقت الزيتون هذا العام وعانقت من خلاله الارض والفلاح، وستبقى على العهد... الى ان تعانق الارض من خلال معانقتكم .هنا نعم هنا حيث سيكون الاستقلال والحريـــــة .

عائلة عبد الحميد والقصر

عبد الحميد ليس تركيا، بل المقصود عامل أكثر من ثلثي العام وفلاح بقية العام من قرية سلواد ، قصره ليس كقصور العرب بل مبنى بين زيتونة على بعد خمسة كيلو مترات جنوب سلواد ،مبنى من "دبش" ومسقوف بالخشب والتراب ككل "السقايف" التي كان الفلاحون يقضون ايامهم فيها اوقات مواسم التين والعنب والزيتون .....

Digitized by Birzeit University Library

مشت فرقتنا حوالي الساعة حتى وصلنا الى أرضه ،كانت فرقتنا مكونة من خمسة متطوعيين وهي احدى ثماني فرق. رحب بنا بحراره وتحدث طويلا عن مشاعره،زوجته كانت تخبز "الشراك" على نار الحطب "والصياح" اطفاله الستة أكبرهم احمد في المرحلة الابتدائية.واصغرهم بنت في الثانية من عمرها .يقول عبد الحميد أنهم في هذا القصر منذ ثلاث اسابيع "الحديث في تاريخ ٥ /١١/ ٨٢" وبقي لهم ١٥ يوما تقريبا مساعدة العمل التطوعي يقلص هذا الرقم الى عشرة ايام.

يضيف بأنه يعمل معظم الستة أيام عمل تزيد على ١٢ ساعة " لاستطيع توفير لقمة العيش لاطفالي" ..

فجأة يكشف عبد الحميد قدمه اليمنى مشيرا الى بقعة غير منسجمة مع لون باقي القدم ،قائلا: لقد اخترق مسمار "الكمبريسه" قدمي ،وفي خلف نفس القدم يشير الى مكان دخول مسمار المحراث.

زوجته حضرت تشيل على رأسها سطلا مغطى بقطعة قماش،بعد التحية وبعد ان كسر الحاجز الوهمي وبدأ الحديث بينها وبين المتطوعين ،بدأت تتحدث عن المنطقة التي يعيشون فيها اثناء قطف الزيتون،عند غياب زوجها لاحضار الطحين او لنقل محصول الزيتون الى القرية،تقول: "واد البلاط" اسم المنطقة على طريق نابلس رام الله" معروف بموقع جرائم الزعران،وفيه وحوش ،والله يا شباب ما بتغمض عيني طول ما هو غايب، خايفة من الضبع احسن ما يوكلني اناولولاد.

لن أنس والمتطوعين ان هذا الفلسطيني يمثل الاف المواطنين، لهم صورة واحدة كصورة عبد الحميد رسمت في خيالنا رسمت في ادمغتنا كمبريسة،ومحراث ،ورشه،الارض الجبل والقصر ،الخوف،الضبع،الاطفال ،ولن ننسى طلب الانتساب الى نقابة العمال وطبعا لن نشك بأن الطلب مجرد ورقة ولم نودع عبد الحميد رنه سيبقى بيننا هو وزوجته واطفاله وسنبقى معه..

اطفال الامعري يريدون الخبز.

مع بداية شهر ايلول بدأ المتطوعين مشاركتهم مؤسساتنا الوطنية التضامن مع اللاجئين ،والاحتجاج على مؤامرة قطع المؤن من قبل وكالة الغوث عنهم..

في ١١/٢/ واثناء احتجاج اهلنا بمناسبة وعد بلفور واحياءا لذكرى انتفاضة تشرين التي اتت ثمارها بعزل رمز الادارة المدنية "ميلسون" فرض نظام منع التجول على مخيم الامعـــــرى..

يوم الاحد ٧ أكتوبر ذكرى اعظم ثورة ولدت للتاريخ اول دولة للكادحين هبّ شبيبة العمل التطوعي جنبا الى جنب مع المرأة العاملة والنقابين والطلبة لجمع الخبز لاطفال الامعرى . مستفيدين من تجربة شعبنا في الخليل وبرقا وغيرها من المواقع ،للتعبير عن التضامن بين شعبنـــا ..

دخل الشباب في سيارتين محملتين بالخبز والارز والسكر والباذنجان والمعلبات ارض المخيم . احتشد اهل المخيم ويعني حشدهم بالالاف بعد ان اذيع عبر مكبرات الصوت التابعة للجامع ،عيون الاطفال كانت تحملق في رغيف الخبز، الزحام اسقط المناديل ،الايدى تتشابك لنيل رزمه من الخبز او علب الحمص.يتسرب الى آذانناترغم الضجيج " الله يسعد المرأة العاملة والنقابة والتطوع " "الله يقويهم" ..

لم استطع التعبير عن المنظر بالدموع

Digitized by Birzeit University Library

حاولت تحليل ذلك ،توصلت الى "ان هذا المنظر لا يدل على الحزن ،لا فانه يدل على ان هؤلاء رغم الجوع ، رغم القهر،رغم سقوط المناديل ، سينطلقون من الجوع ضد القهر لاسقاط المشاريع التآمريه عليهم.."

بحماس ناولت عجوزا كيسا فيه اصنافا من الخضار ،توقف التوزيع اندفعنا للحديث معهم ، ماذا سنقول سوى الذى توصلنا اليه وهو الحقيقة: "لا تخرجوا من مخيماتكن الا الى بيوتكم وارضكم لاتيأسوا فالشعوب لن تعرف اليأس ،انتم لستم وحدكم ،فجوعى العالم معكم ، احرارها معكم ،نقاباتنا ، المرأة العاملة ابناءكم المتطوعين قواكم الوطنية كلها معكم ، دولتنا لن تسقط كالمناديل اننا نراها كالجبل كزيتون بلادنا ،اطمئنوا بعزمكم وعزم شعبنا ستقام لا محالة". عدنا من المخيم بعد ان وحدنا الزاد ،وحدنا الجوع جوع الحرية وفهمنا لها ،عدنا والصوره واضحة فلسطينيين بدون مأوى ، فلسطينيين جوعى.. الحل لا يأتي الا من استقلالهم في دولتهم دون وصاية ممن سببوا لهم الجوع والتشرد.

بقرة حمـــدان

لن اعتذر لكل من يتبادر اليه فكرة العنوان من المثل "بقرة جحا" واصر على اعادة العنوان للتذكير ببقرة حمدان ،حمدان يعيل احدى عشر انسانا الان ، آثار التعذيب التي عاد بها الى اهله اهداءا من جزارى "الجفر" تجمعت في قدميه لتحول دون مقدرته على العمل ،ايضا عاد بذكرى سيجاره انتزعها من "محمد رسول" مدير مخابرات الاردن آنذاك تقديرا لبطولته "رغم انك عدوى" .

"تحويشة "العمر اشترى بها بقرة لتعيله واطفاله وزوجته كلما سمنت البقره تحسنت صحة الاطفال ،يمرضون لمرضها كلما رأوا كومه حشيش حملوها للبقرة. كلما مرّوا عبر سوق الخضار حملوا معهم كل ما وجدوه غير صالح للبيع من الخضروات. كلما سألهم سائل كم عائلتكم اجابوه "احد عشر زائد البقرة" لم لا وهي مصدر رزقهم الاساسي ،يبيعون الحليب الجبنة ،يربون وليدها ويبيعوه..

"ماتت البقرة" هذا ما ردده اهل البلده وقع حمدان على الارض ،نقل بعد اسبوع لمستشفى المقاصد اجريت له عملية "انفجرت مرارته" قال الاطباء ان حالات عديدة يحمي الكيس اللحمي حول المراره تسرب السائل الى الامعاء هذا حظ حمدان "، لكن هل سيحمي الكيس اللحمي المراره عن افواه اطفاله ، عائلته.. سؤال مشروع يجب طرحه لا على صفحات الكاتب ، ولا على جدران عمارات الاسكان ،ولا على المصانع الضخمة بالنسبة لاطفاله الفلسطينيين الذين ساهم والدهم مع بقية زملائه في اسطوره سطرها للشعب الفلسطيني التاريخ، شاهدا على بطولتهم والشعب الذى ينتمون اليه...

منع المساعده هي مساعده..

اوقفت حواجزهم المتطوعين منعتهـــم من دخول القرية، الفلاحون الفقراء ينتظرون من سيساعدهم ،انتشر الخبر في القرية بأن العوزي الاسرائيلي المحموله بمساعد مهترئه لم تر في مستقبلها سوى الوقوع في المستنقع منعت عنهم المساعده ، لكن فتاة قالت لوالدها منعوا عنا المساعده في الزيتون لكنهم ساعدونا اكثر في معرفة حقيقتهم التي لن تغطيها البراقع. والمتطوعين في قلوبنا كما نحن في قلوبهـــم ...

Digitized by Birzeit University Library

أعترافك أو جنازتك

عمر عش - غزة

"ارفع ايديك..."

وقفز ضابط من سيارة الجيب العسكرية.. وتلاه السائق.. حشراه بين الجيب وسياج البياره.. نظر سرحان حوله.. الشارع الترابي فارغ .. تمنى لو كان "البيارى" عن قرب ليشاهد ما يحدث.. لكن لا أحد .. ضيق شديد ينتابه.. مرات عديدة شاهدوا بطاقة الهوية في المخيمّ.. نفس الضابط.. نفس السائق . تصور أن الامر مقصود.. مرتب.. تبعاه الى خارج المخيّم...

أخرج الضابط بطاقة الهوية بعد ان تحسس صدر سرحان.. أمره ان يقابل السياج.. اتصالات لاسلكية.. حملاه .. ألقياه في الكرسي الخلفي للجيب.. لم يتصور أنّ الامر سيصل الى هذا الحد.. فهو الذى يهرب من أحداث المخيم.. سرحان السلبي.. البعيد عن الشبهات ـ لا يفارق بوابة المجدل.. الا أيام السبت.. كسر الاضرابات.. وذهب للعمل في ورشهم.. ليسد رمق أطفاله الاربعة.

قفز الضابط الى الجيب .. تحول الى سرحان أقفل نصفه الاعلى بكيس خيش هزّ سرحان رأسه برعب.. صرخ الضابط (نام على بطنك)

وضعوا في يديه رباطا حديديا.. أقفلوا الرباط بمفتاح ..جلس الضابط على ظهره.. أمره ألا يتنفس .. وانطلق الجيب بسرعة جنونيـــــة ...!!

كالحلم المزعج مرّ ذلك.. وفي ثوان معدودات.. جحظت عينا سرحان في ظلام الكيس.. نفخ هواء فمه ليخرج خيط الخيش الذى دخل تحت لسانه.. تخيل ابتسامة الضابط وهو يتنهد بارتياح .. وبلغه عبرية هضمها سرحان بين "السقالات" سمعه يقول :

Digitized by Birzeit University Library

أخيرا وبعد اسبوع مطارده.. أتممنا العملية بنجـــاح ؟...

× × ×

نفذ صبرّ أم وأربعة أطفال. وبعد يأس مرير أخبرت أطفالها ان الاب سيقضي ليلة في الخارج .. خيم الظلام ولم تتوصل الى تفسير مريح لغياب سرحان.. فيوم السبت يقضيه بين جدران الكوخ القرميدى.. يدلل الاطفال .. يطعمهم.. وكان يجب أن يعود بعد ساعة من خروجـــه .

رقدت عيون الصغار.. تحجرت عيناها تتأمل ألواح القرميد الكريهة.. ومع خروج النهار. كان المخيم يحكي قصة "سرحان المخطوف" ..كثرت التبوءات..سرحان وجد مقتولا في الغابة المجاورة للمخيم .. سرحان عثر عليه قطعا على شاطئ البحر..سرحان اختطفه المستوطنون..لكن مخيم جباليا يعلم أن سرحان بعيد عن كل امور الدنيا.. لا يهش ولا ينش.غاص في "السقالات" حتى أذنيه.. لقط مهنة "الطوبار" ..."طوبارجي من السبعة وستين " شال عمارات على ظهره يسحـــب خبز أولاده من "عينين رأسه" .. هرولت الام وأطفالها الى الغابة لمشاهدة الجثة..الى شاطئ البحر لجمع قطع سرحان..وفي كل مرة عادوا في وجوم.. غير مصدقين أن سرحان لن يعود....

× × ×

ثقيل كسلحفاة تافهة مرّ الزمن على سرحان ساعات وايام وقرون .. سيارات تلاقفته.. واحده من أخرى ـ من جنود الى جنود.. اتصالات ودربكة أحذية.. ولم يعلم كم من الوقت مضى حين حمله اثنان.. صعدا به الى أعلى .ثم ألقياه على مكان صلب..

ـ أنت مختطف من قبلنا .. وهذه الشقة لنا..ولن تخرج منها الا بواحده من اثنتين..

اعترافك!! أو جنازتك!! لم يشاهدنا أحد!! لا أحد في الدنيا سيشهد لصالحك.. اعترف أفضل .. وحافظ على شبابك..!!

يد امتدت الى كيس الخيش..الى الكفن رفعته..احتضنت بعض النسمات وجهه .أقفل عينيه .فتحهما.. أربعة جدران.. سقف املس..شباك مُطور..مكان يصلح للسكن.. أمامه ينتصب ..يبتسم كأن لا شيء يحدث.. يجامله..أيعرف هذا الوجه كيف يبتسم؟.. كيف يجامل؟.. اعترافك أو جنازتك!! مختطف من قبلنا .. اى معتوه هذا..؟الذى حدث في الكون ..من أنا حتى يحدث لي كل هذا.. من أى لوح محفوظ بيت هذا الحلم المزعج .. هربت من العالم..لم تتدخل حتى في أهون الاشياء..لقنت أولادك "أن الشاطر من يحفظ رأسه هذه الايام" ..ووصفك الجميع بالجبان ..وكنت تردد "ضايعه ولكة حكم"..والان؟ ..الان يا بطل أنت مختطف كل حكومتهم تهتم بك الان.. سيارات.. لاسلكيات..وشقق وجنود..اسبوع مطارده .. ضباط يتبدلون على أنفاسك..يا للا يا شاطر دبر حالك..وهذا هو أمامك ..ويبتسم.

ـ أتركك دقيقتين..تكون كتبت كل شيء.. وترك ورقة بيضاء وقلم..

الرباط الحديدى يؤلم يا سرحان..يحزّ في اليدين.. وتم شدّ الساقين في السرير الحديدى المجاور بعنف ـ أصبح تمديد الظهر بشكل مستقيم أمنية من أمانيك.. وخوار البقر القريب يؤكد أنك في "مشاف" .. في منطقة سكنية.. بين السكان .. يتم كل هذا بينهم أبناء عمومتنا.. حاجز نفسي كل المشكلة.. عمل بطل سلام وقلم ظهرنا..صبيتهم يلعبون تحت الشباك.. يمرحون.. لا شيء يحدث بجوارهم ..ماذا يخصوص الابناء..لم يتبق معهم الا ليرات قليله.. لن يصمدوا بها

Digitized by Birzeit University Library

الا قليل.. حلمت بمستقبل لهم.. اعترافك او جنازتك.. وبوابة المجدل جزء منك.. من تكوينك عمارات المجدل صعدت على ظهرك. طوبرتها.. ركضت خلف سيارات المقاولين كل صباح تعرفك البوابه والمقاولون.. دفنت رأسك في الذل.. تعلقت على "سقالاتهم" في السماء السابع.. والان؟.. هيا اعترف.. "دهور حالك في مصيبه".. او فلتمش جنازتك.

– اذا لم تكتب شيئا.. لم تعترف.. توكل على اللـــه..

عاد المحقق. واستيقظ سرحان.. التقت العيون.. لم تهتز عينا سرحان..

– ماذا تريدون؟؟.. وأقسم سرحان بشرف أبيه أنه بريء.. تضايق الخواجه.. هزّ رأسه بضجر.. خرج.. عاد ومعه أربعة.. هجم المساعير. لم يكن الضرب يراعي أن سرحان انسان.. أغمى عليه.. أحضروا جردلا فيه ماء بارد.. البسوه في رأسه.. انحدر الماء على جسم سرحان.. وكون بركة صغيرة بجوارة انفتحت عينا سرحان.. شاهد جدرانا أربعة.. شباكا مطورا.. الحلم لا زال.. اعترافك أو جنازتك.. لم يشاهدنا احد.. لن يشهد أحد لصالحك. بصق سرحان في بركة الماء المجاوره رغب أن يتمخط.. لم يستطع.. فرك أنفه بكتفـــه..

– هل تعترف أم تموت..؟.

نظر اليهم ببرود.. أعاد البصق في الماء. سأل "ماذا تريدون"؟ هجموا من جديدة.. انهالت الاقدام... القبضات... اللعنات.. سال الدم من سرحان غزيرا..

× × ×

جنود يدفعون صبية وأربعة أطفال عن مدخل بناية الحكم العسكري.. الصّبية تصرخ زوجها مفقود. تريده.. فقط تريده.. حيا او جثه.. الاطفال ينفذون أوامر الام ولا يفهمون علاقة ذلك باختفاء الاب.. ضرب وصراخ.. تعب الاطفال.. بكوا جميعا.. لملمتهم.. ابتعدت. وساروا على غير هدى....

صعدوا سلما يؤدي الى مكتب محام مشهور.. وقفوا أمامه.. تحدثت عن الفاجعة. عرضت عليه الاطفال.. أخرج من فمه غليونا ثقيلا.. وطلب مائة دينار..

شهقت الصّبية.. وتابع الاطفال حركات الغليون الثقيل.. كانت تريده.. حيا أو جثة فقط تريده.. أخرجت السلسلة من عنقها.. آخر ما تبقى.. ودفعة واحدة.. قدمتها له.. نظر الى السلسلة- قدّرها بتسعين دينارا.. لا بأس.. يكفي.. والتعويض يأتي من أموال الصمود..

× × ×

– يا سرحان ارحم نفسك.. وقصة بوابة المجدل اتركها.. ولا تعيدها على اسماعنا ليس في مخيمكم احد محايد.. يا معنا يا علينا.. لقد كلفنا اختطافك ما يثاقلك شكيلات

– يا ناس والله العظيم...

– وقصة الله كمان اتركها.. انظر هذا هو الله وضعناه في الدرج..؟ وأقفلنا عليه.. خليه يقدر ينفعك!! يا سرحان اعترف.. أو اتفق معنا تعد الى اطفالك..

.. آه يا سرحان.. كم كنت غبيا؟ جبانا؟ انتهازيا؟ أعاد سرحان البصق في بركة الماء المجاورة؟.

حملوه.. علقوه.. أصبح رأسه الى أسفل. ضربوه كما يضرب البهيم.. وكركن حجري لا يتألم.. لا يتوجع.. أوقفوه بالكفن والسلاسل يوما.. يومان.. اسبوع!! لا نوم.. لا أكل تركوه يبول تحته.. مرغوا رأسه في البول.. لكن سرحان لم يعترف.. لانه لا يعرف شيئا.

Digitized by Birzeit University Library

" وان عاد رفاقي من دوني
لا تبكي أبدًا يا حبيبتي .. "

أسامة محيسن العيسة

المكان : بقعة قاحلة في الطريق الواصل بين الدوار الاول ودوار الداخلية في عمـــان ..!

الزمان : ساعة متأخرة من زمن اللاحسب

والشمس في يوم غائم من أيام آذار الحزين .. لم يكن الموقف عاديا ـ حتى في هذا الظرف الغير عادى ـ كما كان يظن .. فقد كانت كل حسباتـــــه .. ..

ـ هل تعرف فلان ...؟

ـ عند من تقيم ...؟

ـ هل لك اتصالات مع فلان من الرفاق !.!

ـ الوضع .. هنا يختلف عن الضفة .احذر

ثم ينتهي الامر ببصقة في وجهه في أسوأ الاحوال .. ،احتراما لصمود الاهل في الضفة والقطـــــاع ....

مضى أكثر من ساعتين على هذه الحال : انتظار خانق .. سجائر .. يسير في الكردور ذهابا وايابا وأكثر ما يقلق صاحبنا "ربيع القرمطي" :الانتظار ،فالانتظار من الامور التي يكرهها ويمقتها وتحمل دلالات ومعاني عنده تسبب له ازعاجا اضافيا ،.. فهي تذكره بالوقوف ساعات أمام مبنى الحكم العسكرى ، ويرمز ـ عنده ـ الى اسلوب "الطبطبة" ومحاولة تمييع الموقف والحقيقة كما تعودنا من أنظمتهم بالضبط ..

لعن في سره جميع الظروف التي جعلته يترك بلده ليجيء الى هذا العذاب المميز .. منذ مجيئه الى هنا بغرض التعليم وتنقله من سفارة الى أخرى ،.. تقفز امامه دائما الحقائق باردة عارية ،وبدون معنى أحيانا كثيرة مثلهم تماما .. فهو يقرأ في عيونهم في كل مكان من هذا الوطن الواسع تلك اليافطة الكبيرة التي كتبت بخطوط صفراء .. كصفار بترولهم :

ـ لا يحق للربيع ما يحق لغيره ..

فكر أن يخرج ـ ولو الى حين ـ من هذا العذاب المر فـأحس بأنه ليس هناك أجمل من ذكر الوطن وتنسم ما يعبق في انفه من رائحته : امه .. رفاقه .. و"جمانة" .. بيت "الزينكو" في المخيم الذى عاش فيه أجمل أيام حياته وأمرها بقرب الاهل .. والرفاق وتمثال "فينوس" الهه الجمال ،.. لقد دفع ثمن حبة هذا غاليا .. مطاردة مزيدا من الاعتقال .. وعشق حتى الثمالة ..

ـ آه .. ما أجمل أن تعيش لحظات الصمود ..

وأمه ـ بسببه كانت تتعرض للمتاعب وسهر الليالي وقلق البال :

ـ الله يوخذكم .. يا رب تنصر الشباب !!

Digitized by Birzeit University Library

وأحيانا كانت تجيء اليه معاتبه:

ـ يا بني..انت وحيدي..دير بالك على حالك.. على الاقل حتى تنتهي دراستك كان يبتسم..أفلا يحق لها ان تكون كأى أم تخاف ... وتحـــب...

ـ أنت أكثر الناس معرفة .. أنني لم أفعل أى شيء يسيء الى أحد.. أنت تعرفين مقدار ايماني بشعبي ورفاقي ..

وعندما أخبرته "جمانة" بأن أمه كانت تضع المتاريس في الشوارع.. تغني وتؤمن مع المتظاهرين.. لم تسعه الدنيا من الفرح وود لو أنها أمامه يشبعها قبلا..

ـ .. آه من وسع عينيك يا أمي عندما تبتسمين وسط هذه الغربة القاتلة...

وأنت يا "جمانة" يا كل الاشياء الطيبة وأجملها، .. كم كان يستحضر وجهها الباسم في ليل الزنازين الشنيع ....

ـ لن يفرق بيننا الا الموت..

ـ حتى الموت..لان موتنا حياة للناس حيث يورق أجمل عشق...

سلاما يا "جمانة" يا فرح الشطآن، يا من حفرت في نفسي، ولم تزل، بئرا من الصمود لا يجـــف :ـ

ـ لا شيء يبرر السقوط...

ـ ان سقطت فلن تكون أولهم، واذا قهرت الصعاب، فلن تكون آخر من يعش ويموت وقوفا

ودائما كانت تتجاوز، فتأتي اليه، وعندما يشكو اليها تضايقه من كلام البعض عنه، كانت تبتسم وتقـــول :ـ

ـ لم يجدوا ما يعيبوه، على الورد فقالوا: يا أحمر الخدين..!!

انتشله من افكاره..، شعوره بوجود أحد معه في ساحة الانتظار، فكانت بشعرها الطويل الذى يغطي جانبا من وجهها ـ متهالكة على كرسي في احدى الزوايا ..يتدلى من عنقها خيط مجدول بعناية..ليستقر عند افتراق النهدين ويرسم شكلا مألوفا تزينه الالوان الاربع ....

حسبها للوهلة الاولى "انشراح" ابنة جيرانهم التي عرفها في سني الطفولة وانقطعت اخبارها منذ حرب الستة ايام، وتمنى لو تكون شقيقة "وجيه" التي تدرس في الخارج ..ولم يزل "جواز السفر" الذى يعود اليها محجوزا .. ولكنها قطعت عليه استرساله في تفكيره..

ـ من لبنان .. من الجنوب..

ـ من الضفة :كافر بالجوع..وآلام البشرية وجواز السفر.!!

كانت ترتسم في الافق علائم التوحد والتجاوز رغم كل أشكال القهر..

حدثها عن "جمانة" ...حدثته عن "احمد" و"خليل" و"غسان"، وكيف فقدت شقيقتها "دلال" في الدامور....

ـ فقدنا الكثير ممن أحببناهم، ..ومن يدرى..!!

ـ شدي حيلك.. كل شيء يجب أن يكون على ما يرام ...

حدثها عن الشعب الصامد في "بيت لحم" و"رام الله" و"الخليل" ، .. حدثته عن حركة الشعب في "صور" و"برج البراجنه" و"تل الفقراء" ...!

ـ يجب ان نعيش لحظات الصمود بكل جوارحنا... واعماقنا..!!

رغم الصوت القبيح الذى ينادي على اسمه... نظر اليها وودعها بابتسامة ولسان حاله يقول :ـ

ـ قد لا أعود .. ولكنني أرى النصر في عيون الرفاق ما دام نهر الاردن يجرى لا مستقرا له .. سلمي على "جمانه"... وبلغيهم قبلاتـــــي....

Digitized by Birzeit University Library

حول كتاب

ساعة واحدة والف معسكر

للكاتب سلمان ناطور

بقلم

شاكر فريد حسن - مصمص المثلث

يعتبر سلمان ناطور من كتابنا التقدميين الذين ساهموا في بناء وترسيخ دعائم الادب الساخر .. هذا الاشعاع الانساني الجديد الذي توهج في الساحة الثقافية الفلسطينية ،والذي ابتكره وطوره كوكبه مشرقة من فرسان القصة الواقعية والادب الهادف في الجليل الصامد ــ امثال اميل حبيبي ، محمد نفاع ،محمد علي طه ،توفيق زياد وغيرهم ليكون سلاحا فكريا ،حضاريا تبارافي ايدي الجماهير الشعبية العريقة ،في معاركها الكفاحية والنضالية ضد الظلم والقهر الطبقي والاضطهاد القومي ومن اجل التحرر والتقدم الاجتماعي والسلام والاشتراكية .

وفي كتابه "النكته العربية" حدد الكاتب والشاعر الفلسطيني المعطاء علي الخليلي ملامح الفن الساخر في الادب العربي عامة ، والفلسطيني خاصة . فقال: "حين يصبح التناقض حادا وعدائيا الى حد انتحاري ، تتحول الكتابة الادبية الشعبية التي تلتزم فضح وتعرية هذا التناقض المهلك الى كتابة ساخرة واعية لادواتها واساليبها المتجددة والمستفيدة في نفس الوقت من جذور اصالتها التراثية في تكريس هذه السخرية ضد الواقع المسيطر ،وبنفس المقدار الذي يغوص فيه الادب الساخر في المرارة والسخط والحزن والعذاب عاكسا وفعلا بأسلوبه الادبي ،المتميز ابعاد المشكلة التي يتصدي لها ، فانه يمتلئ بالامل والعشق والتفاؤل والثورة ،عاملا على توجيه وتطوير هذا التوتر النفسي التقليدي المباشر الذي تخلقه السخرية الحادة الى وعي ناضج يخرج من سجون التراكم الكمي اليومي الى التلهف الهائج نحو التغيير النوعي الشامل .

فالادب الساخر باب كبير لكل الهموم

Digitized by Birzeit University Library

الانسانية التي تخترق عظامنا في الزمن الردئ . وكل زمن هو ردئ بالضرورة طالما يتضمن في باطنه وعدا محتوما بزمن قادم اقدر على توفير الظرف الموضوعي لمقاومته والادب الساخر هو الجزء الفوري من حركة الوعي الشعبي التي تستجيب لتحسس هذا القادم "بكل عنفوانه. وبعد ما يكون ثقل الواقع الردئ ـ شديدة من جهة ـ واستلهام المستقبل الجميل عنيفا من جهة اخرى ، تكون الكتابة الساخرة التقدمية اكثر اصرارا ووضوحا على توفير تلك الخيوط الدقيقة والمتينة التي تربط جدلية الصراع ما بين هذين النقيضين"

وقد استطاع سلمان ان يثبت اقدامه في واحة ادبنا الانساني الواعي من خلال مجموعات هي "انت القاتل يا شيخ ، الشجرة التي تمتد جذورها الى صدرى ، ابو العبد يغازل مدام مندولفتس ، وساعة واحدة والف معسكر .

وتضم مجموعته الاخيرة "ساعة واحدة والف معسكر" ٢٣ لوحة ساخرة ، استقى موضوعاتها من واقع الطبقة العاملة الفلسطينية الاجتماعي ـ السياسي ـ الاقتصادي.. وتتناول حياتها البائسة المعذبة ، وصمودها البطولي وكفاحها العادل في سبيل الحياة الحرة الكريمة في وطنها المقدس. وقد حدد الزمان الذى كتبت فيه هذه المقطوعات للدلالة على اهميتها التاريخية ..وذلك عام ١٩٧٩ "حين كان ابرليخ وزيرا للمالية وعيزروايزمن وزيرا للحربية وموشي ديان للخارجية وشارون للزراعة واسرائيل احتلت المرتبة الاولى في التضخم المالي ، وشعب اسرائيل يهلك لتركيع اكبر زعيم للرجعية العربية ، وعرب النفط يدفعون ثمن هذا التركيع ، وعضو كنيست يقترح تعيين طبيب نفساني لاعضاء الكنيست ، وكمال كيوف يتوجه الى المحكمة ليثبت عروبته ، وفي المثلث ينشط الاخوان المسلمون في محاربة الشيوعية وافراد الشرطة يتظاهرون امام الكنيست مطالبين بزيادة اجورهم وحكومة الليكود تشن حملة شعواء على موظفي ومراسلي التلفزيون بناء على تعليمات روفائيل ايتان الى الصحفيين بأن ينشروا كل ما يزعل العرب ".

محتوى الكتـــاب :

في المقطوعة الاولى يعالج سلمان قضية الفقر الذى ترزح تحته الجماهير الفلسطينية الكادحة..فيحدثنا عن صياد.. رب عائلة.. دائم التفكير بمستقبل اطفاله كيف يقيم لهم بيتا..كيف يعلمهم ...كيف سيشتري لهم الطعام.. ثم يستعرى التاريخ كي يدرك الامور على حقيقتها ، فيقرز عن جيوش الاسكندر المقدوني وجيوش نابليون..وعن الوالي العثماني الذى نظم جيوشة ليحتل منطقة واسعة في خراسان.. لكنه تراجع ولم يستطع الصمود امام جيش خراسان المغوار. وهنا يبدو واضحا ايمان كاتبنا بعدالة القضية المقدسة وتحزبه لشعبه الفلسطيني الذى لا ينهزم ولا يموت ، وسيطلع فجره مهما اشتد الظلام .

وفي اجازة على شاطئ الاسكندرية يتطرق الى زيارة السادات الخيانية لعروس الشرق وعاصمة الدولة الفلسطينية العتيده ـ القدس ـ وتوقيع اتفاقية الذل والاستسلام في منتجع داود .

وفي مقطوعة "هموم بلد وزر" يرسم صورة حقيقية وصادقة لواقع الاضطهاد والاستغلال والاستلاب الذى يرزح تحته العامل ـ البروليتاري ـ .. "انهم يجلسون مع زوجاتهم وصديقاتهم . وانا أعيش وحيدا..في ساعات الليل . وفي النهار يعاملونني كما يعاملون العمال في غزة وخان يونس..اعمل كالحمار دون توقف..ودون شفقة او رحمة واسمع

Digitized by Birzeit University Library

الشتائم والمسبات واقول: تدخل من الاذن اليمنى وتخرج من الاذن اليسرى" (ص٣٤)

وفي "شوش تعلمهم حب الغير" يتناول قضية تثقيف الطلاب اليهود بروح العنصرية والحركة الصهيونية وتوصيات زيولون هامر.

وفي مقطوعة ـعكبرة قرية صغيرة في تكساس ـ ينقلنا في جوله لربوع قرية ـ عكبره الفلسطينية الواقعة في الجليل والتي تعاني من سياسة التمييز والتفرقة العنصرية.. لنرى بأم أعيننا شوارعها وبناياتها وحياة اهلها، الذين يعيشون في جيتو..فيقول: "يا اصدقائي ماذا اقول لكم عن قرية عكبرة الصغيرة الواقعة في ولاية تكساس..ماذا اقول لكم يا ابناء شعب اسرائيل. هل تصدقون انه في دولة متطورةوديمقراطية يعيش يهود في براكيات من التنك.منقطعون عن العالم.. بعيدون عن الحضارة..هل تصدقون ان الاطفال اليهود يشربون مياه المجارى النازلة من مدينة"امريلو" الواقعة على سفح الجبل هل تصدقون ان الاطفال اليهود يتعلمون في خشابية تحرك الرياح جدرانها مثلما تحرك اغصان الشجر.. وفي فصل الشتاء يتساقط عليهم المطر كما لو كانوا يتعلمونتحت قبة السماء.. هل تصدقون ان هناك قرية يهودية لا تصل اليها انابيب المياه.. ولا شبكة الكهرباء ولا التيلفون ولا يوجد فيها مكتب بريد.. ولا حتى مجلس محلي".

وفي مقطوعه"محسن الغضبان يلعن اليوم الذى ولد فيه" يدين الزعامة الدرزية التقليدية التي ترتمي بأحضان مضطهدينا.. وينتقد مخاتير القرى العربية الدرزيةلمنحهم مواطنه شرف القرية لبعض الوزراء خلال زياراتهم لهم.. كما ويبرز نمو الوعي والكفاح بين صفوف الاجيال الشابة الواثقة بنفسها التي بدأت تتصدى لعملاء وخونة شعبنا البطل وتصل السخرية ذروتها في مقطوعة "مزبلة شفا عمر وتلطخ سمعتهم في الخارج التي يهزأ فيها من احدى جلسات الحكومة لبحث موضوع اقترحة وزير الخارجية بعد عودته من هولندا،الا وهو سمعة اسرائيل السيئة في العالم . وفي ختام الجلسة يقر الجميع على ان مزبلة شفا عمرو هي التي تلطخ سمعتهم وتحرض عليهم في الخارج.

وان نسي فلن ينسى مصير قرية المفجر العربية،الواقعة قرب الخضيرة التي اقتلع اهلها وشردوا منها ،لاقامة محطة لتوليد الكهرباء مكانها .فيذكر ذلك على لسان موداعي: "لقد كنا نواجه مثل هذه المشكلة قرب الخضيرة ..هناك توجد قرية عربية لها رائحة كريهة تسمى عرب المفجر.. فقررنا ان نقيم محطة كهرباء ونقلع هذه القرية لنخلص السياح من الرائحة الكريهة" (ص٤٠) .

مقطوعة ـ احكموا على رفيق حلبي بالاعدام ـ تتناول قضية الصحافي العربي اليسارى ـ رفيق حلبي ـ مراسل التلفزيون الاسرائيلي .. الذى اقاموا الدنيا واقعدوها ضده. بسبب تقريره الصريح والصادق عن مآسي ومعاناة الجماهير الفلسطينية ونضالها الوطني المقدس. اما "قضية بلا بداية ونهاية" فتعالج قضية الانسان الفلسطيني الباحث عن هويته القومية. وفي"النبي ليفشش" يبرز سلمان ناطور عداء وكراهية اسرائيل للشيوعية والاتحاد السوفياتي.. والدور القذر للانظمة العربيةالرجعية،التي يقف على رأسها نظام فهد والحسن الثاني وصدام والحسين بن طلال ـ امد الله في عمره ـ .. وموقف حكام اسرائيل من تكاثر نسبة العرب داخل الخط الاخضر . اما تنكر اسرائيل لحقوق الشعب العربي الفلسطيني الوطنية فيعرض اليه في مقطوعة ـ يا ياسر عرفات انزك لهم كوستاريكا .

قضية التجنيد الاجبارى المفروض قسرا

Digitized by Birzeit University Library

على ابناء الطائفة الدرزية ،بموجب صفقه تمت بين الاسياد والخدم .. تعكسها ـساعة واحده والف معسكر ـ . ويذكر فيها بأن شرطة روش بنيا استدعته في احد الايام للخدمة الاحتياطية القسرية وهو يشكل خطرا على امن الدوله. وهذه المقطوعة تنبض بالصدق وحرارة التجربة.. وقد اجاد فيها اجادة.. ووفق في اختيارها لتكون عنوانا للكتاب ....

ـ المميزات الفنية :

١) اسلوب سلمان ناطور في كتابه هذا كرملي ساخر،تغلب عليه البساطة والسهولة،وهو قريب من الذوق الجمالي للجماهير المستلبة الزاحفة نحو الشمس والحرية.. وهذا ما يجعل الشعب يقبل على قراءة الكتاب بشغف كبير.

٢) لغته تتراوح بين العامية والفصحى ..وقد استطاعت ان تقوم بدور المواجهة والتحدى ، والرفض والتعرية ، والتغيير، والثورة،والتوجه نحو المستقبل الجميل عنيفا .. وهو يستعمل بعض الكلمات العبرية ، الشائعةبين عامة الناس

٣) يوظف سلمان التاريخ في خدمة الحاضر واستلهام المستقبل الافضل الاتي حتما.كما هو واضح في مقطوعة ـ الحملة الثانية على مصر، التي يسجل فيها انطباعاته عن زيارة مناحيم بيغن للنظام المصري. وهو يضمن كتاباته بعض الاقتباسات التاريخية .

٤) ابطال سلمان من بين الفئات المنسحقة. وهم يتراوحون بين البطل الايجابي الذى يثور ضد الواقع الاجتماعي ـ السياسي ويناضل من أجل تغييره وبنائه من جديد، كمحسن الغضبان مثلا الذى يلعن اليوم الذى ولد فيه لان والده باع شرف القرية.. بمنحه مواطنه شرف قريته لاحد الوزراء الذي قام بزيارتها مؤخرا. وبين البطل السلبي الذى يقبل بواقعه، واقع الاضطهاد والتمييز ،كشخصية ـ ابو عياش ـ الذى يقول عنه بانه"رجل مربوع القامة، بسيط مثل هالناس،كان فلاحا وتحول في عهد التكنولوجيا و"الديموقراطية " الى عامل يحفر في محاجر "السوليل بونيه" او كما يترجمها حرفيا الى العربية كي تدرج على لسان زوجته "شركة بيزفت ببيني ، وبعد صعود بيغن الى دست الحكم اصبحت ام عياش تختصر الكلام فتقول ان زوجها يعمل في شركة"بيزفت" ولما يضحك السامعون ويسألونها : ولماذا لا يبني؟ كانت تجيب : "أن زوجها يبني لليهود وهم عليها.. صارت حياتنا مثل الزفت مستمرة مقطعة موصلة "ص ٢٧" .

٥) ان الكاتب يهتم بالشكل الادبي على قدر اهتمامه بمحتواه وموضوعه.. وهو كرواد المدرسة الواقعية في الادب التي ترى ان الشكل لا ينفصل عن المضمون ،فكل منهما مؤثر في الاخر ومتأثر به ، وانه لا يكتمل جمال الفن الادبي ولا تؤدي رسالته الاجتماعية، الااذا تناسب جمال الشكل وقيمه المحتوى والموضوع تناسبا طرديا ايجابيا.. ومقياس النجاح لاى عمل ادبي يقوم على التناسب التام او الوحدة الكاملة بين الشكل والمضمون معا.. وقد حقق هذه الوحدة الجدلية في معظم مقطوعاته،وخاصة"هموم بلدوزر، يا ياسر عرفات اترك لهم كوستاريكا ، ابو العبد يغازل مدام ولوفتيش في قلعة زئيف ، محسن الغضبان يلعن اليوم الذى ولد فيه، مزبلة شفاعمر تلطخ سمعتهم في الخارج، وساعة واحده والف معسكر " .

ان كتاب "ساعة واحدة والف معسكر اضافة نوعية الى الادب الشعبي الساخر.. ونحن بدورنا نتمنى لسلمان ناطور القابع تحت الاقامة الاجبارية حياة عريضة ملؤها التضحية والعطاء الادبي والفكرى الانساني الهادف .. والى الامـــام .....

Digitized by Birzeit University Library

قصة
للاطفال

التينة العجوز والزيتونة الصغيرة

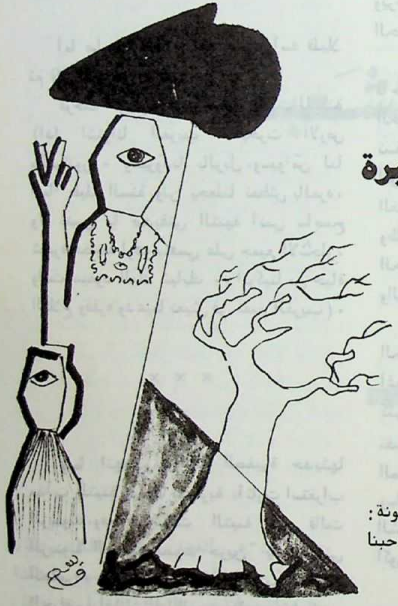

قالت التينة العجوز لجارتها الزيتونة:
هل سمعت الكلام الذى دار بين صاحبنا الفلاح والرجل الغريب ؟
اجابتها الزيتونة :
لم افهم شيئا من كلامهما ،ولكني لاحظت الحزن على وجه صاحبنا .ارجوكيا صديقتي التينة احكي لي ما جرى بينهما.

فضل الزيماوي

Digitized by Birzeit University Library

قالت التينـــــة :

سمعت الغريب يقول (الارض لم تعد تنفع هذه الايام ،الافضل ان يتخلص منها الفلاحون واذا فكرت في بيعها أعطيك ما تطلب من الفلوس ،وسأجعلك اغنى رجل في البلده، وسأنفذ لك كل طلباتك . لا تكن غبيا كبقية الفلاحيـــــن) .

أما صاحبنا الفلاح فقد حنى رأسه قليلا ثم قال للغريب (دعني افكر) .

فرحت الزيتونة كثيرا للخبر وقالت للتينة (اذا اشترانا الغريب فسيحرث الارض بالتركتور.. وسيزوّدنا بالزبل ،وسيؤمّن لنا الماء طيلة السنة .ولن يجعلنا نعطش بالمره، ولا تنسي يا صديقتي التنية أنني سأصبح شجرة عظيمة ازهو بنفسي على جميع الاشجار، وانت سيعود اليك شبابك .. اتركينا من حياة الفلاح وفقره ودعينا نعيش في نعيم الغريب) .

× × ×

ولما انهت الزيتونة الصغيرة حديثها بدأت التينة تضحك بسخرية ،أثارت استغراب الزيتونه ،وفجأة سكتت التينة ثم قالت الزيتونة الصغيرة بصوت حزين" يا صديقتي الصغيرة.. ما زلت تجهلين الكثير من امور الحياة.. اذا اشترانا الغريب فانه سيقطعنا من جذورنا وسيقيم مكاننا العمارات الضخمة.. لا تنبهري بالزبل والماء والتراكتور..

وهنا شعرت الزيتونة بالخجل واحست بالندم وقالت التنية "اذن تعالي نفكر في خطة تنقذنا من الغريب وتنفع صاحبنا الفلاح بالتمسك بنا.

قالت التينة العجوز "ما رأيك يا صديقتي الصغيرة .. تعالي نذهب الى الغيوم ،ونقص عليها القصة ،لعلها تشفق علينا.

وبسرعة وافقت الزيتونة على اقتراح التنية ،وذهبت الاثنتان الى الغيوم ،وقصتا عليها الخبر ،فتحمست لمساعدتهما ،ولكن الغيوم طلبت منهما أن يذهبا الى الريح ويرجوانه المساعده في تحريك الغيوم نحو الحقل الذى تقيم الزيتونة والتنية فيه.

تحمست الريح للمساعدة بعد سماع القصة فأخذت تهب بسرعة وتدفع الغيوم تجاه الحقل ،ولما وصلت الغيوم الى هناك ،بدأت تسقط بغزارة حتى ارتوى الحقل وارتوت الزيتونات والتينات ،فشكرت التينة والزيتونة الغيوم والريح على المعروف ،الذى قدماه ، وطلبتا من الشمس أن ترسل اشعتها الحارة الى الحقل ،فلم تتوان الشمس وقالت للتنية والزيتونة (سأجعلكما تثمران بسرعة) .

وفي صباح اليوم التالي حضر الفلاح الى الحقل ،فرأى التينات والزيتونات قد طالت اغصانها ، وشاهد الثمار تتدلى منها ،ففرح كثيرا ، وأخذ يقبل حباتها ،وجعل يقول في نفسه "سيكون الموسم جيدا ، سأشترى لاولادى المحرومين الملابس والاحذية الجديـــدة وسأهدى زوجتي ثوبا جميلا ،وسأوفر لحمارى الشعير والتبن ،وسأمّن الزبل لاشجاري ولن اكون في حاجة الى بيع أرضي" ..

ومن يومها اقبل الفلاح على العمل في ارضه بهمّه ونشاط زائد، واصبح لا يفارق اشجاره وارضه، وعلى مرّ الايام تولدّت صلة قوية بين الفلاح واشجاره، وبعد مدة جاء الغريب ليسمع الجواب النهائي من الفلاح ، ولما شاهدته التنية العجوز والزيتونة الصغيرة كانتا واثقتين من أنّ الفلاح لن يتخلّى عنهما.

Digitized by Birzeit University Library

كيف يؤرّخ لشعبنا

بقلم

موسى علّوش

قرأت في العدد الماضي "للكاتب" مقالا للاستاذ جميل السلحوت تحت عنوان ما هكذا يؤرخ لشعبنا نلخص ما جاء فيه بأربع نقاط :

١ ـ ان الحديث عن الصراعات العشائرية والقبلية في القرن الماضي يثير الحزازات والنعرات في الوقت الحاضر ويصر على ان ذلك يسيء الى تاريخ شعبنا وهو تشويه له.

Digitized by Birzeit University Library

٢ – أن كتابة تاريخ شعبنا يجب ان تكون من زاوية الصراع الطبقي ويدعى بأن اسلوب الكتابة كان لا منهجيا .

٣ – ان هناك اخطاء بخصوص بعض الانساب .

٤ – الكتابة عن عائلات وتجاهل اخرى .

وانني اذ ارد على الاستاذ السلحوت بصفته كاتبا في التراث وجادا في تاريخ التراث أقول :

١ – ان الاستاذ السلحوت يحتج على الكتابة عن الصراعات العشائرية بين القيس واليمن في القرن الماضي وهو يكتب عن القضاء العشائرى وعن خلافات بين عائلات فلسطينية وقعت في هذا العقد من القرن العشرين ويذكر أسماء محكمين وجاهات ولا يخطر على باله ان ذلك قد يثير حزازات واحقاد بين العائلات .

٢ – ان الحديث عن الصراع الطبقي في القرن الماضي موضوع يحتاج الى دراسة عميقة ولا نستطيع عند الكتابة عن تاريخ العائلات بهذا الايجاز النظر اليه من زاوية الصراع الطبقي فقط خصوصا وان الصراعات الداخلية بين العائلات بوجود الاحتلال التركي كانت تخضع لعدة اعتبارات أخرى ....

وبخصوص اللامنهجية في الكتابة فان الاستاذ السلحوت يعلم أنني لست عالما في كتابة التاريخ ، وكنت اتوقع من الاستاذ السلحوت نقدا بناءا لا هجوما لاذعا وكنت اتوقع تعقيبا وليس تشويهـــا .

٣ – ان ما يدعيه الاستاذ السلحوت بخصوص خطأ من ناحية نسب بعض العائلات ، تنفيه الوثائق والمراجع الموجوده بخصوص عائلات قراجا والزيادنه .

٤ – انني لم انته بعد من كتابة حلقات تاريخ العائلات الفلسطينية ولا يجوز لاحد ان يتهمني بالكتابة عن عائلات وتجاهل أخرى طالما انني املك القدرة على الكتابة عن عائلات اخرى ولم أنس الكتابة عن العائلات التي قاومت الاحتلال الاجنبي في مختلف العصور .

ان التاريخ هو عباره عن صراعات ونزاعات بين قوى مختلفة ، صراعات بين افراد وعائلات وحكام ودول واذا خاف المرء ان يكتب عن تلك النزعات فلن يكتب تاريخا .

ولن نستطيع ان نخفي صفحة من تاريخ شعبنا كانت مليئة بالصراعات بين ابناء البلد الواحد تارة وضد القوى المعتدية تارة اخرى مهما كانت تلك الصفحة غارقة في السواد لاننا بذلك نضع رأسنا بين جناحينا .

ويقول الاستاذ السلحوت بالحرف الواحد (فلم أر في دراسة السيد علوش اى تطرق للصراع الطبقي الذى عاشه شعبنا ، حيث ان تركيزه كان منصبا على النزاعات الشخصية والعائلية وحتى االقبلية ، فهل مثل هذه الامور تعتبر تاريخا لشعب ؟ واين دور هذه العائلات في النزاعات ضد المستعمر والسلطة المستبدة) وكأن الاستاذ السلحوت ، يجهل ان صراع القيس واليمن له جذور طبقية وأنه صراع بين طبقتين ، وكأن الاستاذ السلحوت لم يقرأ في الحلقة الثالثة من تاريخ العائلات الفلسطينية عن الثوره على ابراهيم باشا وعن استبداده بالعائلات الفلسطينية . ولم يقرأ في الحلقة نفسها عن معركة صانور وثورة اهالي جبل نابلس ضد المستبد ورفضهم دفع الضرائب .

ومعذرة الى الاستاذ جميل السلحوت فلن اكون قاسيا في الرد كما كان هو قاسيا في النقد .

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

— القدس —

صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر كتاب "الرواية في الادب الفلسطيني" ١٩٥٠ — ١٩٧٥ للدكتور أحمد أبومطر

يستعرض الكتاب الجهود الروائية قبل عام ١٩٥٠ من خلال الادباء خليل بيدس، أحمد شاكر الكرمي، جميل البحر والدكتور اسحق موسى الحسيني ومحمد العدناني، واسكندر الخوري، وعارف العارف وغيرهم من الرعيل الاول من الادباء الفلسطينيين في القرن العشرين.

— لايبزغ —

في معرض لايبزغ الدولي للكتاب احرز لبنان خمس ميداليات، واحده ذهبية وأربع برونزيه تقديراً لجودة التصميم والاخراج.

والكتب الفائزة "القرآن الكريم" تصميم وطباعة "الوزة البيضاء" عن دار الفتى العربي الاميرة المظلومه" عن دار الشروق وعودة الطائر" لمعين بسيسو عن دار الفتى العربي لوعة الشمس لجبرا ابراهيم جبرا وقد صدر عن المؤسسة العربية للدراسات.

سينما

— القاهرة —

ما زالت الرقابة تمنع عرض فيلم "كرنفال" وهو فيلم روائي تسجيلي أخرجه أحمد فؤاد درويش والفيلم يحكي قصة الصراع العربي الاسرائيلي منذ مؤتمر بال بسويسرا وجهود هرتسزل والمناخ الاستعماري المتوالي لوعد بلفور فيما بعد ثم الكرنفال الاستعماري وعلاقة قيام اسرائيل حتى ما بعد حرب ٧٣ بالعنصرية في جنوب افريقيا والعنف والتوسع الاميركي في اسيا من خلال حكومة جنوب فيتنام قبل تحريرها.

الفيلم مدته خمسون دقيقة وكتب مادته العلمية الدكتور علي الدين هلال وراجعه دكتور اسامة الباز وصوره رمسيس مرزوق وترجمه لسبع لغات عالمية.

— القاهرة —

انتهى مؤخرا سعد الدين وهبه من كتابة مسرحية "عيون موسى" وتدور احداث المسرحية ومواضيعها حول العلاقات الاسرائيلية المصرية بعد كامب ديفيد.

Digitized by Birzeit University Library

رسائل

لجنة ادارية جديدة
لدائرة الكتاب

جرت في جمعية الملتقى الفكرى العربي بالقدس ، يوم الجمعة ٨٢/١١/١٢ ،انتخابات اللجنة الادارية لدائرة الكتاب ،وقد تقدم ثمانية مرشحين وفاز بعضوية اللجنة كل من :ـ

علي الخليلي ،أسعد الاسعد ،جمال بنوره سامي الكيلاني ، صبحي حمدان ،زكي العيلة، ونبيل الجولاني ..

والجدير بالذكر ان عدد أعضاء الدائرة ٨٢ عضوا ، وهي تعتبر بمثابة التجمع الاساسي لكتاب الضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد وضعت اللجنة الادارية الجديدة خطه وبرنامج عمل يشتمل على مناقشة الكتب المحلية الجديدة، وطبع ونشر العديد من مؤلفات الكتاب المحليين ، وكذلك عقد عدد من الندوات والمحاضرات بالاضافة الى تنظيم المهرجان الثالث للادب الفلسطيني في آب ١٩٨٣ ..

الايجابي من التراث

نظم المنتدى الثقافي في المغرب حلقة بحث عن الايجابي من التراث . لمدة اسبوع ،وقد دعى الى هذه الحلقة عدد من المفكرين من العالم العربي. ودعى من مصر الدكتور حسن حنفي ولطفي الخولي والدكتور محمد احمد خلف الله ومحمود امين العالـــم ..

هذا وقد رؤى تخصيص اليوم الاخير في الاجتماع لمناقشة قضية فلسطين.

الاصدقاء أعضاء اللجنه الثقافية في مركز الشباب الاجتماعي ـ مخيم الفارعه

اسرة تحرير الكاتب تشكركم وتشد على ايديكم ،وتتمنى لكم دوام التقدم والمثابره، من أجل تحقيق طموحات شعبنا العظيم .

اما الموضوعات التي أرسلتها اللجنه لنشرها في الكاتب ،فهي رغم جودة وأهمية موضوعات بحثها ، الا انها لا تصلح للنشر ضمن موضوعات الكاتب ،نرحب بكم وبنتاج الشباب في المركـــز .

وتحيات اسرة الكاتب لكم جميعا .

الصديق شاكر فريد حســـن ،
ـ مصمص ـ المثلث .

وصلتنا رسائلك ،وها أنت ترى قراءتك لكتاب الزميل سلمان ناطور واحدا مـــن موضوعات هذا العدد، بخصوص بالاعداد التي طلبتها نأمل ان نرسلها لك في القريب

شكرا لاهتمامـــك

الصديق الدكتور محمد الجعيدى ،
جامعة مدريد .

وصلتنا رسالتك ،ونشكرك جزيل الشكر على المواد التي ارسلتها الينا ، ونرجو ان تكون ضمن مواد العدد القادم "٣٣" كما ونرجو ارسال كل ما لديك من مواد أدبية أو دراسات ثقافية أو فكرية أو أى مادة تراها مناسبة للنشر ،مع تحياتنا الحارة ،وأهلا بك صديقا دائما للمجلة ولاسرة التحرير .

Digitized by Birzeit University Library

الكوفية الفلسطينية على طابع بريدي في المانيا الدمقراطية

ان الشعب الالماني يعرف جيدا هذه الكوفية، رمز بطولات الشعب الفلسطيني المقاتل من اجل حقه في الاستقلال والحرية. ان الصهاينة قد نهبوا ارض هذا الشعب وشردوا ابناءه.

هذا ما جاء في النشرة المرفقة لطابع جديد صدر في المانيا الدمقراطية تقديرا لنضال الشعب العربي الفلسطيني وصموده أمام الغزو التوسعي الاسرائيلي.

واللوحة التي تزين هذا الطابع هي صورة لثلاثة اجيال من الفلسطينيين يحملون غصن الزيتون وتكتنفهم الكوفية.

اتحادنا وهو لا يعتبر ان الدفاع عن حرية التعبير او صون وتطوير ثقافتنا الوطنية مما يتهددها من مخاطر من اختصاصاته. بل ان اعضاء "كبار" في الاتحاد لم يتورعوا عن الدفاع علنا عن "قانون العيب"..

اما موضوع عضوية الاتحاد فله شقان فالمسألة لا تتوقف عند رفض عضوية كتاب بسبب انتمائهم السياسي ولكنها تتجاوز ذلك الى منح العضوية لاناس ليسوا كتابا بأى معيار ولكنهم "مضمونين" في الانتخابات.

المطلوب اذن ان يتداعى كتاب مصر الى مؤتمر موسع لتدارس الامر فاما يقررون تشييع جنازة الاتحاد الحالي او اجراء عملية نقل دم كاملة تعيد اليه الحياة..

اصدرت رابطة الادباء في الكويت سلسلة جديدة بعنوان قضايا مريبة. صدر من السلسلة كتابان.

الاول: بعنوان الوحدة العربية والتحديات لعبد الله بن ابراهيم. الامين العام للاتحاد الوطني للقوات الشعبية في المغرب..

والثاني: العروبة والاسلام للدكتور محمد احمد خلف الله عضو الامانه العامة لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوى..

كانت الرابطة قد توقفت منذ عام ١٩٧٤ عن اصدار كتبها بسبب ضآلة الموارد المالية للرابطة واقتصرت على اصدار مجلة "البيان".

مؤتمر موسع لكتاب مصر

تريد اتحاداً لكل كتاب مصر وليس ذراعا جديدا من اذرع السلطة المتعددة.

الذى حدث ان اتحاد الكتاب منذ انشائه عام ١٩٧٥ ـ وكما توقع العديدون وانا منهم ـ نفذ بجدارة المهام المنوطه به في كونه جهازا من اجهزة السلطة لا علاقة له بالهموم الحقيقية لكتاب مصر. مر بالبلاد ما مر من اهـوال:

وقعت اتفاقيات كامب ديفيد، صدرت قوانين جديدة مقيدة للحريات، اعتقل الالاف من بينهم العشرات من كتاب مصر ومفكريها. وضربت المقاومة الفلسطينية واحتل بلد عربي جديد والاتحاد "وودن من طين ودن من عجين"..

اتحاد الكتاب بتشكيلة الحالى ليس

Digitized by Birzeit University Library

قضية للمناقشة: الالتزام يدخل في نسيج العصر

بعد فوزه بجائزة نوبل للاداب التي اهدى قيمتها لاحدى حركات الكفاح المسلح ضد الاستعمار الامريكي في امريكا اللاتينية كتب الروائي الكولومبي جابرييل جارسيا ماركيز مقالا ادان فيه العدوان الاسرائيلي على لبنان .. وادان كذلك اعطاء جائزة نوبل لبيجين الذى يذبح شعب فلسطين ،وانور السادات الذى ازدادت اسرائيل من خلال الصلح الذى عقده معها قوة على قوة ، كذلك يدين الرأى العام الاوروبي الثقافي الذى تتجزأ مواقفه تجاه قضايا الشعوب فيدين ما يحدث في بولندا بعنف ،ويصمت ازاء ما يحدث في لبنان ..

يكشف ماركيز عن عمق النزاهه ككاتب معاصر بالدفاع عن حق الشعوب في الحرية والاستقلال والتقدم في مواجهة القوة البربرية للاستعمار العالمي ويقدم هذا العالم الموضوعي المفعم بالصراعات مادة هائله للكاتب الملتزم فنجد ان البناء الهائل في روايات ماركيز القصيرة والطويلة يستمد الكثير من مفرداته من عناصر هذا الصراع ، ولولا هذا الالتزام العميق لما أصبح ادبه شديد التميز والفعالية في ثقافة الحقبتين الاخريين. ترتكز هذه الفعالية على دعامتين متلازمتين .. موهبته الفذة هذه من جهه ،والتزامه العميق من جهة اخرى والذى اتخذ في فترة هامه من حياته شكل العلاقة الحميمة والنشيط مع كل من جيفارا وكاسترو ..

وهي ظاهرة تستطيع ان تتعرف عليها بصورة تفصيلية في انتاج الكتاب الكبار في عصرنا ، ذلك العصر الذى طرحت فيه بأشد وضوح قضية الالتزام الفكرى والتنظيمي ايضا وعرفت المسألة قبل وبعد الثورة الاشتراكية اشكالا مختلفة لها ، من مكسيم جوركى مرورا بآرثر ميللر وهيمنجواى وآراجون وبريخت وناظم حكمت..الخ . الذين انحازوا جميعا من واقع ادراكهم لطبيعة الصراع في العصر . انحازوا الى الجماهير الفقيرة والشعوب المناضلة ضد الاستعمار وطوروا فنهم في هذا الاتجـــاه ..

وفي وطننا العربي نجد ان الكثير من الاسهامات والاسماء المتميزة والبالغة الاثر في الحياة الادبية والثقافية بعامة قد شكل التزامها سمة مميزة لها وهو مايتبدى بوضوح في الادبين الجزائرى والفلسطيني حيث تؤكد انجازات هذين الادبين الناضجين.. والتزام الكاتب يفجر في حساسيته الجديدة وموهبته امكانيات التعرف موضوعيا على علاقات جديدة وطازجة بين الاشياء والناس في هذا العالم ..

ان ما توصل اليه هؤلاء الادباء العظام جميعا ليؤكد ان التزامهم الفكرى ـ السياسي كان دائما عنصر اضافة وغنى لادبهم وليس العكـــس ..

وفي تصريح ماركيز نجد هذا الاتساق المنطقي بين موقفه السياسي العملي وبين مضمون كتاباته كلها ..

Digitized by Birzeit University Library

عتاب

كان فرحنا عظيما ،بعودة مجلة فلسطين الثورة الى الصدور من جديد، ومع أننا كنا على يقين من حتمية عودتها ،لكنا لا نخفي مشاعر القلق التي انتابتنا، وخوفنا على ضياع كل شيء، في غمار الزحف التتري على مختلف أوجه الثقافة الفلسطينية أثناء دخول القوات الاسرائيلية غربي بيروت ،وتدمير مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت .

وها هي تعود من جديد ونحن واثقون من حتمية استمرارها ،بهذه المناسبة لنا كلمة، كلمة عتـــاب :-

نشرت مجلة فلسطين الثورة ملف التعليم في المناطق المحتلة، وأبعاد القرار ٨٥٤، وهو ما كنا نشرناه في العدد الثلاثين من مجلة "الكاتب" تحت عنوان "هل المقصود اغلاق الجامعات؟." ، ونحن بالطبع لسنا ضد ذلك ،بل العكس تماما ،نحن سعداء ونرحب بذلك كل الترحيب، غير أنا كنا نأمل أن يشار في مجلة فلسطين الثورة ،الى المصدر الذي أخذت عنه الملف المشار اليه،

كلمة عتاب ترسلها الى الاحبه والاصدقاء في فلسطين الثورة ،مع محبتنا وتقديرنا ..

اسرة تحرير " الكاتب "

في ذكرى الأربعين لرحيل بريجنيف

تحيي قوى التحرر والتقدم والاشتراكية والسلام في عالمنا ،الذكرى الاربعين لرحيل القائد الشيوعي ليونيد بريجينيف ،وذلك في أواخر شهر كانون أول الجاري .

وهيئة تحرير "الكاتب" تشارك هذه القوى وكل محبي السلام والتقدم بهذه المناسبة.

ان احياءنا لذكرى الاربعين لرحيل بريجينيف ،انما هو دعوة للاستمرار على النهج الذي سار عليه ،وتعميق ما بـــداه، والعمل على تحقيق دعواته المتمثلة في تخفيف حدة التوتر في العالم ،ونزع الاسلحة النووية، وارساء قواعد السلام العالمي ، والنضال الحازم والثابت ضد التخلف ..

ان الشعب العربي الفلسطيني بالذات فقد صديقا من اكثر الاصدقاء صدقا وثباتا، في الدفاع عن حقوقه ودعم قضيته العادله، في اقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني.

اننا واثقون من استمرار هذا الموقف، ليس تجاه الشعب الفلسطيني فحسب ،وانما تجاه الشعوب العربية وكل الشعوب المغلوبه على أمرها. والتي تعاني من اضطهاد قومي أو سياســـي ..

تحية للراحل العظيم ،وتحية لخليفته يورى اندربوف، ورفاقه وللشعب السوفييتي الصديق

"الكاتـب"

Digitized by Birzeit University Library

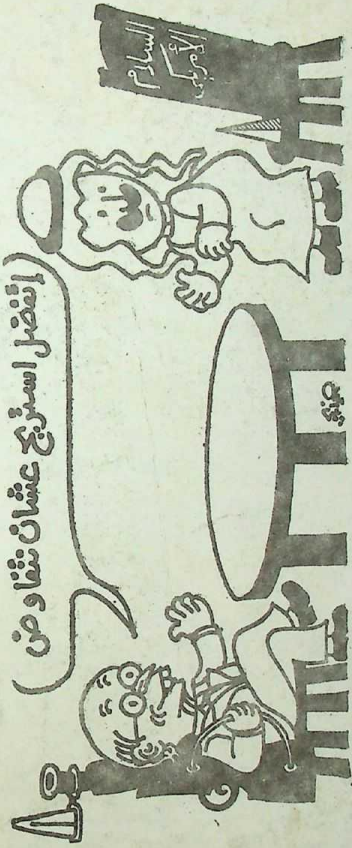

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor – Asa'd AL-asa'd
Jeruselem

P. O. Box 995
Ramallah

32

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library